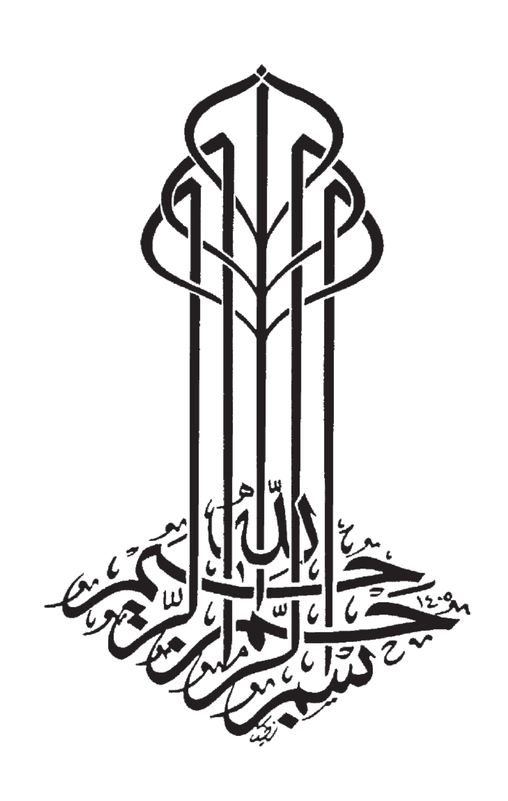

حدث غيّر مجرى التاريخ





د. أمين بن عبد الله الشقاوي



المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

إن من يدرس سيرة ملك من الملوك، أو عظيم من العظماء، قد يجد في تلك الدراسة المتعة، وقد يجد فيها الفائدة أيضًا، إلا أن ذلك ليس مطلوبًا منه لزامًا، فإنه لو لم يعرف ذلك الملك، أو ذلك العظيم، لم يضرّه الجهل به، ولا يلزمه إن درس سيرته أن يفقهها، أو يعمل بها، أو يدعو إليها وينشرها بين الناس. بيد أن الرسول الكريم محمدًا ﷺ لا ندرس سيرته على أنه عظيم من العظماء فحسب، وإن كان هو ﷺ أعظم الخلق، وأكرمهم، وأرفعهم منزلة في كل شأن من شؤونه، وإنما ندرس سيرته ﷺ بناء على الإيمان بأنه رسول من عند الله حقًا، بعثه لهداية الناس، فقوله حق، وسيرته هدى؛ لذا وجب على كل مؤمن ومؤمنة دراسة سيرته ﷺ أولًا، وفقهها ثانيًا، والعمل بها ثالثًا، ونشرها بين الناس ودعوتهم إليها رابعًا؛ لأنه القدوة الحسنة والمثل الأعلى للأمة التي بعث لهدايتها، وقد أمرنا ربنا بذلك، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولذا؛ فإنّ من النقص الكبير أن يجهل المرء سيرة العظماء الذين لهم نسب به ﷺ، كالخلفاء الراشدين، فإن سيرتهم تطبيق عملي لما كانوا يسيرون به معه في حياته ﷺ، وسياستهم للأمة مأخوذة من سياسته لهم، بل إن أصحابه جميعًا لا

ينبغي أن نجهل سيرتهم، لمن سمع وبلغه قوله ﷺ حين سئل عن الفرقة الناجية، فقال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[1]، وقد أمرنا ربنا ﷻ أن ندعو الله تعالى فنقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]. ثم فسره بقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]، والذين أنعم الله عليهم هم أصحاب النبي ﷺ، فهم أولى الناس دخولًا في هذه الآية، وكل من اقتدى بهم وسار على منهجهم يكون نصيبه بقدر ما حصل عليه من ذلك.

فالسيرة التي كانوا عليها هي السيرة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها، وما كانوا كذلك إلا لأنهم تمثلوا النبي ﷺ قدوة لهم، يسيرون بسيرته، ويستنون بسنته، به يقتدون، وبهديه يعملون، وصلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم.

وفي الآية المتقدم ذكرها بين تعالى أن الطريق المستقيم الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه يخالف الطريق الذي يسير عليه المغضوب عليهم - وهم اليهود - والضالون - وهم النصارى -، وبهذا يتبين مدى الجهل العظيم الذي نشأ في الأمة علميًا أو عمليًا، إذ تشبه الكثير منهم باليهود والنصارى في الهيئات والعادات، بل وحتى في العبادات، أجهلوا الأحاديث الكثيرة التي نهى فيها النبي ﷺ أمته عن مشابهتهم؟ حتى قال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[2]، وجهلوا حرصه ﷺ على مخالفتهم، حتى قالوا: ما يريد هذا الرجل - يعنون النبي ﷺ - أن يدع شيئًا من أمرنا إلا خالفنا فيه؟

لقد تحقق في هذه الآية ما أخبر به ﷺ من أن هذه الأمة ستتبع سننهم حذو القذة بالقذة، فيا أمة الإسلام ادرسوا سيرة نبيكم وأصحابه، وتشبهوا بهم يعزكم الله كما أعزهم، وينصركم كما نصرهم، فهل يرجى النصر على العدو بمن

---

(١) العقيلي في الضعفاء (٢٠٧ - ٢٠٨)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٠٧)، حديث رقم (٢٠٤).

(٢) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٩٢)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥٤٥) برقم (٢٨٣١).

يعمل عمله، ويسلك سبيله، ويتشبه به[١].

قال أمير المؤمنين عمر ﵁: «نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»[٢].

أهمية الموضوع:

١ - أن القيام بجمع وتحقيق جزءٍ من السيرة النبوية، إذا يسر الله إتمامه حسب الخطة الموضوعة، يعدّ سدادًا لثغرة في المكتبة الإسلامية التي لم ولن نألوا جهدًا في دعوة الناس عمومًا، والمسلمين خصوصًا إلى الرجوع إليها، والاستفادة منها.

٢ - أن دراسة السيرة النبوية تعد درسًا عمليًا تطبيقيًا لدارسيها، والمطلعين عليها؛ لأن ذلك بيان لشيء من حياة النبي ﷺ وطريقته الحسنة لفهم القرآن، وتطبيق شريعة الإسلام.

٣ - أن دراسة سيرة الرسول ﷺ الجهادية تعد من الضرورات العلمية في هذا الوقت، إذ أن المسلمين اليوم يقفون على بوابة يوشك أن تفتح على لقاء بينهم وبين أعدائهم، ولذا اخترت غزوة بدر لكثرة وجوه التشابه بين الحالين.

٤ - أن غزوة بدر وقعت بغير استعداد من المسلمين، بعكس حال العدو الذي أعد لها كل ما يقدر عليه، ولكنهم جعلوا الإيمان الصادق، والإخلاص والصبر، بديلًا عظيمًا عن هذا النقص، مما ساعدهم على تحقيق النصر، وهذه هي الحقيقة التاريخية التي أحببت أن يعرفها المسلمون من خلال هذه الدراسة؛ لأننا

---

(١) من صور التشبه بالكفار في وقتنا المعاصر: الألبسة التي تلبسها النساء المسلمات، كالألبسة الضيقة، أو المفتوحة، أو البنطال، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ومنها ما يُسمى دبلة الخطوبة، وهي عبارة عن خاتم يضعه كل من الزوج والزوجة في يده إشارة إلى عقد الزوجية، ومنها الاحتفال بعيد الميلاد، وهذا ما يفعله بعض المسلمين، فيحتفل بعيد ميلاده بعد مضي أربعين سنة، أو خمسين سنة، ويفعل ذلك كل سنة تقليدًا للنصارى، وغير ذلك من صور التشبه الكثيرة.

(٢) مستدرك الحاكم (١/ ١٣٠).

اليوم نوشك أن نصطدم بعدو كثير العدد والعُدد التي لا نملك منها ولا معشار ما يملك، ولفت النظر إلى بيان ما أشار إليه ربنا ﷻ في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٤].

٥ - أن غزوة بدر نزل فيها سورة كاملة، هي سورة الأنفال، مع ما نزل في غيرها من السور، كما سيأتي، وهذا يدلنا على أهميتها، وأن الله أراد منها أن تكون دروسًا ينتفع بها المسلمون في حياتهم الجهادية، وغيرها ما تُلي القرآن.

* * *

خطة البحث

مقدمة الرسالة، وتشتمل على ما يلي:

أ - أهمية الموضوع.

ب - خطة البحث.

ج - منهج الرسالة.

د - كيف وصلت لنا السيرة.

هـ - مصادر السيرة النبوية.

تمهيد بين يدي الرسالة:

ويشتمل على حكم الجهاد، وفضله، ومتى شرع، وأسباب النصر، وآداب الجهاد والمجاهدين.

الباب الأول: غزوة بدر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: فضائل يوم بدر في القرآن والسنة، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعظيم يوم بدر وبيان فضله في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تعظيم يوم بدر، وبيان فضله في السنة المطهرة.

المبحث الثالث: نظرة عامة لما نزل في بدر من القرآن.

الفصل الثاني: بين يدي غزوة بدر، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحداث الهامة بين يدي الغزوة.

المبحث الثاني: تاريخ غزوة بدر.

المبحث الثالث: أسباب غزوة بدر.

الباب الثاني: غزوة بدر بين المؤرخين والمحدثين والمفسرين، وفيه فصلان:

الفصل الأول: أحداث المعركة في الكتاب والسنة، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ما قبل المعركة.

المبحث الثاني: سير المعركة.

المبحث الثالث: بعد المعركة.

الفصل الثاني: الفوائد والعبر المستفادة من غزوة بدر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدروس العسكرية.

المبحث الثاني: الدروس الفقهية.

المبحث الثالث: الدروس العامة.

١ - خاتمة الرسالة، وأهم النتائج.

٢ - فهارس الرسالة.

منهج الرسالة:

١ - قصدت إلى جمع كل ما له علاقة بغزوة بدر، ولو من بعيد، من نصوص القرآن والسنة والآثار.

٢ - اعتمدت من كتب السيرة، سوى كتب التفسير والحديث، على كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وكتاب المغازي للواقدي، فهما أهم مراجع السيرة التي اعتمدتها.

٣ - لما كان الواقدي قد تُكلم فيه، كما سيأتي شرح ذلك، قدمت رواية غيره عليه عند وجودها، غير أنه في بعض المواضع يكون له فيها سياق حسن، لم أرَ إهماله لما يشتمل عليه من الإيضاح.

٤ - مرويات ابن إسحاق في السيرة إما أن تكون بسند أو بدون، فإن كانت بسند فإني أخرجها وأبين الحكم عليها صحة أو ضعفًا، وما ليس كذلك فإني أتركه على حاله، إلا أن أجد له شاهدًا أو متابعًا، فإني أذكر ذلك.

٥ - حرصت جهدي على تفسير الآيات المتعلقة بالموضوع، تفسيرًا واضحًا، بذكر الأحاديث والآثار، وأقوال المفسرين المبينة لها.

٦ - خرّجتُ جميع النصوص مع بيان صحتها وضعفها، حسب ما وصل إليه علمي، وفق طريقة أهل الحديث في ذلك.

٧ - حرصت على الترتيب الزمني لأحداث الغزوة، وما قبلها، وقسمت الأبواب والفصول والمباحث على ذلك، حتى تكون الصورة واضحة لدى القارئ.

٨ - ذكرت بعض تعليقات مَن كَتَبَ في موضوع السيرة من المعاصرين، لما رأيتها تربط وقائع السيرة بحال المسلمين، وتنبه على مواضع العبرة فيها، مع عزو ذلك إلى مواضعه.

٩ - وقفت بنفسي على موقع المعركة، وحاولت التعرف على الطريق الذي سلكه النبي ﷺ إلى بدر، والعودة منها إلى المدينة، ليكون أجلى للحقيقة في نفسي، وصورت ما استطعت من ذلك بملاحق في آخر الرسالة.

١٠ - وضعت فهارس منوعة، تسهيلًا للرجوع إلى مواد الرسالة.

كيف وصلت لنا السيرة:

كما اهتم رجال هذه الأمة بنقل شريعة الإسلام للأجيال المتعاقبة حفظًا، ورواية، ودراية، بنقل الثقات عن الثقات إجمالًا وتفصيلًا، وكانت الميزة التي امتازت بها هذه الأمة على سائر الأمم: الاهتمام برجال الأسانيد الناقلين للأخبار، والأحكام تدقيقًا، وتحقيقًا، حتى أصبح علم الرجال من العلوم التي لا يستغني عنها المسلمون في كل الأزمنة والأوقات، لأن بها حفظ الدين من

الضياع، فكذلك نقل لنا الأثبات عن الأثبات سيرة المصطفى ﷺ، ورحلوا إلى البلدان المتباعدة يجمعون الأخبار من حامليها؛ ليظهروا سيرة النبي ﷺ متكاملة متناسقة، وألفوا فيها الكتب، وتعلمها الأبناء عن الآباء، كما كانوا يتعلمون القرآن، والحديث، واشتغل كثير من العلماء بتأليف كتب خاصة بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، جامعين أخباره ورحلاته في الجهاد، وسائر حياته ﷺ، ناقلين ذلك بأسانيد عمن رأى وسمع، وشارك من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

ولعل أول من اهتم بكتابة السيرة النبوية عمومًا هو عروة بن الزبير المتوفى (٩٢هـ)، ثم أبان بن عثمان المتوفى سنة (١٠٥هـ)، ثم وهب بن منبه المتوفى سنة (١١٠هـ) ثم شرحبيل بن سعد المتوفى سنة (١٢٣هـ)، ثم ابن شهاب الزهري المتوفى سنة (١٢٤هـ)، على أن الكثير من أحداث السيرة النبوية منثورٌ في كتاب الله تعالى، وفي بطون كتب السنة التي تهتم من سيرته ﷺ بأقواله وأفعاله، ولا سيما فيما يتعلق منها بالتشريع، غير أن جميع ما كتبه هؤلاء قد باد وتلف مع الزمن، فلم يصل إلينا منه شيء، ولم يبق منه إلا بقايا متناثرة، روى بعضها الطبري، ويقال إن بعضها الآخر - وهو جزء مما كتبه وهب بن منبه - محفوظ في مدينة هايدلبرج بألمانيا، ولكن جاء في الطبقة التي تلي هؤلاء من تلقف كل ما كتبوه، فأثبتوا جله في مدوناتهم التي وصل إلينا معظمها بحمد الله وتوفيقه، ولقد كان في مقدمة هذه الطبقة محمد بن إسحاق، المتوفى سنة (١٥٢هـ)، وقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه محمد بن إسحاق يُعدّ من أوثق ما كتب في السيرة النبوية في ذلك[١]، ولئن لم يصل إلينا كتابه المغازي بذاته، إلا أن أبا محمد عبد الملك المعروف بابن هشام قد جاء من بعده فروى لنا كتابه هذا مهذبًا منقحًا، ولم يكن قد مضى على تأليف ابن إسحاق له أكثر من خمسين سنة.

يقول ابن خلكان: «وابن هشام هذا هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس، ترجمة محمد بن إسحاق ص٥٤ - ٦٧، وسير أعلام النبلاء (١٠/٤٢٨ - ٤٢٩).

المغازي والسير، لابن إسحاق، وهذبها ولخصها، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس، والمعروفة بسيرة ابن هشام»[١].

وممن كتب في السيرة النبوية والمغازي كذلك محمد بن عمر الواقدي، قال ابن سيد الناس: «وذكره الخطيب أبو بكر، وقال: هو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير، والطبقات، وأخبار النبي ﷺ، والأحداث التي كانت في وقته، وبعد وفاته ﷺ، وكتب الفقه، واختلاف الناس في الحديث، وغير ذلك، وكان جوادًا كريمًا مشهورًا بالسخاء.اهـ[٢].

وفي هذه المقدمة سأترجم لابن إسحاق، والواقدي، وابن هشام فقد نقلوا إلينا كثيرًا من أحداث السيرة والمغازي، مما يرد ذكره في هذه الرسالة.

مصادر السيرة النبوية:

أولًا: كتاب الله تعالى: فهو المعتمد الأول في معرفة الملامح العامة لحياة النبي ﷺ، وفي الاطلاع على المراحل الإجمالية لسيرته الشريفة.

ثانيًا: كتب السنة النبوية، وهي تلك التي كتبها أئمة الحديث المعروفون بصدقهم، وأمانتهم، كالكتب الستة، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وغيره، وإن كانت عناية هذه الكتب الأولى إنما تنصرف إلى أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله من حيث أنها مصدر تشريع، لا من حيث هي تاريخ يدون، ولذلك رتبت أحاديث كثيرة من هذه الكتب على أبواب الفقه، ورتبت بعضها على أسماء الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث، ولم يراع فيها التتابع الزمني للأحداث.

ثالثًا: الكتب المتخصصة في سيرة النبي ﷺ، وقد نقلت سيرته عليه الصلاة والسلام عن طريق الصحابة، وزوجاته عليهن السلام، فإنه ما من صحابي كان مع

---

(١) انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٩٠).

(٢) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (١/ ٦٧ - ٦٨).

رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهد سيرته إلا ورواه لسائر الصحابة، ولمن بعده أكثر من مرة.اهـ[1].

محمد بن إسحاق:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: محمد بن إسحاق بن يسار، الإمام في المغازي، مختلف في الاحتجاج به، والجمهور على قبوله في السير، وقد استفسر من أطلق عليه الجرح، فبان أن سببه غير قادح، وأخرج له مسلم في المتابعات، وله في البخاري مواضع عديدة معلقة عنه، وموضع واحد قال فيه: قال إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق، فذكر حديثًا.اهـ[2].

وقال الذهبي: لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة[3]، وقد علم أن كثيرًا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف، وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه، لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السير، وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذ فيه، فإنه يُعد منكرًا هذا الذي عندي في حاله والله أعلم[4].اهـ.

وما قاله الذهبي من التفصيل قوي، وهو مما تميل إليه النفس.

عبد الملك بن هشام:

قال الذهبي: عبد الملك بن هشام بن أيوب، العلامة النحوي أبومحمد الذهلي السدوسي، وقيل الحميري المعافري البصري، نزيل مصر، هذب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكائي، صاحب ابن إسحاق، وخفف من أشعارها،

(١) انظر: فقه السيرة للبوطي ص٢٢. (٢) هدي الساري ص٤٥٨.
(٣) الإحنة: الحقد والضغن، المعجم الوسيط (١/ ٨٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٠ - ٤١).

وروى فيها مواضع عن عبد الوارث بن سعيد، وأبي عبيدة رواها عنه محمد بن حسن القطان، وعبد الرحيم بن عبد الله البرقي، وأخوه أحمد البرقي، وله مصنف في أنساب حمير وملوكها، والأصح أنه ذهلي كما ذكره أبو سعيد بن يونس، وأرخ وفاته في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان عشرة ومائتين[1].

وساق الدارقطني بسنده إلى المزني قال: قدم علينا الشافعي، وكان بمصر عبد الملك بن هشام صاحب المغازي، وكان علاّمة أهل مصر بالعربية والشعر، فقيل له في السير إلى الشافعي، فتثاقل، ثم ذهب إليه، فقال: «ما ظننت أن الله خلق مثل الشافعي».

وساق الذهبي بسنده إلى عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الملك عن ابن إسحاق، فذكر الكتاب، وكان ابن هشام نحويًا أديبًا، إخباريًا فاضلًا رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

الواقدي:

هو محمد بن عمر الأسلمي، مولاهم الواقدي، المدني القاضي.

قال ابن حجر عنه في التقريب: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، نزيل بغداد، متروك، مع سعة علمه، من التاسعة، مات سنة سبع ومائتين، وله ثمان وسبعون سنة[3].

قال الذهبي في ترجمته: هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التصانيف والمغازي، العلامة، الإمام، أبو عبد الله، أحد أوعية العلم، على ضعفه المتفق عليه، ولد بعشر العشرين ومائة، وطلب العلم عام بضعة وأربعين، وسمع من صغار التابعين، فمن بعدهم

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢٨ - ٤٢٩).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، جزء حوادث ووفيات من (٢١١ - ٢٢٠هـ) ص٢٨١ - ٢٨٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٤٢٨ - ٤٢٩) قلت: والكتب التي ترجمت لعبد الملك بن هشام، ترجمت له ترجمة مختصرة، ولم تتوسع فيها.

(٣) ص٤٩٨ برقم (٦١٧٥).

بالحجاز والشام، وغير ذلك، وجمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطّرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم[(١)].

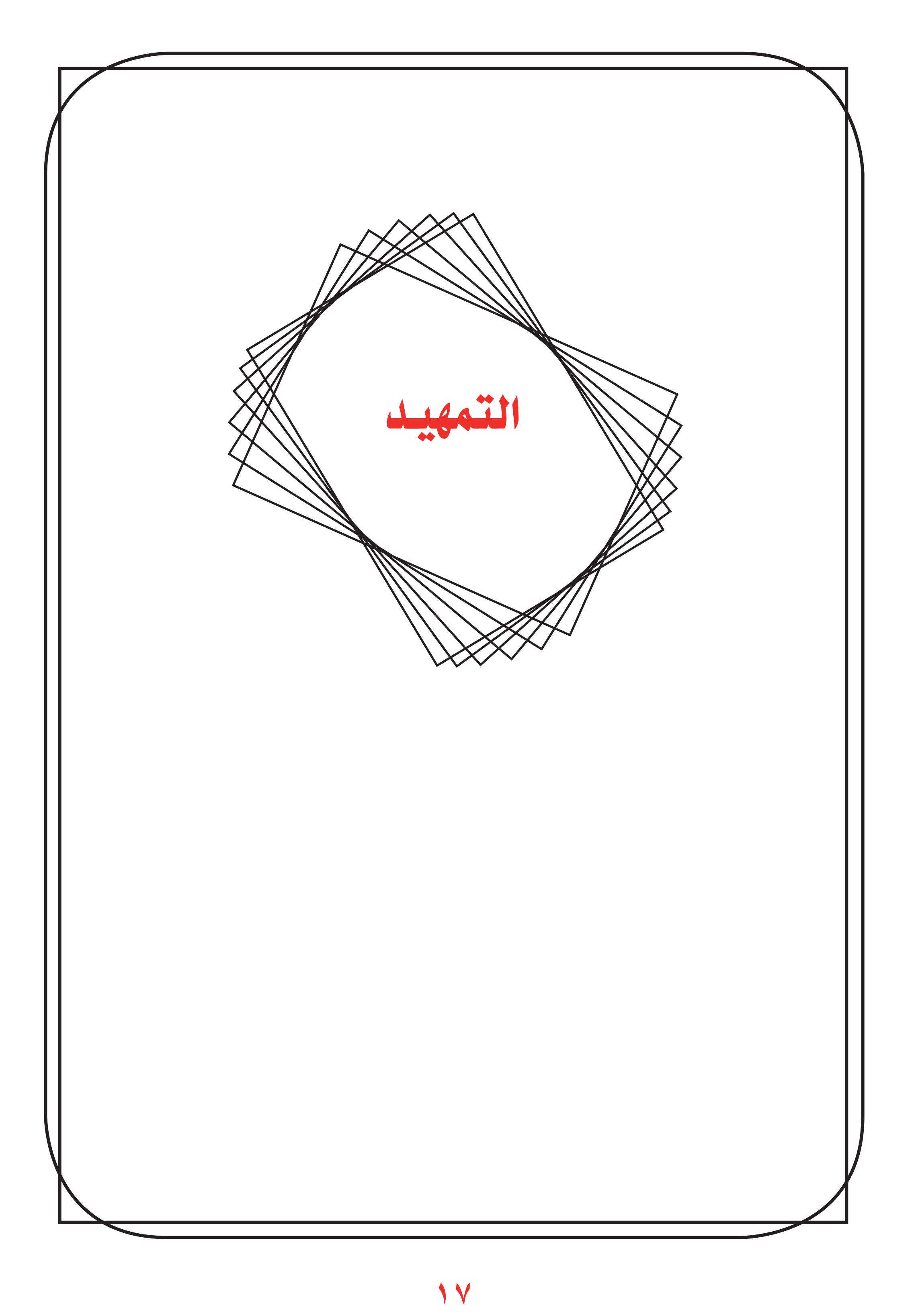
وقال في موضع آخر: وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يُحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يُذكر، فهذه الكتب الستة، ومسند أحمد، وعامة من جمع في الأحكام، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر شيئًا، مع أن وزنه عندي أنه مع ضعفه يكتب حديثه، ويروى؛ لأني لا أتهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مجازفةٌ من بعض الوجوه، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثّقه كيزيد، وأبي عبيد، والصاغاني، والحربي، ومعن، وتمام عشرة محدثين، إذ قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

الراجح: أن الواقدي ضعيف، يؤخذ عنه في السير والمغازي، وأخبار الصحابة، فإنه إمام في ذلك، لكن لا يحتج بأخباره، وما ذكره الذهبي من التفصيل في حاله قوي، والله أعلم.

* * *

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٤ - ٤٥٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٩)، انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (٢٦/ ١٨٠ - ١٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٩).



التمهيد

مشروعية الجهاد

الحمد لله القائل: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله، أفضل المجاهدين، وأصدق العاملين، وأنصح العباد أجمعين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الصادقين الذين باعوا أنفسهم لله، وجاهدوا في سبيله، حتى أظهر الله بهم الدين، وأعز بهم المؤمنين، وأذل بهم الكافرين، رضي الله عنهم، وأكرم مثواهم، وجعلنا من أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الجهاد في سبيل الله من أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله ونصر دينه، ونصر عباده المؤمنين، وقمع الظالمين والمنافقين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه أيضًا من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وغير ذلك من المصالح التي تخص المؤمنين، وتعم الخلائق أجمعين.

أولًا: تعريف الجهاد لغة واصطلاحًا

تعريف الجهاد لغة:

قال في المصباح المنير: «الجُهد بالضم في الحجاز، وبالفتح في غيرهم:

الوسع والطاقة، وقيل المضموم الطاقة، والمفتوح المشقة، والجهد بالفتح لا غير النهاية والغاية، وهو مصدر من جهد في الأمر جهدًا من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب... وجاهد في سبيل الله جهادًا، واجتهد في الأمر بذل وسعه وطاقته في طلبه ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته»[(١)].

تعريف الجهاد اصطلاحًا:

قال الجرجاني: «هو الدعاء إلى الدين الحق»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر: «الجهاد بذل الجهد في قتال الكفار.

ويُطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، فأما مجاهدة النفس فعلى تعلُّم أمور الدين، ثم على العمل بها، ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات، وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق، فتكون باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب»[(٣)].

ثانيًا: متىٰ شرع الجهاد؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددًا، فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفًا وثمانين قالوا: يا رسول الله، ألا نميل على أهل الوادي - يعنون أهل منى - ليالي منى، فنقتلهم، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر بهذا**»[(٤)]، فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم، وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شذر مذر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة،

---

(١) ص١١٢. (٢) التعريفات، ص٨٠.

(٣) فتح الباري (٦/ ٣).

(٤) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق محمد بن إسحاق عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك به، (٢٥/ ٩٤ - ٩٥) برقم (١٥٧٩٨)، وقال محققوه: حديث قوي، ومحمد بن إسحاق وإن كان مدلسًا فقد صرح بالسماع، وباقي رجال الإسناد ثقات.

وآخرون إلى المدينة، فلما استقروا بالمدينة وافاهم رسول الله ﷺ، واجتمعوا عليه وقاموا بنصره، وصارت لهم دار إسلام، ومعقلًا يلجؤون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك»[1]، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أُخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، قال ابن عباس: فأنزل الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ﴾، قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار، وألّف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٦)، قال الحافظ الدارقطني في كتابه العلل (١/ ٢١٤): هو حديث يرويه الثوري عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، واختلف عنه، فوصله إسحاق الأزرق، ووكيع من رواية ابنه سفيان عنه، والأشجعي عن الثوري، وأرسله غيرهم فلم يذكر ابن عباس، ورواه الفريابي عن قيس بن الربيع عن الأعمش متصلًا، وقيل عن الفريابي عن الثوري ولا يصح، والمحفوظ عنه عن قيس.اهـ.

ورجح الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص١٣٩ - ١٤٠ أن الحديث مرسل، لكن يشهد له ما أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤١١) برقم (١١٣٤٦) من حديث الزهري أنه قال: أول آية نزلت في القتال، كما أخبرني عروة عن عائشة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٨٠): إسناده صحيح.

ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر، والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأُذن لهم حينئذ في القتال، ولم يفرضه عليهم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُـلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَـدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]»[1].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان الجهاد في الإسلام على أطوار ثلاثة:

الطور الأول: الإذن للمسلمين في ذلك من غير إلزام لهم، كما في قوله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُـلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَـدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

الطور الثاني: الأمر بقتال من قاتل المسلمين، والكف عمن كف عنهم، وفي هذا النوع نزل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْـتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْـتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. في قول جماعة من أهل العلم، وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُـلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

الطور الثالث: جهاد المشركين مطلقًا، وغزوهم في بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ليعم الخير أهل الأرض، وتتسع رقعة الإسلام، ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد، وينعم العباد بحكم الشريعة العادل، وتعاليمها السمحة، وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق سبحانه، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة، وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام، وتوفي عليه نبينا محمد ﷺ، وأنزل الله فيه قوله ﷻ في سورة براءة، وهي آخر ما نزل: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٩ - ٧٠).

﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة: ٥]. وقوله سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ٣٩]. إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كُتاب العصر وغيرهم: إن الجهاد شُرع للدفاع فقط غير صحيح، والأدلة التي سبق ذكرها وغيرها تخالفه[1]، وإنما الصواب هو ما ذكرنا في التفصيل السابق، كما قرر ذلك أهل العلم والتحقيق، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ في جهاد المشركين، اتضح له ما ذكرنا، وعرف مطابقة ذلك لما سلف من الآيات والأحاديث»[2].

ثالثًا: حكم الجهاد ومراتبه وفضله

والجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ويكون الجهاد فرض عين في أحوال، منها:

إذا حضر المسلم المكلف القتال، والتقى الزحفان، وتقابل الصفان، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ [التوبة: ٥]. وقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» أخرجه البخاري في صحيحه ص٢٨ برقم (٢٥) كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ومسلم في صحيحه ص٤٣ برقم (٢٢)، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة.

(٢) انظر: فضل الجهاد والمجاهدين ص٢٦ - ٢٧.

﴿بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

وذكر النبي ﷺ أن التولي يوم الزحف من السبع الموبقات[١].

ومنها إذا احتل العدو بلدًا من بلدان المسلمين، تعيَّن على أهل هذا البلد قتاله وإخراجه منها، ويجب على المسلمين أن ينصروا ذلك البلد إذا عجز أهله عن إخراج العدو.

ويبدأ الوجوب بالأقرب فالأقرب، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

ومنها أن يستنفر الإمام المسلم العادل المسلمين للجهاد في سبيل الله[٢]. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفرتُم فانفروا**»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: الجهاد أربع مراتب: **جهاد النفس**، و**جهاد الشيطان**، و**جهاد الكفار**، و**جهاد المنافقين**.

فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق، الذي لا فلاح لها، ولا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ص٥٣٣ برقم (٢٧٦٦)، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ...﴾، ومسلم في صحيحه ص٦٣ برقم (٨٩)، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٨).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٣٠٢) برقم (٢٧٨٣)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، وصحيح مسلم (٢/ ٩٨٦) برقم (١٣٥٣)، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام.

سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يُسمى ربانيًا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل، وعلّم فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

الأولى: جهاده على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالمرتبة الأولى يكون بعدها اليقين، والثانية يكون بعدها الصبر، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

فأخبر الله ﷻ أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فمراتبه أربعة: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس. وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فعلى ثلاث مراتب: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه.

فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، وقال ﷺ: «**من مات ولم يغز، ولم**

يحدث به نفسه، مات على شعبة من النفاق»[1][2].

ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب والسنة، أن الجهاد في سبيل الله التجارة الرابحة، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

ومنها أن الغدوة[3]، والروحة[4] في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**»[5].

ومنها أن درجات المجاهدين في سبيل الله عالية، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة**»، أراه قال: «**وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[6].

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٥١٧) برقم (١٩١٠) كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٩ - ١٢).

(٣) الغدوة: الفتح المرة الواحدة من الغدو، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤٦)، ومختار الصحاح ص١١٠، وفتح الباري (٦/ ١٤).

(٤) الروحة: المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤٦)، ومختار الصحاح ص١١٠، وفتح الباري (٦/ ١٤).

(٥) صحيح البخاري (٢/ ٣٢٩) برقم (٢٨٩٢)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، وصحيح مسلم (٣/ ١٥٠٠) برقم (١٨٨١)، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله.

(٦) صحيح البخاري (٢/ ٣٠٤)، برقم (٢٧٩٠)، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.

ومنها أرواح الشهداء تسرح في الجنة، سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا[(١)].

ومنها: فضل المجاهدين على القاعدين، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥].

ومنها: أن المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**»[(٢)]، وغيرها من النصوص.

رابعًا: آداب الجهاد والمجاهدين

فعن سليمان بن بريدة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية[(٣)] أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزُوا**

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٢-١٥٠٣) برقم (١٨٨٧)، كتاب العتق، باب ذكر سعاية العبد.

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٣٠٢)، برقم (٢٧٨٧)، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٩٨) برقم (١٨٧٨)، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله.

(٣) سرية: هي الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٦٣).

ولا تَغُلُّوا[1]، ولا تغْدِروا[2]، ولا تمثُلوا[3]، ولا تقتُلُوا وليدًا[4]، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإنهم إن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تُخفروا ذمة الله[5]، وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله، فلا تُنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[6].

وعن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن امرأة وُجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان[7].

---

(١) ولا تغلوا: الغلول هو الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٠).

(٢) ولا تغدروا: الغادر هو الذي يواعد على أمر لا يفي به، شرح مسلم للنووي (٤/ ٣٧).

(٣) لا تمثلوا: قال في النهاية لغريب الحديث: (مثل) فيه «أنه نهى عن المثلة» يقال: مثلت بالحيوان، أمثل به مثلًا إذا قطعت أطرافه وشوهت به، ومثلت بالقتيل إذا جدعت أنفه أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئًا من أطرافه، والاسم المثلة، فأما مَثَّل بالتشديد فهو للمبالغة.اهـ (٤/ ٢٩٤).

(٤) وليدًا: أي صبيًا، شرح صحيح مسلم للنووي (٤/ ٣٧).

(٥) ذمة الله: الذمة هنا العهد.

(٦) صحيح مسلم ص٧٢٠ برقم (١٧٣١)، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة.

(٧) صحيح البخاري (٢/ ٢٣٦٢)، برقم (٣٠١٤)، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٦٤)، برقم (١٧٤٤)، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

وعن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصديق بعث جيوشًا إلى الشام، وخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير رُبع من تلك الأرباع، فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر: إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: ما أنت بنازل، وما أنا براكب، إني أحتسب خُطاي هذه في سبيل الله، ثم قال له: إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قومًا فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف.

وإني موصيك بعشر: «لا تقتلن امرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هَرِمًا، ولا تَقْطعنّ شجرًا مُثْمرًا، ولا تُخربنَّ عامرًا، ولا تَعْقِرنّ شاة، ولا بعيرًا إلا لمَأكَلَة، ولا تَحْرقنّ نخلًا، ولا تُفَرّقَنَّهُ، ولا تغلل، ولا تجبُن»[1].

«وعلى القائد أن يجعل سلاحه في حربه تقوى الله وحده، وكثرة ذكره والاستعانة به، والتوكل عليه، والفزع إليه، ومسألته التأييد والنصر، والسلامة والظفر، وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف يشاء، لا بالقوة ولا بالحيلة، وأن يبرأ إليه جل وعز من الحول والقوة، في كل أمر ونهي، ووقت وحال، وألا يدع الاستخارة لله في كل ما يعمل به، وأن يترك البغي والحقد، وينوي العفو، ويترك الانتقام عند الظفر، إلا ما كان لله فيه رضا، وأن يستعمل العدل، وحسن السيرة، والتفقد للصغير والكبير بما فيه مصلحة رعيته، وأن يعتمد في كل ما يعمل به في حربه طلب ما عند ربه عز وجل؛ ليجتمع له به خيري الدنيا والآخرة»[2].

خامسًا: من أسباب النصر على الأعداء

أولًا: الإيمان بالله، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

---

(١) موطأ مالك (٢، ٦، ٧).

(٢) منهج الإسلام في السلم والحرب، العقيد محمد العلي ص٣٣٦.

والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

ثانيًا: الإخلاص والصدق في نصر دين الله تعالى، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

ثالثًا: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة**»[(١)].

رابعًا: الثبات عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت**

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٣٩٤)، برقم (٣١٢٣)، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم..».

ظلال السيوف»[1].

خامسًا: الشجاعة والإقدام عند لقاء العدو، واليقين أن الأجل لا يقدمه إقدام ولا يؤخره إحجام، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤].

قال الشاعر:

تأخرتُ أستبقِ الحياةَ فلَمْ أجِدْ   لنَفْسي حياة مثلَ أنْ أتقدّما

وكان النبي ﷺ أشجع الناس، وأقواهم قلبًا عند لقاء العدو.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا والله إذا احمر البأس، نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يُحاذي به، يعني النبي ﷺ[2].

سادسًا: كثرة الذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به في معاركه، كما في معركة بدر وغيرها، وكان من دعائه: «**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم، وانصرنا عليهم**»[3].

سابعًا: لزوم طاعة الله تعالى ورسوله، والحذر من المعاصي والتنازع، قال

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٣١١) برقم (٢٨١٨)، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٦٢ - ١٣٦٣) برقم (١٧٤٢)، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٤٠١)، برقم (١٧٧٦)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين.

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٣٦٣) برقم (١٧٤٢)، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»(١).

ثامنًا: لزوم طاعة الأمير، والحذر من الاختلاف عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**»(٢).

تاسعًا: الصبر على مشاق الجهاد، وخاصة عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**»(٣).

عاشرًا: الإخلاص لله، فلا يكون المقاتل مجاهدًا في سبيل الله إلا

---

(١) مسند الإمام أحمد (٩/ ١٢٣) برقم (٥١١٤)، وقال محققوه: إسناده ضعيف، لكن لبعض ألفاظه شواهد.

(٢) ص١٣٦٢ برقم (٧١٣٧) كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ وصحيح مسلم ص٧٦٧ برقم (١٨٣٥)، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

(٣) مسند الإمام أحمد، (٥/ ١٩) برقم (٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح، وهم: الشيخ ١ - شعيب الأرناؤوط، ٢ - محمد نعيم العرقسوسي، ٣ - عادل مرشد، ٤ - إبراهيم الزيبق، ٥ - محمد رضوان العرقسوسي، ٦ - كامل الخراط.

بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1].

الحادي عشر: الأخذ بأسباب القوة، والإعداد لذلك؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[2].

ومن أعظم أسباب الخذلان المعاصي والذنوب، فإنها تخون العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبينًا سبب انهزام بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

ومن أعظم المعارك والغزوات في التاريخ الإسلامي التي جاهد فيها

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٣٠٩) برقم (٢٨١٠)، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وصحيح مسلم (٣/ ١٥١٢) برقم (١٩٠٤)، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. (٥٥) الجهاد فضله ومراتبه وأسباب النصر على الأعداء للشيخ سعيد بن وهف القحطاني.

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٢) برقم (١٩١٧)، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه.

المسلمون غزوة بدر الكبرى، والتي تحقق فيها ما سبق ذكره مختصرًا من أن الجهاد إنما شرع لإعلاء كلمة الله، وأن وعد الله الحق لمن نصره أن ينصره، وهذا ما سنراه مفصلًا إن شاء الله في الأبواب التالية.

* * *

الباب الأول

غزوة بدر في القرآن الكريم
والسنة النبوية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: فضائل يوم بدر في القرآن والسنة.

الفصل الثاني: بين يدي غزوة بدر.

الفصل الأول

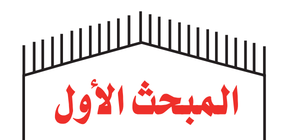
فضائل يوم بدر في القرآن والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعظيم يوم بدر، وبيان فضله في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تعظيم يوم بدر، وبيان فضله في السنة النبوية.

المبحث الثالث: نظرة عامة لما نزل في بدر من القرآن.



المبحث الأول

تعظيم يوم بدر وبيان فضله في القرآن الكريم

«لقد كانت معركة بدر أول معارك الإسلام الفاصلة، فرّق الله فيها بين الحق والباطل، والكفر والإيمان، وكانت بدر الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل، لرد البغي والطغيان، وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين قعد بهم الضعف في مكة، فلم يستطيعوا الهجرة إلى دار الإيمان.

إن معركة بدر التي نصر الله فيها نبيه محمدًا ﷺ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار على قلة في عددهم، وضعفٍ في عُددهم، وعلى أنهم لم يتهيؤوا للقتال، ولم يستعدوا له، هي التي بها تبين أن الباطل والظلم والطغيان مهما طال أمده، وقويت شوكته، وامتد سلطانه، فلا بد له من يوم يخر فيه صريعًا أمام جحافل الإيمان وكتائب الحق. وهكذا كانت غزوة بدر آيات للمتوسمين، وعبرة للمعتبرين، تبين من خلالها أن النصر من عند الله تعالى لمن نصره، وأن الغلبة لمن صدق معه، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧]»[(١)].

وهذه بعض الفضائل التي وردت في القرآن الكريم لغزوة بدر وأهل بدر، مستنبطة من الآيات الكريمات، مقتصرًا على الواضح منها.

أولًا: تسمية الله لها بيوم الفرقان:

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

(١) إيجاز البيان في سور القرآن للصابوني ص٣٢ - ٣٣.

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «سُمي يوم الفرقان لأن الله فرّق فيه بين الحق والباطل»[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: «ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر، ويُسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه، ونصر نبيه وحزبه»[٢].

ثانيًا: شهادة الله تعالى لأهل بدر بالإيمان:

قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال: ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤]. فهذه الآية وإن تناولت غيرهم من المؤمنين المجاهدين، فهي بأهل بدر أخص وأولى.

ثالثًا: نصر الله تعالى لهم بالرعب:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

قال ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم، وأملؤها فرقًا حتى ينهزموا عنكم»[٣].

والنصر بإلقاء الرعب في قلوب الأعداء من خصائص نبينا محمد ﷺ وأمته.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٣).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣١٣).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٩٦).

روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأُحلّت لي المغانم، ولم تُحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة»[1].

رابعًا: إمداد الله تعالى لأهل بدر بالملائكة:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٤].

والراجح أن هذه الآيات نزلت في بدر كما هو ظاهر السياق، وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لذلك.

خامسًا: إعانة الله لأهل بدر بأمور أخرى غير الملائكة:

أ - فمن ذلك: نزول النعاس عليهم، أمنة وتطمينًا، وإنزال المطر عليهم، إرواءً وتطهيرًا.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن القيم رحمه الله: «وأنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وابلًا شديدًا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلًّا طهرهم به،

---

(١) ص٨٦ برقم (٣٣٥) كتاب التيمم، باب، وصحيح مسلم ص٢١١ برقم (٥٢١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطّأ به الأرض وصلّب الرمل، وثبّت الأقدام، ومهّد به المنزل، وربطَ على قلوبهم»[1].

ب - ومنها: إصابة المشركين بالحَصباء التي رماهم بها النبي ﷺ، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

روى الطبراني من حديث حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفًا من الحصباء فاستقبلنا به، فرمانا بها وقال: «شاهت الوجوه»[2]، فانهزمنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾[3].

وروى ابن جرير والبيهقي عن ابن عباس والأموي عن عبد الله بن ثعلبة ابن صعير أن رسول الله ﷺ قال: «يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبدًا» فقال له جبريل: خذ قبضة من تراب فارم بها في وجوههم، فما بقي من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «احملوا»، فلم تكن إلا الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسَر من أسر، وأنزل الله ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾. قال ابن عقبة[4] وابن عائذ[5]: فكانت تلك الحصباء عظيمًا شأنها، لم تترك من المشركين رجلًا إلا ملأت عينيه، وجعل

---

(١) زاد المعاد (٣/ ١٧٥).

(٢) أي قَبُحت الوجوه، مختار الصحاح ص١٤٧.

(٣) (٣/ ٢٠٣) برقم (٣١٢٨)، وسنده ضعيف، فيه إبراهيم بن يحيى الشجري، قال الحافظ في التقريب: لين الحديث ص٩٥، وضعفه الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص٩٩ - ١٠٠.

(٤) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير، ثقة فقيه إمام في المغازي، من الخامسة، مات سنة إحدى وأربعين، انظر: التقريب ص٥٥٢، برقم (٦٩٩٢).

(٥) ابن عائذ: هو محمد بن عائذ الدمشقي، أبو أحمد، صاحب المغازي، صدوق، رمي بالقدر، من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين وله ثلاث وثمانون سنة، تقريب التهذيب ص٤٨٦، برقم (٥٩٨٩).

المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، وبادر كل رجل منهم منكبًا على وجهه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يرد على من حمل الآية على غير بدر: «وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم، والله أعلم»[(٢)].

وقال في موضع آخر بعدما نقل عن جمع من أهل العلم: إن هذه الآية نزلت في بدر، وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في غزوة حنين، كما سيأتي في موضعه[(٣)].اهـ.

ج - ومنها دعاؤهم على أنفسهم بالهلاك: وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩] الآية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثعلبة بن صُعَير[(٤)] أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا يُعرف، فأحِنْهُ[(٥)] الغداة، فكان المستفتح[(٦)].

د - ومنها: انهزام الشيطان عنهم، وقد كان يحسن لهم الخروج لحرب

---

(١) ابن جرير في تفسيره (٦/ ٢٠٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٧٨-٧٩) وفي سنده عبد الله بن صالح الجهني أبو صالح المصري كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، تقريب التهذيب ص٣٠٨، وعلي بن أبي طلحة مولى بني العباس، قال الحافظ في التقريب ص٤٠٢: أرسل عن ابن عباس ولم يره.
أما سند الأموي فقال: حدثنا أبي ثنا ابن إسحاق، حدثني الزهري عن ابن ثعلبة بن صُعير بنحوه، وهو سند جيد، وانظر: البداية والنهاية (٥/ ١٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٦).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ١٢٧).

(٤) ويُقال ابن أبي صعير بن عمرو بن زيد بن سنان القضاعي العذري، قال ابن مندة أبونعيم: هو مختلف فيه، فقيل ابن صعير، وقيل ابن أبي صعير، وقيل ثعلبة بن عبد الله، وقيل عبد الله بن ثعلبة، قال أبو عمر: قال الدارقطني: لثعلبة هذا ولابنه عبد الله صحبة. فعلى هذا لا يكون فيه اختلاف.اهـ. أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٥) أي أهلكه، شرح السيرة النبوية ص١٥٦.

(٦) (٥/ ٤٣١) قلت: وإسناده حسن.

الرسول ﷺ والمؤمنين، ويحضهم على ذلك، ويعدهم المعونة عليهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨].

روى الطبراني في المعجم الكبير عن رفاعة بن رافع وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمدّ الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بألف، فكان جبريل في خمسمائة مجنبة[١]، وميكائيل في خمسمائة مجنبة، وجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده، ثم ولى مدبرًا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، ألست تزعم أنك جار لنا؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب، فذلك حين رأى الملائكة، فتشبث به الحارث بن هشام، وأسلم بعد ذلك، وهو يرى أنه سراقة لما سمع كلامه؛ فضرب الشيطان في صدر الحارث فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يلوي حتى سقط في البحر، ورفع يديه وقال: يا رب موعدك الذي وعدتني، اللهم إني أسألك نظرتك إياي. وخاف أن يخلص إليه القتل، فقال أبو جهل: يا معشر الناس، لا يهمنكم خذلان سراقة، فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة، فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدًا وأصحابه بالحبال، ولا أُلفين رجلًا منكم قتل رجلًا منهم، ولكن خذوهم أخذًا حتى نعرفهم سوء صنيعهم[٢].

و - ومنها: أمر الله تعالى لملائكته بتثبيت قلوب المؤمنين، قال تعالى:

---

(١) المُجنَّبَة: بفتح النون: المقدمة، والمُجنِّبتان بالكسر، الميمنة والميسرة، القاموس المحيط ص٦٩.

(٢) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، وفي سنده عبد الله بن صالح، وهو صدوق كثير الغلط، وقد تقدم الكلام عليه. وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٤٧) برقم (٤٥٥٠) وفي سنده عبد العزيز بن عمران، وهو متروك.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال: ١٢].

سادسًا: إخباره تعالى بما سبق لأهل بدر عنده من الكرامة والمغفرة:

قال الله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨].

قال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾: أي لهم بالمغفرة، ونحوه عن سفيان الثوري[١].

معناه: لولا أنه تعالى حكم في الأزل بالعفو عن هذه الواقعة لمسهم عذاب عظيم، وهذا هو المراد من قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ومن قوله: «**سبقت رحمتي غضبي**»[٢]. وأما على قول المعتزلة فهم لا يجوزون العفو عن الكبائر، فكان معناه ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ في أن من احترز عن الكبائر صارت صغائره مغفورة، وإلا لمسّهم عذابٌ عظيم، وهذا الحكم وإن كان ثابتًا في حق جميع المسلمين، إلا أن طاعات أهل بدر كانت عظيمة وهو قبولهم الإسلام وانقيادهم لمحمد ﷺ وإقدامهم على مقاتلة الكفار من غير سلاح وأهبة، فلا يبعد أن يقال: إن الثواب الذي استحقوه على هذه الطاعات كان أزيد من العقاب الذي استحقوه على هذا الذنب، فلا جرم صار هذا الذنب مغفورًا، ولو قدرنا صدور هذا الذنب من سائر المسلمين لما صار مغفورًا، فبسبب هذا القدر من التفاوت حصل لأهل بدر هذا الاختصاص[٣].

سابعًا: إخباره تعالى عن نتيجة المعركة قبل بدئها، وذلك بالنصر للمؤمنين على الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٦).

(٢) الحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي» ص١٤٤٢، برقم (٧٥٥٣)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾، ومسلم ص١١٠١ برقم (٢٧٥١)، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ٢٠٣).

﴿ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك العير ليس دونها شيء. قال: فناداه العباس بن عبد المطلب: إنه لا يصلح لك. قال: ولِم؟ قال: لأنَّ الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك[1].

ثامنًا: تعليم الله تعالى للمجاهدين كيفية قتال عدوهم، ومواضع الإثخان فيهم

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ [الأنفال: ١٦] الآية.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ومفهوم الآية أن المتحرف للقتال هو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى؛ ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك؛ لأنه لم يول دبره فارًا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز»[2].

وقال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال: ١٢].

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «أي فاضربوا الهام وافلقوا الرؤوس، أو اضربوا على الأعناق، واقطعوا الأيدي ذات البنان التي هي أداة التصرف في الضرب وغيره، وهو متعين في حال هجوم الفارس من الكفار على الراجل من المسلمين، فإذا لم يسبق هذا إلى قطع يده قطع ذاك رأسه، والبنان جمع بنانة، وهو أطراف الأصابع»[3].

---

(١) (٣/ ٤٦٦) برقم (٢٠٢٢)، والحديث من رواية سماك عن عكرمة، وفيها اضطراب، ومع ذلك فقد قال الترمذي ص٤٩، برقم (٣٠٨٠): حديث حسن صحيح، وجود إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٨).

(٢) انظر: تفسير ابن سعدي، ص٣٦٠-٣٦١.

(٣) تفسير المنار (٩/ ٥١١).

تاسعًا: إظهار الله تعالى حل الغنائم لهذه الأمة في هذه الغزوة:

قال الله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩].

روى الطيالسي في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الغنيمة لا تحل لأحد سُود الرؤوس**[1] **غيركم**»، وكان النبي ﷺ[2] وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها، ونزلت نار فأكلتها، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ إلى آخر الآيتين[3].

عاشرًا: تفصيل الله تعالى في هذه الغزوة أحكام الغنائم، وأحكام الأسرى، وغير ذلك:

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١].

الحادي عشر: إخباره تعالى بأن خروجهم لهذه الغزوة وقع بأمره لا باجتهاد منهم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال: ٥].

وفي الآية بيان من الله تعالى أن خروج النبي ﷺ كان بالحق، لا كخروج

(١) سود الرؤوس: المراد بها بنو آدم، لأن رؤوسهم سود.

(٢) أي من الأنبياء السابقين.

(٣) (١٩/٢) وأخرجه الترمذي ص٤٩٠ برقم (٣٠٨٥)، وقال: حديث حسن صحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال.

المشركين الذين: ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].

الثاني عشر: تسمية الله تعالى لهذه الغزوة:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

ففي هذه التسمية إظهار شرف هذه الغزوة ومن شارك فيها، فإن هذا الاسم سيبقى مذكورًا ما بقي القرآن يُتلى.

الثالث عشر: وقوع بعض المعجزات والكرامات للنبي ﷺ وأصحابه:

فمن ذلك: أن الله نصرهم وهم أذلة قليلو العدد والعدة، وعدوهم أكثر منهم عددًا وعدة، على أنهم - أعني النبي ﷺ وأصحابه - لم يتهيؤوا، ولم يأخذوا أهبتهم لهذه الغزوة، أما عدوهم فقد أخذ بجميع الاحتياطات والأسباب التي يراها سبيلًا للنصر، وهذا من آيات الله ومعجزاته لمن تفكر واعتبر، قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

ومنها: استجابة الله تعالى لدعائهم، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

ومنها إنزال النعاس عليهم، قال تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان»[(١)]، وقال قتادة: «النعاس في الرأس، والنوم في القلب»[(٢)].

روى أبو يعلى في مسنده من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: لقد سقط السيف

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩١).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٩١).

مني يوم بدر لما غشينا من النعاس، يقول الله: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١][(١)].

قال ابن كثير: «يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانًا، أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم.. إلخ»[(٢)].

ومنها أن الله تعالى أراهم العدو أقل مما هم عليه لتقوى قلوبهم على حربهم، ويشجعهم على مواجهتهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: ٤٤].

قال ابن جرير: «إذ يُري الله نبيه في منامه المشركين قليلًا، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلًا، وهم كثير عددهم، ويُقلل المؤمنين في أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم»[(٣)].

روى ابن أبي شيبة من حديث أبي عبيدة عن أبيه قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لصاحب لي إلى جنبي: كم تراهم؟ سبعين؟ قال: أراهم مائة، حتى أخذنا منهم رجلًا فسألناه، فقال: كنا ألفًا[(٤)].

❊ ❊ ❊

---

(١) (٣/ ١٩) برقم (١٤٢٨)، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده صحيح.
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩١).
(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٥٩).
(٤) (٧/ ٣٦٠) برقم (٣٦٦٩٨)، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، كما سيأتي.



المبحث الثاني

تعظيم يوم بدر وبيان فضله في السنة النبوية

إن الذين شهدوا بدرًا من أصحاب النبي ﷺ هم صفوة الصحابة وخيارهم، وقد أعطاهم الله هذا الفضل العظيم لما قدموه في أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

إن أصحاب بدر هم النجوم المضيئة في التاريخ الإسلامي، فقد جعل الله على أيديهم هذا النصر العظيم، والفرقان الذي فرق به بين الحق والباطل، والعزة والرفعة التي حصلت للإسلام والمسلمين، والذلة والمهانة التي حصلت للكافرين. وقد هابت قبائل العرب رسول الله ﷺ وأصحابه بعد هذه المعركة، وصار الناس يتحدثون عن هزيمة قريش النكراء التي أضعفت من مكانتها عند القبائل، وكانت هذه المعركة الفاصلة هي البوابة الأولى لغزوات متتابعة أدت في النهاية للفتح الكبير، وهو فتح مكة، واندحار الكفر، ورفعة الإسلام وأهله. قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وإلى بيان ما جاء في السنة النبوية من فضائل هذه الغزوة، وقد ذكرت فيها ما صح وما لم يصح، وذلك للتنبيه على ضعفه.

أولًا: فضل من شهد بدرًا من الصحابة والملائكة على غيرهم:

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر، قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من

شهد بدرًا من الملائكة»[1].

وروى البخاري في صحيحه من حديث معاذ بن رفاعة بن رافع، وكان رفاعة من أهل بدر، وكان رافع من أهل العقبة، فكان يقول لابنه: «ما يسرني أني شهدت بدرًا بالعقبة، قال: سأل جبريل النبي ﷺ بهذا»[2].

قال ابن حجر: «والذي يظهر أن رافع بن مالك لم يسمع من النبي ﷺ التصريح بتفضيل أهل بدر على غيرهم، فقال ما قال باجتهاد منه، وشبهته أن العقبة كانت منشأ نصرة الإسلام، وسبب الهجرة التي نشأ منها الاستعداد للغزوات كلها، لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله أعلم»[3].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «**والذي نفسي بيده لو أن مولودًا ولد في فقه أربعين سنة من أهل الدين، يعمل بطاعة الله كلها، ويجتنب المعاصي كلها، إلى أن يرد إلى أرذل العمر، أو يُرد إلى أن لا يعلم بعد علم شيئًا، لم يبلغ أحدكم هذه الليلة**» وقال: «**إن للملائكة الذين شهدوا بدرًا لفضلًا على من تخلف منهم**»[4].

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: شكا عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**يا خالد، لمَ تؤذي رجلًا من أهل بدر، لو أنفقت مثل أحد ذهبًا لم تُدرك عمله**» الحديث[5].

ثانيًا: أن من قتل منهم في المعركة نال الفردوس الأعلى:

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة، أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن

---

(١) ص ٢٥٨، برقم (٣٩٩٢)، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا.

(٢) ص٢٥٨ برقم (٣٩٩٣)، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا.

(٣) فتح الباري (٧/ ٣١٣).

(٤) (٤/ ٢٨٤) برقم (٤٤٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٠٦): وفيه جعفر بن مقلاص، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٥) (١٥/ ٥٦٥) برقم (٧٠٩١)، وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

حارثة - وكان قتل يوم بدر - أصابه سهمٌ غرب[١]، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء؟ قال: «**يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فإن هذا لم يكن في بحبحة[٣] القتال، ولا في حومة الوغى[٤]، بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها، فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفًا في نحر العدو، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عددًا وعُددًا.اهـ[٥].

ثالثًا: أن أهلها مغفورٌ لهم:

روى البخاري في صحيحه من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[٦]، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها**»، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة[٧]، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من

---

(١) سهم غرب: أي لا يُعرف من أين أتى، أو جاء على غير قصد من راميه، قال أبو عبيدة وغيره: والثابت في الرواية بالتنوين وسكون الراء، وأنكره ابن قتيبة، فقال: كذا تقوله العامة، والأجود فتح الراء والإضافة، وحكى الهروي عن ابن زيد: إن جاء من حيث لا يعرف فهو بالتنوين والإسكان، وإن عرف راميه لكن أصاب من لم يقصد فهو بالإضافة وفتح الراء، قال: وذكره الأزهري بفتح الراء لا غير، وحكى ابن دريد وابن فارس والقزاز صاحب المنتهى وغيرهم الوجهين مطلقًا. فتح الباري (٦/ ٢٧).

(٢) ص٥٦ برقم (٢٨٠٩)، كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله.

(٣) البحبوحة من كل شيء وسطه، انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٩٨).

(٤) حومة الوغى: أشد موضع في الحرب أو القتال، المعجم الوسيط (١/ ٢١٠).

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢٥٨).

(٦) خاخ: بخاءين، ويقال روضة خاخ، قال الواقدي: روضة خاخ بقرب ذي الحليفة على بريد من المدينة، وذكر الواقدي حديث علي السابق، ثم بين فيه أن المكان قريب من اثني عشر ميلًا من المدينة، وفاء الوفا للسمهودي (٤/ ١١٩٨).

(٧) أي المرأة.

كتاب، فقلنا: لتُخرجنّ الكتاب أو لنلقينّ الثياب، فأخرجته من عقاصها[(١)]. فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب، ما هذا؟**». قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرءًا ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(٢)].

قال ابن حجر: والمراد منه هنا الاستدلال على فضل أهل بدر، بقوله ﷺ المذكور، وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم، ووقع الخبر بألفاظ منها: «**فقد غفرت لكم**»، ومنها: «**فقد وجبت لكم الجنة**»، ومنها: «**لعل الله اطلع**»، لكن قال العلماء: إن الترجي في كلام الله، وكلام رسوله للوقوع. وعند أحمد وأبي داود وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بالجزم، ولفظه: «**إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(٣)].

رابعًا: رجاء النبي ﷺ لأهل بدر ألا يدخلوا النار:

روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) العقاص: ضفائر الشعر، وأخرجت الكتاب من عقاصها أي ضفائرها، جمع عقيصة أو عقصة، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٧٤).

(٢) صحيح البخاري ص٥٧٥، برقم (٣٠٠٧)، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، وصحيح مسلم ص١٠١١، ١٠١٢، برقم (٢٤٩٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة.

(٣) فتح الباري (٧/ ٣٠٥)، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣) برقم (٧٩٤٠)، قلت: وإسناده حسن.

«كذبت. لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية»[1].

وروى البزار في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله»، ثم قال: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه[2].

وروى ابن ماجة في سننه من حديث أم مبشر عن حفصة قالت: قال النبي ﷺ: «إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرًا والحديبية»، قالت: قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]؟ قال: «ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]»[3].

خامسًا: إخباره ﷺ بأنه لولا أهل بدر لم يصلنا الإسلام، ولقضي عليه معهم:

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداءه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

---

(١) ص١٠٢٢ برقم (٢٤٩٥)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، وقصة حاطب بن أبي بلتعة.

(٢) كشف الأستار (٢٧٦١)، وقال ابن كثير: قد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه، وهو على شرط الصحيح.اهـ. البداية والنهاية (٥/ ٢٦٠). قلت: إسناد الحديث ضعيف فيه موسى بن مسعود النهدي، صدوق سيئ الحفظ، وكان يصحف، من صغار التاسعة، ويحيى بن أبي كثير الطائي، ثقة ثبت ولكنه يدلس ويرسل، وقد عنعن في هذا السند، تقريب التهذيب ص٥٥٤، ٥٩٦. ولكن يشهد له ما قبله وما بعده.

(٣) ص٤٦١ برقم ٤٢٨١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٤٢٥) برقم (٣٤٥٤).

﴿مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمدّه الله بالملائكة[1].

سادسًا: صدق الأنصار في إيوائهم النبي ﷺ ونصرته:

قال ابن إسحاق: «وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[2] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له، ثم قال رسول الله ﷺ: **أشيروا عليّ أيها الناس**. وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنَّك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**»، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض بنا يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبرٌ في الحرب صُدقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به

---

(١) ص٧٣١ برقم (١٧٦٣)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.
ورواه البخاري من حديث ابن عباس بنحوه ص٧٥٢ برقم ٣٩٥٣، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾.

(٢) بِرْكُ الغِماد: بكسر الغين المعجمة، وقال ابن وريد بالضم والكسر أشهر، موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان التيمي، معجم البلدان (٢/ ٣١٧).

عينك، فسر بنا على بركة الله.

قال: فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»[(١)].

وفي رواية قال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسول الله تريدنا؟ قال: «**أجل**». قال: إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحي إليك في غيره، وإنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن كل ما جئت به حق، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامض يا نبي الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منا رجل، وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت[(٢)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هكذا رواه ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ، وله شواهد من وجوه كثيرة[(٣)(٤)].

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة، أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضًا بقرًا والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر**»[(٥)].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٥-٢٠٦).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٤٩).
(٣) البداية والنهاية (٥/ ٧١).
(٤) وسيأتي تخريجه وذكر شواهده في موضعه ص ١٨٠.
(٥) ص ٩٣٤ رقم (٢٢٧٢)، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، وصحيح البخاري ص ٦٩٢ برقم (٣٦٢٢)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

سابعًا: وقوع بعض المعجزات والكرامات:

أ- من ذلك سماع المشركين كلام النبي ﷺ وخطابه لهم وهم أموات في القليب:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فقُذفوا في طوي[1] من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي[2]، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: **يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟** قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»، قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقيمة وحسرة وندمًا[3].

ب- تحديد مصارع القوم:

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة، فتراءينا الهلال، وكنت رجلًا حديد البصر فرأيته، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، قال: فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله**» قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ، قال: فجُعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ

---

(١) الأطواء: جمع طوي، وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار، فتح الباري (٧/ ٣٠٢).

(٢) أي طرف البئر، الفتح (٧/ ٣٠٢).

(٣) ص٦٤ برقم (٣٩٧٩)، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، وصحيح مسلم ص١١٥١ - ١١٥٢ برقم (٢٨٧٥)، كتاب الجنة، باب إتيان الحساب.

حتى انتهى إليهم[1]... الحديث.

ج ـ إخبار النبي ﷺ بقتل أمية بن خلف فكان كما قال:

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود، حدث عن سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرًا، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد أويتم الصُّباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم، سيد أهل الوادي، فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**». قال بمكة؟ قال لا أدري، ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد، قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة، قال لا أدري، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، قال أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، إنك متى يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي، تخلفوا معك، فلم يزل أبو جهل به حتى قال: أمَّا إذ غلبتني فوالله لأشترينَّ أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلًا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك، حتى قتله الله ﷻ ببدر[2].

---

(١) ص١١٥٢ برقم (٢٨٧٣)، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة.

(٢) ص٧٥١ برقم (٣٩٥٠)، كتاب المغازي، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر.

د- استجابة الله لدعاء نبيه على كل من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم الكفرة ببدر:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، وجمع قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها[1] ودمها وسلاها[2]، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام، وهي جويرية، فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجدًا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش**»، ثم سمى «**اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد ابن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد**»، قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «**وأتبع أصحاب القليب لعنة**»[3].

هـ- إحساس بعض الصحابة بوجود الملائكة بينهم يقاتلون:

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجلٍ من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم[4]، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر

(١) الفرث: بقايا الطعام في الكرش، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٨).

(٢) السّلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه، وقيل: هو في الماشية السلى، وفي الناس المشيمة. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٩٦).

(٣) ص١١٩ برقم (٥٢٠)، كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئًا من الأذى، وصحيح مسلم ص٧٤٦ برقم (١٧٩٤)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٤) قال في النهاية لغريب الحديث في «حديث بدر أقدم حيزوم»: جاء في التفسير أنه اسم فرس جبريل عليه السلام، أراد: أقدم يا حيزوم (١/ ٤٦٧).

مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه، وشُق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**»، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين[1].

و- إعانة بعض المسلمين بالملائكة على أسر العدو:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه، وفيه: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجلٌ أجلح[2] من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق[3]، ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: «**اسكت، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم**»، فقال علي: فأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلًا ونوفل بن الحارث[4].

ز- شهادة النبي ﷺ لبعضهم بالجنة: عمير بن حمام، حارثة بن سراقة، وغيرهم:

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**»[5] فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**»، قال: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟**»، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه[6]، فجعل

---

(١) ص٧٣٢ برقم (١٧٦٣)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٢) قال في النهاية (١/ ٢٨٤): الأجلح من الناس، الذي انحسر الشعر عن جانبي رأسه.

(٣) أبلق: وهو ما كان فيه سواد وبياض. المعجم الوسيط (١/ ٧٠).

(٤) (٢/ ٢٦٠ - ٢٦١) برقم (٩٤٨). وقال محققوه: إسناده صحيح، وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريجه للمسند (٢/ ١٩٤): إسناده صحيح.

(٥) أي قدامه، متقدمًا في ذلك الشيء؛ لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها.

(٦) قرنه: أي جعبته، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٥٥).

يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياةٌ طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[١].

قال ابن إسحاق وهو يروي قصة المبارزة بين علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث، مع أبناء عمهم: شيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وعتبة بن ربيعة: «أما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة، فذففا[٢] عليه، فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة، فجاءا به إلى أصحابه، وقد قطعت رجله فمخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألست شهيدًا يا رسول الله؟ قال: «**بلى**»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيًا لعلم أني أحق بما قال منه، حيث يقول:

ونسلمه حتى نُصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٣]

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة، أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[٤].

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن مسعود أنه قال: «إن الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر، جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك إطلاعة فقال: يا عبادي، ماذا تشتهون؟ فقالوا: يا ربنا، ما فوق هذا شيء؟ قال:

---

(١) ص٧٨٩ برقم (١٩٠١)، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٢) أي أسرعا قتله، يقال: ذففت على الجريح إذا أسرعت قتله، شرح السيرة النبوية ص١٥٧.

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٦٨)، وعزاه ابن كثير إلى الشافعي، وذكر القصة الواقدي في المغازي (١/ ٦٩-٧٠)، وأصلها في الصحيحين دون قوله: ألست شهيدًا يا رسول الله.. إلخ.

(٤) ص٥٤٢-٥٤٣ برقم (٢٨٠٩)، كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله.

فيقول: عبادي ما تشتهون؟ فيقولون في الرابعة: ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا»[(١)].

ح ـ نزول المطر عليهم بالقدر الذي يحتاجونه من غير زيادة ولا نقصان:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه، وهو يُحدّثُ عن ليلة بدر: أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف[(٢)]، نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل[(٣)].. الحديث.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «ولولا هذا المطر لما أمكن المسلمين القتال؛ لأنهم كانوا رجالة ليس فيهم إلا فارس واحد هو المقداد، كما تقدم. وكانت الأرض دهاسًا تسيخ فيها الأقدام، أو لا تثبت عليها»[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله: «وأنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وابلًا شديدًا، منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلًّا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل»[(٥)].

قال ابن إسحاق: «ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى[(٦)]، من الوادي خلف العقنقل[(٧)] وبطن الوادي، وهو يليل[(٨)] بين بدر وبين العقنقل الكثيب

---

(١) المعجم الكبير (١٠/ ٢٠٢)، قال في مجمع الزوائد (٦/ ٩٠): ورجاله ثقات.

(٢) الحجفَة التُّرْس، النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٤٥).

(٣) (٢/ ٢٦٠) برقم (٩٤٨)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) تفسير المنار (٩/ ٥٠٩ - ٥١٠).

(٥) زاد المعاد (٣/ ١٧٥).

(٦) أي البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة، تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٣).

(٧) العقنقل: هو كثيب متداخل من الرمل، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٨٢).

(٨) يليل: بياءين مفتوحتين بينهما لام وآخره لام، واد بناحية ينبع والصفراء يصب في البحر، وبه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون، وتجري في الرمل فلا يستطيعون الزراعة عليها إلا في أحياء الرمل، وبها نخل، وبقول: وتُسمى النجير، ويتلوها الجار، وهو على شاطئ من النجير، قاله عرام، وفاء الوفا (٤/ ١٣٣٣).

الذي خلفه قريش، والقلب[1]، ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة، وبعث الله السماء، وكان الوادي دهسًا[2]، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبّد[3] لهم الأرض، ولم يمنعهم عن المسير، وأصاب قريش منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به[4].

ط- كرامة لعمر وسعد رضي الله عنهما، حيث نزل القرآن موافقًا لرأيهما في الأسرى:

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قلت: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ -. وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩][5].

---

(١) القُلُب جمع قليب، القليب: البئر التي لم تطو، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٩٨).

(٢) الدهس: ما سهل ولان من الأرض، ولم يبلغ أن يكون رملاً، النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٤٥).

(٣) لبّد: معناه سدد، أي جعلها قوية لا تسوخ فيها الأرجل، انظر: شرح السيرة النبوية ص١٥٥.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٠).

(٥) ص٧٣٢ برقم (١٧٦٣)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

قال ابن إسحاق: فلما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشحًا السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كرة العدو، ورأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سعد ابن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟!**»، قال: أجل، والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان(١) في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال(٢).

ي- كرامة لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو قال: يشهد الصف(٣).

ك- استجابة الله دعاء نبيه في قتل نوفل بن خويلد:

روى الواقدي في مغازيه من طريق الزهري قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اكفني نوفل بن خويلد!**» وأقبل نوفل يومئذ وهو مرعوب قد رأى قتل أصحابه، وكان في أول ما التقوا هم والمسلمون، يصيح بصوت له زجل، رافعًا صوته: يا معشر قريش، إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة! فلما رأى قريشًا قد انكسرت جعل يصيح بالأنصار: ما حاجتكم إلى دمائنا؟ أما ترون ما تقتلون؟ أما لكم في اللبن من حاجة؟ فأسره جبار بن صخر فهو يسوقه أمامه. فجعل نوفل يقول لجبار - ورأى عليًا مقبلًا نحوه - قال: يا أخا الأنصار، من هذا؟ واللات والعزى إني لأرى رجلًا، إنه ليريدني! قال: هذا علي بن أبي طالب. قال: ما رأيت كاليوم رجلًا أسرع في قومه منه، فيصمد له علي عليه السلام فيضربه، فنشب سيف علي في حجفته ساعة، ثم نزعه فيضرب ساقيه، ودرعه مشمرة، فقطعها، ثم أجهز عليه

---

(١) الإثخان: كثرة القتل.
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٤).
(٣) (٢/ ٤١١) برقم (١٢٥٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «**من له علم بنوفل بن خويلد؟**» فقال علي: أنا قتلته. قال: فكبر رسول الله ﷺ وقال: «**الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه**»[(١)].

ل- إخبار النبي ﷺ بقتل عدو الله ورسوله عقبة بن أبي معيط، فكان كما قال:

روى أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلًا حليمًا، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلًا فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمرًا، فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ. فبات بليلة سوء! فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية، فقال: أَوَقَد فعلتها قريش؟ قال: فما يبري صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: «**إن وجدتك خارجًا من جبال مكة أضرب عنقك صبرًا**»، فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا. قال: لقد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرًا. فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين وحل[(٢)] به جمله في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيرًا في سبعين من قريش، وقُدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: «**نعم، بما بزقت في وجهي**»، فأنزل الله في أبي معيط: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان: ٢٧] إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٩][(٣)].

---

(١) (١/ ٩١ - ٩٢)، وهو مرسل، فالزهري لم يدرك النبي ﷺ.

(٢) الوحل: الطين الرقيق، مختار الصحاح ص٢٩٧. وجَدَد قال في النهاية: أي المستوي من الأرض (١/ ٢٤٥).

(٣) (٤٠٤ - ٤٠٥) وقال السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٢٠٧): إسناده صحيح، قلت: ولكن في سنده مروان السدي، قال الحافظ في التقريب ص٥٠٦: كوفي متهم بالكذب، ومحمد بن المسيب ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وروى أبو داود من حديث إبراهيم قال: أراد الضحاك بن قيس أن يستعمل مسروقًا، فقال له عمارة بن عقبة: أتستعمل رجلًا من بقايا قتلة عثمان، فقال له مسروق: حدثنا عبد الله بن مسعود، وكان في أنفسنا موثوق الحديث، أن النبي ﷺ لما أراد قتل أبيك قال: من للصِّبية؟ قال: «النار»، فقد رضيت لك ما رضي لك رسول الله ﷺ[1].

م- إخبار النبي ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب بما استودع زوجة أم الفضل من الذهب، فزالت شبهة العباس في صدقه وحقيقة نبوته:

روى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق قال: فبعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله، إني قد كنت مسلمًا. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك، فأما ظاهرًا منك فكان علينا، فافد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر**»، قال: ما أخال ذاك عندي يا رسول الله. قال: «**فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل، فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا فهذا المال لبني: الفضل بن العباس، وعبد الله بن العباس، وقثم بن العباس؟!**»، فقال لرسول الله ﷺ: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول.. إن هذا شيء ما علمه أحد غيري أو غير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا، ذاك شيء أعطاناه الله تعالى منك**»، ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله ﷻ فيه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٧٠].

---

(١) ص٣٠٣ برقم (٢٦٨٦)، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير صبرًا، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥١١)، برقم (٢٣٣٦).

فأعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبدًا، كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله ﷻ[1].

ن ـ كرامة لعكاشة بن محصن:

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي حليف بني عبد شمس بن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلًا[2] من حطب، فقال: «**قاتل بهذا يا عكاشة**»، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد سيفًا في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يُسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الردة، وهو عنده، قتله طليحة بن خويلد الأسدي[3].

س ـ كرامة لقتادة بن النعمان:

روى البيهقي في الدلائل من حديث قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته[4] على وجنتيه[5]، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البيهقي (٣/ ١٤٣) من طريق أبي عبد الله الحافظ، عن أبي العباس محمد بن يعقوب قال: أخبرنا أحمد بن عبد الجبار قال: أخبرنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق بالإسناد الذي ذكر لقصة بدر، وهو عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزهري وجماعة سماهم، فذكروا القصة، الحديث. وهذا السند فيه جهالة وإرسال، فقوله: جماعة هم مجهولون، وأيضًا الإرسال بينهم وبين النبي ﷺ، وقال البيهقي في آخر الحديث: وروى ابن إسحاق عن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية بنحو ما ذكرناه. وأبو نجيح هو عبد الله بن أبي نجيح، قال في التقريب: ثقة رمي بالقدر، وربما دلس ص٣٢٦ برقم (٣٦٦٢)، وعطاء هو ابن أبي رباح، ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، قيل إنه تغير بآخره، ولم يكثر ذلك منه، تقريب التهذيب ص٣٩١ برقم (٤٥٩١).

(٢) الجذل: بالكسر والفتح، أصل الشجرة يقطع، وقد يجعل العود جذلاً، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٥١).

(٣) (٢/ ٢٢٨)، وأخرجه الواقدي في مغازيه (١/ ٩٣)، من طريق عمر بن عثمان الجحش عن أبيه عن عمته قالت: قال عكاشة بن محصن: انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عودًا، فإذا هو سيف أبيض طويل، وقاتلت حتى هزم الله المشركين، فلم يزل عنده حتى هلك.

(٤) الحدقة: السواد المستدير وسط العين، المعجم الوسيط (١/ ١٦١).

(٥) الوجنة: ما ارتفع من الخدين، المعجم الوسيط (٢/ ١٠١٥).

فقال: «لا»، فدعا به، فغمز حدقته براحتيه، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

وفي رواية: فكانت أحسن عينيه، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة، وأنشد مع ذلك:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فـرُدّت بكفّ المصطفى أيما ردّ

فقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ عند ذلك، منشدًا قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن، فأنشده عمر في موضعه حقًا:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[1]

ع- كرامة لخبيب بن عدي ببركة دعاء النبي ﷺ:

روى البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق قال: أخبرني خبيب بن عبد الرحمن قال: ضرب خبيب - يعني ابن عدي - يوم بدر فمال شقه، فتفل عليه رسول الله ﷺ ولأمه[2] ورده فانطبق[3].

ف- كرامة لرافع بن مالك:

روى البيهقي في الدلائل من حديث رفاعة بن رافع بن مالك قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، قال: فأطعنه بالسيف فيها طعنة، فقطعته، ورميت بسهم يوم بدر، ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ، ودعا لي فما آذاني منها شيء[4].

---

(١) (٣/ ١٠٠)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٩١)، وفي سنده ضعف، يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال الحافظ في التقريب: حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث ص٥٩٣ برقم (٧٥٩١).

(٢) قال في النهاية (٤/ ٢٢٠): يقال لأم ولاءم بين الشيئين إذا جمع بينهما ووافق.

(٣) (٣/ ٩٨)، وهو منقطع بين خبيب بن عبد الرحمن، وخبيب بن عدي.

(٤) (٣/ ١٠٠) وفي سنده عبد العزيز بن عمران، وهو متروك كما في التقريب ص٣٥٨، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥٨)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي قائلًا: عبد العزيز ضعفوه. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١٤٨): هذا غريب من هذا الوجه، وإسناده جيد.

صّ ـ كرامة لسلمة بن أسلم:

روى الواقدي في مغازيه عن رجال من بني عبد الأشهل عدة، قالوا: انكسر سيف سلمة بن الأسلم بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيبًا كان في يده من عراجين ابن طاب[1]، قال: «اضرب به»، فإذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة[2].

قال ابن إسحاق: إن النبي ﷺ رد خبيب بن يساف، وضرب يوم بدر على حبل العاتق، فردها رسول الله ﷺ فلم ير منها إلا مثل خط[3].

ق ـ الريح العقيم التي أرسلت على المشركين يوم بدر:

روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أخذتهم ريح عقيم يوم بدر[4].

ثامنًا: تميزها عن غيرها من المعارك:

أ ـ أنها أول معركة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع[5].. الحديث.

إن معركة بدر كانت أول لقاء مسلح بين المسلمين والمشركين، وكانت معركة فاصلة، أكسبت المسلمين نصرًا حاسمًا، شهد له العرب قاطبة، وكان

---

(١) عراجين ابن طاب، والعرجون هو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العذق، وطاب نوع من أنواع التمر، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٠٣).

(٢) (١/ ٩٣ - ٩٤)، وفي سنده مجاهيل.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٠) برقم (٣٢٣٦٥)، وهو مرسل.

(٤) كشف الأستار (١٧٨٢). وفي سنده الأعمش، وهو مدلس، وقد عنعن.

(٥) صحيح البخاري ص٥٤٢ برقم (٢٨٠٥)، كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال، وصحيح مسلم ص٧٩٠ برقم (١٩٠٣)، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

انتصار المسلمين في هذه المعركة سببًا لعزتهم ورفعتهم، بل كان البوابة الأولى لغزوات متتابعة، رفعت فيها راية الإسلام خفاقة، وأذل الله فيها الكفر وأهله.

ب- أنها كانت مع أكبر عدو:

فقد كانت قريش تحتل المكانة العظمى عند قبائل العرب، فهم أهل السيادة والحجابة والسقاية، وهم سدنة البيت الحرام، وهم أهل التجارة ورؤوس الأموال. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش: ١ - ٢].

قيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس؛ لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم فهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حالة إقامتهم في البلد، فكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٧][1].

ج- أنه تم القضاء فيها على عدد كبير من رؤوس الكفر والطغيان:

وقد سبق في مخاطبته عليه الصلاة والسلام لصناديد قريش في البئر أن عددهم أربعة وعشرون رجلًا، ممن عذبوا المسلمين في مكة، ووقفوا في طريق الدعوة إلى الله، وممن امتلأت قلوبهم حقدًا وغيظًا على الإسلام وأهله، وكان في قتل هؤلاء على أيدي المسلمين تعذيبًا وخزيًا لهم في الدنيا قبل الآخرة، وقد أشفى الله بقتلهم صدور المؤمنين المظلومين المعذبين في مكة، وكان في قتلهم ضربة لقريش، وإضعافًا لهم، فهم سادة قريش، وقادتها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش، إذ جاء عقبة ابن أبي معيط بسلا

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥٣).

جزور، فقذفه على ظهر رسول الله ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على من صنع ذلك، فقال: «**عليك الملأ من قريش، أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، أو أبي ابن خلف**» (شعبة الشاك)، قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر، غير أن أمية أو أبيًا تقطعت أوصاله، فلم يُلق في البئر(١).

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح بقية أسماء المشركين الذين ألقوا في البئر، فقال: ومن رؤساء قريش ممن يصح إلحاقه بمن سمي من بني عبد شمس بن عبد مناف: عبيدة، والعاص والد أبي أحيحة، وسعيد بن العاص بن أمية، وحنظلة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة بن ربيعة، ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي، ومن سائر قريش: نوفل بن خويلد بن أسد، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وأخوه عقيل، والعاصي بن هشام أخو أبي جهل، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي، وعلي بن أمية بن خلف، وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة، ومسعود ابن أبي أمية، أخو أم سلمة، وقيس بن الفاكه بن المغيرة، والأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة، وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي، وأميمة بن رفاعة بن أبي رفاعة، فهؤلاء العشرون تنضم إلى الأربعة فتكمل العدة(٢).

د ـ مشاركة خيار الملائكة (جبريل وميكائيل):

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو قال: يشهد الصف(٣).

---

(١) ص٦٨ - ٦٩، برقم (٢٤٠)، كتاب الوضوء، باب إذا أُلقي على ظهر المصلي قذرًا وجيفة لم تفسد عليه صلاته، وصحيح مسلم ص٧٤٦ برقم (١٧٩٤)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين.

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٠٢).

(٣) (٢/ ٤١١) برقم (١٢٥٧)، قلت: وإسناده صحيح.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب**»[1] وفي رواية: «**على ثناياه[2] النقع**»[3].

وروى ابن جرير في تفسيره من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز أن النبي ﷺ قال: «**ما رؤي إبليس يومًا هو فيه أصغر، ولا أحقر، ولا أدحر، ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب، إلا مما رأى يوم بدر**»، قالوا: يا رسول الله، وما رأى يوم بدر؟ قال: «**أما إنه رأى جبريل يزَعُ الملائكة**»[4][5].

هـ- قتال النبي ﷺ فيها:

قال ابن كثير رحمه الله: وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالًا شديدًا ببدنه، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا، فحرضا وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان، جمعًا بين المقامين الشريفين[6].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا[7].

و- ظهور صدق الصحابة في موالاتهم للمؤمنين ومعاداتهم للكافرين:

في معركة بدر ظهرت صور الولاء للمؤمنين، والعداوة للكافرين، فقد قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاله العاص بن هشام بن المغيرة، ولم يلتفت إلى قرابته

---

(١) ص٧٥٩ برقم (٣٩٩٥)، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا.

(٢) الثنايا: إحدى الأسنان الأربع التي في مقدمة الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من تحت، المعجم الوسيط (١/ ١٠٢).

(٣) النقع: الغبار، النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٠٩).

(٤) يَزعُ: أي يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب، فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار، النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٨٠).

(٥) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٦٥)، وهو مرسل، طلحة بن عبيد الله لم يدرك النبي ﷺ.

(٦) البداية والنهاية (٥/ ١١١).

(٧) (٢/ ٨١) برقم (٦٥٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

منه، وقتل عبيدة بن الجراح أباه يوم بدر، وهم أبو بكر بقتل ابنه عبد الرحمن(١).

وقتل حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث أبناء عمهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وذلك في المبارزة يوم بدر(٢)، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ز- قتل فرعون هذه الأمة أبي جهل:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: أتيت النبي ﷺ يوم بدر، فقلت: قتلت أبا جهل. قال: «**آلله الذي لا إله إلا هو؟**»، قال: قلت: آلله الذي لا إله إلا هو! فرددها ثلاثًا، قال: «**الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق فأرنيه**» فانطلقنا، فإذا به، فقال: «**هذا فرعون هذه الأمة**»(٣).

وقد كان قتل أبي جهل على يدي معاذ بن عفراء، معاذ بن عمرو بن الجموح، وهما من شباب الأنصار، ثم أجهز ابن مسعود عليه بعد ذلك وهو في الرمق الأخير، كما سيأتي بيانه في موضعه.

ح- انفرادها بكثير من السنن والآداب والأحكام المتعلقة بالقتال، وغيره، أذكر بعضًا من ذلك:

أولًا: أن من سنة الرسول ﷺ بعد الانتهاء من المعركة أن يقيم في العرصة ثلاثة أيام.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٩).

(٢) سيأتي تخريجه في موضعه ص٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) (٧/ ٢٨٠) برقم (٤٢٤٧)، وقال محققوه: أبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود، لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله ثقات.

ثانيًا: جواز النكاية بالعدو بقتل رجالهم، وأخذ أموالهم، وإخافة طرقهم التي يسلكونها، لما في ذلك من إضعافهم معنويًا واقتصاديًا، وهذا الذي فعله رسول الله ﷺ عندما خرج يريد عير قريش.

ثالثًا: جواز فداء الأسارى، أو المن عليهم حسب ما يرى الإمام المصلحة فيه.

رابعًا: السنة في الشهداء أن يدفنوا في مضاجعهم، كما حدث لشهداء بدر، وأيضًا لم يذكر عنه عليه الصلاة والسلام أنه صلى عليهم.

خامسًا: أنه لا حرمة للكافر، فالكافر الحربي حلال الدم والمال.

وسيأتي مزيد بيان للأحكام المتعلقة بهذه الغزوة في فصل: الفوائد والعبر المستفادة من غزوة بدر.

ط ـ وقوعها في شهر رمضان، وبعد أيام من وقوعها عيّد المسلمون أجمل عيد وأحسنه:

كانت غزوة بدر في السابع عشر من رمضان المبارك، كما سيأتي ذكره في موضعه.

قال ابن جرير: «في هذه السنة - أي الثانية - صلى النبي ﷺ صلاة العيد، وخرج بالناس إلى المصلى، فكانت أول صلاة عيد صلاها، وخرجوا بين يديه بالحربة[1]، وكانت للزبير، وهبها له النجاشي، فكانت تحمل بين يدي رسول الله في الأعياد»[2].

قال الشيخ المباركفوري: «ومن أحسن المواقع، وأروع الصدفات أن أول عيد عيّد به المسلمون في حياتهم هو العيد الذي وقع في شوال سنة (٢هـ)، إثر الفتح المبين الذي حصل لهم في غزوة بدر، فما أروع هذا العيد السعيد الذي جاء به الله بعد أن توج هامتهم بتاج الفتح والعز، وما أروق منظر تلك الصلاة التي صلوها بعد أن خرجوا من بيوتهم يرفعون أصواتهم بالتكبير والتوحيد والتحميد،

(١) الحربة: آلة قصيرة من الحديد، محددة الرأس، تستعمل في الحرب، المعجم الوسيط (١/ ١٦٤).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤١٨)، نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٥٤).

وقد فاضت قلوبهم رغبة إلى الله، وحنينًا إلى رحمته ورضوانه، بعدما أولاهم به من النعم، وأيدهم به من النصر، وقد ذكرهم بذلك قائلًا: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]»[١].

تاسعًا: انخذال المشركين واليهود والمنافقين، بعد انتصار المسلمين في هذه الغزوة:

إن معركة بدر كانت أول لقاء مسلح بين المسلمين والمشركين، وكانت معركة فاصلة أكسبت المسلمين نصرًا حاسمًا شهد له العرب قاطبة، والذين كانوا أشد استياء لنتائج هذه المعركة هم أولئك الذين مُنوا بخسائر فادحة مباشرة، وهم المشركون، أو الذين كانوا يرون عزة المسلمين وغلبتهم ضربة قاصمة على كيانهم الديني والاقتصادي، وهم اليهود. فمنذ أن انتصر المسلمون في معركة بدر كان هذان الفريقان يحترقان غيظًا وحنقًا على المسلمين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢].

أما اليهود، فلم يعودوا يسيطرون على أفعالهم وأقوالهم التي تنم عن الغضب والحقد المتأججين، فاندفعوا نحو العدوان، مما أدى إلى إجلاء بني قينقاع عن المدينة.

أما المشركون، فلم يصدقوا ما حدث، فقد قتل سادتهم وأبطالهم، ولكنهم تجلدوا فمنعوا البكاء والنياحة على قتلاهم؛ لئلا يشمت بهم المسلمون، وصمموا على الثأر والانتقام من المسلمين في أقرب فرصة.

وكانت في المدينة بطانة لفريقين دخلوا في الإسلام حين لم يبق مجال لعزهم إلا في الإسلام، وهم: عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، ولم تكن هذه الفرقة الثالثة أقل غيظًا من الأوليين، ولكنهم أسلموا من أجل مصالحهم الخاصة.

---

(١) الرحيق المختوم ص٢٥٠.

روى البخاري في صحيحه من حديث أسامة بن زيد في حديث طويل، وفيه: فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه[١]، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام، فأسلموا[٢].

وكانت هناك فرقة رابعة، وهم البدو الضاربون حول المدينة، لم يكن يهمهم مسألة الكفر والإيمان، ولكنهم كانوا أصحاب سلب ونهب، فأخذهم القلق، واضطربوا لهذا الانتصار، وخافوا أن تقوم في المدينة دولة قوية، تحول بينهم وبين اكتساب قوتهم عن طريق السلب والنهب، فجعلوا يحقدون على المسلمين، وصاروا لهم أعداء.

وتبين بهذا أن الانتصار في بدر، كما كان سببًا لشوكة المسلمين وعزهم وكرامتهم، كذلك كان سببًا لحقد جهات متعددة، وكان من الطبعي أن يتبع كل فريق ما يراه كفيلًا لإيصاله إلى غايته[٣].

مكانة بدر عند الصحابة:

كان لهذه الغزوة المباركة عند الصحابة مكانة عظيمة، وقد كانوا يجلون من شهدها منهم، ويعترفون بسبقهم، ويتمنى من لم يحضرها منهم أن لو حضرها، فصار من أهلها بكل ما يملك.

روى البخاري في صحيحه من حديث قيس قال: كان عطاء البدريين خمسة آلاف، خمسة آلاف، وقال عمر: لأفضلنهم على من بعدهم[٤].

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة زوج النبي ﷺ

---

(١) أي استقر فلا مطمع في إزالته.
(٢) ص٨٦٦ برقم (٤٥٦٦)، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾.
(٣) انظر: الرحيق المختوم ص٢٥١.
(٤) ص٧٦٢ برقم (٤٠٢٢)، كتاب المغازي، باب.

قالت: فأقبلت أنا وأم مسطح فعثرت أم مسطح في مرطها[(١)]، فقالت: تعس مسطح، فقلت: بئس ما قلت، تسبين رجلًا شهد بدرًا[(٢)].

وروى البخاري في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فلقينا منهم رجلان صالحان شهدا بدرًا[(٣)].

وروى ابن حزم في المحلى من حديث عبد الله بن مغفل أن عليًا رضي الله عنه صلى على سهل بن حنيف، فكبر عليه ستًا، ثم التفت إلينا فقال: إنه بدري[(٤)].

وقال الشعبي: «وقدم علقمة من الشام فقال لابن مسعود: إن إخوانك بالشام يكبرون على جنائزهم خمسًا، فلو وقتم لنا وقتًا نتابعكم عليه، فأطرق عبد الله ساعة، ثم قال: انظروا جنائزكم، فكبروا عليها ما كبر أئمتكم، لا وقت ولا عدد».

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدخل هذا الفتى ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١ - ٢]... الحديث[(٥)].

---

(١) المرْط: كساء من خز أو صوف أو كتان يؤتزر به، وتتلفع به المرأة، المعجم الوسيط (٢/ ٨٦٤).

(٢) ص٧٦٣ برقم (٤٠٢٥)، كتاب المغازي، باب، وصحيح مسلم ص١١١٢ - ١١١٥ برقم (٢٧٧٠)، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

(٣) ص٧٦٢ برقم (٤٠٢١)، كتاب المغازي، باب.

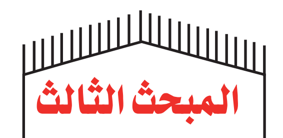
(٤) (٥/ ١٢٦) وقال ابن حزم: وهذا إسناد غاية في الصحة، قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله: وقد أخرج منه قصة علي رضي الله عنه أبو داود في مسائله عن الإمام أحمد ص١٥٢، والطحاوي (١/ ٢٨٧)، والحاكم (٣/ ٤٠٩)، والبيهقي (٤/ ٣٦)، وسندهم صحيح على شرط الشيخين، وهي عند البخاري في المغازي (٧/ ٢٥٣) دون قوله: «ستًا»، وقصة ابن مسعود أخرجها الطحاوي والبيهقي (٤/ ٣٧) نحوه. الجنائز ص١٤٣.

(٥) ص٨١١ برقم (٤٢٩٤)، كتاب المغازي، باب.

وروى الحاكم في المستدرك من حديث الحسن قال: حضر أناس باب عمر، وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب، والشيوخ من قريش، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر، كصهيب وبلال وعمار، قال: وكان والله بدريًا وكان يحبهم، وكان قد أوصى به، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه يؤذن لهذه العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا، فقال سهيل بن عمرو: ويا له من رجل ما كان أعقله أيها القوم، إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل فيما يرون أشد عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه، ثم قال: إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه، عسى الله ﷻ أن يرزقكم الجهاد والشهادة، ثم نفض ثوبه فقام، فلحق بالشام. قال الحسن: صدق والله، لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه[1].

❊ ❊ ❊

(١) (٣/٣١٨) برقم (٥٢٢٧)، وهو مرسل.



نظرة عامة لما نزل في بدر من القرآن

لقد نزلت آيات كثيرة في كتاب الله تناولت الحديث عن غزوة بدر، في سور متفرقة: الأنفال، آل عمران، الحج، الدخان، وغيرها من السور.

ومن أكثر السور التي تناولت الحديث عن غزوة بدر سورة الأنفال، حتى سماها بعض الصحابة سورة بدر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر[1]، وكان نزولها بعد غزوة بدر، وقد رسمت الخطة التفصيلية للقتال، ونبهت المؤمنين إلى بعض نقاط الضعف حتى يتداركوها، وبينت ما يجب أن يكون عليه الجندي المسلم من البطولة والشجاعة، والجرأة، والصمود؛ لأنه يقاتل في سبيل غاية نبيلة، ويجاهد لإعلاء كلمة الله، وكانت هذه الغزوة الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل، لرد البغي والطغيان، وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين قعد بهم الضعف في مكة، فلم يستطيعوا الهجرة لبلد الأمن والإيمان، وقد استجاب الله ضراعتهم، فهيأ لهم ظروف تلك الغزوة، التي تم فيها النصر للمؤمنين على قلة في عددهم، وهكذا كانت غزوة بدر درسًا لا ينسى، وعبرة لا تمحى، أمام التاريخ والأجيال في أن النصر من عند الله.

وقد قسمت هذه الآيات التي نزلت في بدر إلى مقاطع، وفي كل مقطع أتحدث عن الآيات بشكل موجز، وقد رتبت السور حسب ترتيبها في المصحف.

(١) ص٨٨٥ برقم (٤٦٤٥)، كتاب التفسير، باب سورة الأنفال، وصحيح مسلم ص١٢١٣ برقم (٣٠٣١)، كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر.

سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

قال ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب، ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال: «يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله ما أصاب قريشًا». فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا[1]، لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]. إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣][2].

قال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أي قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم ﴿ءَايَةٌ﴾، أي دلالة على أن الله معز دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومُعلِ أمره، ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ أي طائفتين، ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ أي للقتال، ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المسلمون، ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر»[3].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ

---

(١) أغمار: جمع غُمر بالضم، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٥).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٨) وعاصم بن عمر بن قتادة، تابعي، فالأثر مرسل، ورواه ابن إسحاق أيضًا عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس فذكره، ومحمد ابن أبي محمد مجهول، وأخرجه أبو داود ص٣٤٠ برقم (٣٠٠١) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني في ضعيف سنن أبي داود ص٢٩٨ برقم (٦٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٠).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ إلى آخر الآية[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦].

فهذه الآيات امتنان منه سبحانه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم به يوم بدر وهم أذلة، في قلة عددهم وعُددهم، مع كثرة عدوهم وعُددهم، وقد شرط الله لإمدادهم بالملائكة ثلاثة شروط: الصبر والتقوى، وإتيان المشركين من فورهم هذا، وما جعله الله - أي إمداده لكم بالملائكة - إلا بشرى تستبشرون بها، وتفرحون وتطمئن قلوبكم بها، وما النصر إلا من عند الله، فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله ينصر من يشاء من عباده[(٢)].

وقال ابن كثير رحمه الله: «﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ أي يوم بدر، وكان يوم جمعة، وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه،

---

(١) ص٤٨٠ برقم (٣٠٠٩) كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم، ولم يذكر فيه عن ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٣٤) برقم (٢٤٠٧).

(٢) انظر: تفسير ابن سعدي ص١٥٤.

هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، فيهم فارسان وسبعون بعيرًا، والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذٍ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة[1]، والحلي الزائد، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، ولهذا قال تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ أي قليل عددكم؛ لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد»[2].

سورة النساء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٨].

روى البخاري في صحيحه من حديث عكرمة عن ابن عباس أنه قال: إن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[3].

وروى ابن جرير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: «كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا» فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ الآية[4].

---

(١) المسومة: قال ابن عباس: المسومة الراعية والمطهمة الحسان، وقال مكحول: المسومة الغرة والتحجيل، وقيل غير ذلك، انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٠).

(٣) ص٨٧٣، برقم (٤٥٩٦)، كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾.

(٤) (٤/ ٢٣٥) قلت: وإسناده صحيح.

سورة الأنفال:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يارسول الله: إن الله قد شفى صدري من المشركين، أو نحو هذا، هب لي هذا السيف، فقال: «**هذا ليس لي ولا لك**»، فقلت: عسى أن يُعْطَى هذا من لا يبلي بلائي، فجاءني الرسول فقال: «**إنك سألتني وليس لي، و إنه قد صار لي، فهو لك**»، فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ﴾ الآية[١].

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس، فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحدٍ فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، واشتغلنا به، فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ﴾ الآية، فقسمها رسول الله ﷺ على المسلمين[٢].

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «**من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا**»، قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردءًا لكم لو انهزمتم لفئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان، وقالوا: جعله

---

(١) ص٤٩٠ برقم (٣٠٧٩)، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، ورواه مسلم مطولاً ص٧٢٥ برقم (١٧٤٨)، ومختصرًا ص٧٢٤ برقم (١٧٤٨)، كتاب الجهاد والسير باب الأنفال.

(٢) (٣٧/ ٤٢٢) برقم (٢٢٧٦٢)، وقال محققوه: حسن لغيره.

رسول الله ﷺ لنا، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ [الأنفال: ١]، إلى قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]. يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذلك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم[١].

قال الشيخ مقبل الوادعي: ولا تنافي بين السببين، إذ لا مانع أن تكون الآية نزلت في الجميع، والله أعلم[٢].

وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ - ٨].

في هذه الآيات الكريمات يخبر الله تعالى عن حال المؤمنين، فيقول: كما أنكم لما اختلفتم في الغنائم فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قسمه وقسم رسول الله ﷺ، كذلك أمرك ربك يا محمد بالخروج من المدينة للقاء عير قريش، وذلك بالوحي الذي أتاك به جبريل، مع كراهة فريق من المؤمنين للخروج.

والحاصل أنه وقع للمسلمين في وقعة بدر كراهتان: كراهة قسمة الغنيمة على السوية، وهذه الكراهة من شبانهم فقط، وهي لداعي الطبع، ولتأويلهم بأنهم باشروا القتال دون الشيوخ، والكراهة الثانية كراهة قتال قريش، وعذرهم فيها أنهم خرجوا من المدينة ابتداء لقصد الغنيمة، ولم يتهيؤوا للقتال، فكان ذلك سبب كراهتهم للقتال، فشبه الله إحدى الحالتين بالأخرى في مطلق الكراهة، قاله سليمان الجمل. قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ أي الخروج،

(١) ص٣٠٩ برقم (٢٧٣٧)، كتاب الجهاد، باب في النفل، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٢٢) برقم (٢٣٧٦).
(٢) الصحيح المسند من أسباب النزول ص٩٨.

وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام وخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها، وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجع، فأبى وسار إلى بدر، فشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: «**إن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين**»(١) فوافقوه على قتال النفير، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له، يقول - أي ابن عباس -: فكان الخروج إلى بدر خيرًا لهم، لما ترتب عليه من النصر والظفر(٢).

ثم قال سبحانه: يجادلك يا محمد فريق من المؤمنين في القتال، من بعد ما تبين لهم أن ذلك واقع، كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون إليه عيانًا.

ثم قال: واذكروا أيها المجادلون وعد الله لكم بالظفر بإحدى الطائفتين، العير وما تحمله من أرزاق، أو النفير، وهو قتال الأعداء والانتصار عليهم، وأنتم تحبون الظفر بالعير دون القتال.

ويريد الله أن يحق الحق ويعليه بأمره إياكم بقتال الكفار، ويستأصل الكافرين بالهلاك(٣).

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال: ٩ - ١٤].

---

(١) تقدم تخريجه ص٥٥.

(٢) انظر: عون المعبود، للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي (٧/ ٢٩٣).

(٣) انظر: التفسير الميسر، لجماعة من العلماء، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية، ص١٧٧.

أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ وأغاثكم بعدة أمور:

منها: أن الله أمدّكم بألف من الملائكة مردفين، أي يردف بعضهم بعضًا، ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾، أي إنزال الملائكة ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾، أي لتستبشر بذلك نفوسكم، ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾، وإلا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عدد ولا عُدد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: لا يغالبه مغالب، بل هو القهار الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا.

﴿حَكِيمٌ﴾: حيث قدر الأمور بأسبابها، ووضع الأشياء مواضعها.

ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسًا ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ أي: فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون ﴿أَمَنَةً﴾ لكم، وعلامة على النصر والطمأنينة.

ومن ذلك أنه أنزل عليكم من السماء مطرًا ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم من وساوس الشيطان ورجزه.

﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: يثبتها، فإن ثبات القلب أصل ثبات البدن، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾، فإن الأرض كانت سهلة دهسة، فلما نزل عليها المطر، تلبدت، وثبتت به الأقدام.

ومن ذلك أن الله أوحى إلى الملائكة ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾، بالعون والنصر والتأييد.

﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله.

﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ الذي هو أعظم جند لكم عليهم، فإن الله إذا ثبت المؤمنين، وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الثبات لهم، ومنحهم الله أكتافهم.

﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ أي: على الرقاب، ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ أي: مفصل.

وذلك لأنهم ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾، أي: حاربوهما، وبارزوهما بالعداوة، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، ومن عقابه تسليط أوليائه على أعدائه، وتقتيلهم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب المذكور ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها المشاقون لله ورسوله عذابًا معجلًا، ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وفي هذه القصة من آيات الله العظيمة، ما يدل على أن ما جاء به محمد ﷺ رسول الله حق.

منها: أن الله وعدهم وعدًا، فأنجزهموه.

ومنها: ما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٣].

ومنها: إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب.

ومنها: الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب، التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

ومنها: أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، وييسرها بأسباب داخلية وخارجية(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فما زال يهتف بربه مادًا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي ٣٥٩- ٣٦٠.

﴿ مُرۡدِفِينَ ﴾ فأمده الله بالملائكة[1].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعي في جلب الأسباب المقوية للقلوب والأبدان، ونهاهم عن الفرار، إذا التقى الزحفان، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا ﴾ أي: في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقترب بعضهم من بعض ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾.. بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، فإن في ذلك نصرةً لدين الله، وقوةً لقلوب المؤمنين، وإرهابًا للكافرين.

وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد.

ومفهوم الآية الأخيرة: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك؛ لأنه لم يول دبره فارًا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك أو غير ذلك من مقاصد المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار فإن ذلك جائز[2].

روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: نزلت في يوم بدر ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ ﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير: وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حرامًا

---

(١) سبق تخريجه ص٥٤.

(٢) انظر: تفسير ابن سعدي ٣٦٠.

(٣) ص٢٩٩ برقم ٢٦٤٨، كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف، وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٧) برقم (٣٢٦٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٠٢) برقم (٢٣٠٦).

على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم[(١)] من أن الفرار من الزحف من الموبقات، كما هو مذهب الجماهير، والله أعلم[(٢)].

قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

يقول - تعالى ذكره - للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين، أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم، وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به، الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم، وكذلك قوله لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾.

فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رُموا به من المشركين، والسبب الرمية لرسوله[(٣)].

روى ابن جرير والبيهقي عن ابن عباس والأموي عن ثعلبة بن صعير أن رسول الله ﷺ قال: «**يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا**»، فقال له جبريل: خذ قبضة من تراب فارم بها في وجوههم، فما بقي من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**احملوا**»، فلم تكن إلا الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر، وأنزل الله ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

---

(١) يعني حديث النبي ﷺ المخرج في الصحيحين أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخاري ص٥٢٣ برقم (٢٧٦٦)، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ...﴾، ومسلم ص٦٣ برقم (٨٩)، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٥).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٦/ ٢٠٢).

﴿رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، قال ابن عقبة وابن عائذ: فكانت الحصباء عظيمًا شأنها، لم تترك من المشركين رجلًا إلا ملأت عينيه، وجعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، وبادر كل رجل منهم منكبًا على وجهه، لا يدري أين يتوجه، يعالج التراب ينزعه من عينيه[1].

قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

«يقول تعالى: إن تطلبوا أيها الكفار من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين، فقد أجاب الله طلبكم، حين أوقع الله بكم من عقابه ما كان نكالًا لكم، وعبرة للمتقين، ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أيها الكفار عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه محمد ﷺ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ﴾ في دنياكم وأخراكم، وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد ﷺ وقتال أتباعه المؤمنين، نعد بهزيمتكم كما هزمتم يوم بدر، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئًا، كما لم تغن عنكم يوم بدر، مع كثرة عددكم وعتادكم، وقلة عدد المؤمنين وعدتهم، وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره»[2].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا يعرف، فأحنه[3] الغداة. فكان المستفتح[4].

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

يقول تعالى: واذكروا أيها المؤمنون نعم الله عليكم إذ أنتم بمكة قليلو العدد مقهورون تخافون أن يأخذكم الكفار بسرعة، فجعل لكم مأوى تأوون

---

(١) سبق تخريجه ص٤٢.
(٢) التفسير الميسر ص١٧٩.
(٣) أي أهلكه.
(٤) سبق تخريجه ص٤٣.

إليه، وهو المدينة، وقواكم بنصره لكم يوم بدر، وأطعمكم غنيمتهم حلالًا؛ لكي تشكروا له على ما رزقكم وأنعم به عليكم[(١)].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٢ - ٣٥].

يخبر تعالى في هذه الآيات أن المشركين أهل لأن يعذبهم، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول ﷺ بين أظهرهم؛ ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر، فقتل صناديدهم، وأسر سراتهم، ثم أخبر سبحانه أن صلاتهم عند المسجد الحرام كانت صفيرًا وتصفيقًا، فذوقوا العذاب بسبب جحودكم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة، قال الضحاك وابن جريج ومحمد بن إسحاق: «هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي»[(٢)].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤١ - ٤٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٥).

«يقول تعالى: واعلموا أيها المؤمنون أن ما ظفرتم به من عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقي يجزأ خمسة أقسام، الأول لله وللرسول، فيجعل في مصالح المسلمين عامة، والثاني: لذوي قرابة رسول الله ﷺ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، جُعل لهم الخمس مكان الصدقة، فإنها لا تحل لهم، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة إن كنتم مقرين بتوحيد الله مطيعين له، مؤمنين بما أنزل على عبده محمد ﷺ من الآيات والمدد والنصر يوم فرق بين الحق والباطل ببدر، يوم التقى جمع المؤمنين وجمع المشركين، والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى المدينة، وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى، وعير التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل البحر الأحمر، ولو حاولتم أن تضعوا موعدًا لهذا اللقاء لاختلفتم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقضي أمرًا كان مفعولًا، بنصر أوليائه، وخذلان أعدائه بالقتل والأسر، وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعاينها وقطعت عذره، وليحيا من حي عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له، وإن الله لسميع لأقوال الفريقين لا يخفى عليه شيء، عليم بنياتهم.

واذكر يا محمد حينما أراك الله قلة عدد عدوك في منامك، فأخبرت المؤمنين بذلك، فقويت قلوبهم، واجترؤوا على حربهم، ولو أراك ربك كثرة عددهم لتردد أصحابك في ملاقاتهم، وجبنتم واختلفتم في أمر القتال، ولكن الله سلم من الفشل، ونجى من عاقبة ذلك، إنه عليم بخفايا القلوب، وطبائع النفوس.

واذكر أيضًا حينما برز الأعداء إلى أرض المعركة فرأيتموهم قليلًا، فاجترأتم عليهم، وقللكم في أعينهم ليتركوا الاستعداد لحربكم، ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، فيتحقق وعد الله لكم بالنصر والغلبة، فكانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وإلى الله مصير الأمور كلها، فيجازي كلًا بما يستحق»(١). قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ

(١) التفسير الميسر ص١٨٢.

ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٤٧ - ٤٩].

«أي: ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من ديارهم كبرًا ورياءً، ليمنعوا الناس عن الدخول في دين الله، والله بما يعملون محيط، لا يغيب عنه شيء.

واذكروا حين حسن الشيطان للمشركين ما جاءوا له، وما هموا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، وإني ناصركم، فلما تقابل الفريقان: المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مدبرًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاءوا مددًا للمسلمين، إني أخاف الله، فخذلهم وتبرأ منهم.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن عصاه ولم يتب توبة نصوحًا.

واذكروا حين يقول أهل الشك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين، وكثرة عدوهم: غر هؤلاء المسلمين دينهم، فأوردهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله، ويثق بوعده فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠ - ٥١].

يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرًا عظيمًا هائلًا فظيعًا، إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق، قال مجاهد في قوله: ﴿إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ

(١) التفسير الميسر ص١٨٣.

﴿ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ يوم بدر[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر، ولكنه عام في حق كل كافر[2].

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر. ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ -. وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾. فأحل الله الغنيمة لهم[3].

قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨].

روى الطيالسي في مسنده من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم، فأصابوها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الغنيمة لا**

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٩).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٩).
(٣) سبق تخريجه ص٦٣.

تحل لأحد سود الرؤوس غيركم، وكان النبي ﷺ وأصحابه[(١)] إذا غنموا غنيمة جمعوها، ونزلت نار فأكلتها»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ إلى آخر الآيتين[(٢)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبي قل لمن في يديك، وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ: إن يعلم الله في قلوبكم إسلامًا، يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم من الفداء، ويغفر لكم. يقول: ويصفح لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه، وكفركم بالله، والله غفور رحيم، لذنوب عباده إذا تابوا، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة[(٣)].

سورة إبراهيم:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ قال: هم والله كفار قريش، قال عمرو: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله، ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ قال النار، يوم بدر[(٤)].

وروى ابن جرير بسنده أن عليًا رضي الله عنه قال في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾... الآية: هم كفار قريش يوم بدر[(٥)].

---

(١) أي من الأنبياء السابقين.

(٢) مسند الطيالسي (٢/ ١٩). وأخرجه الترمذي ص٤٩٠ برقم (٣٠٨٥)، وقال: حديث حسن صحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٦/ ٢٩٢).

(٤) ص٧٥٥ برقم (٣٩٧٧)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

(٥) (٧/ ٤٥٣)، ويشهد له ما قبله.

سورة الحج:

قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

«يقول تعالى: هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر كل يدعي أنه محق، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جعلت لهم من نار يلبسونها فتشوى أجسادهم، ويصب على رؤوسهم الماء المتناهي في حره، وينزل إلى أجوافهم فيذيب ما فيها. حتى ينفذ إلى جلودهم فيشويها فتسقط»[(١)].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسمًا أن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعلي وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[(٢)].

وروى البخاري من حديث علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة[(٣)]، وفي رواية: فينا نزلت هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾[(٤)].

سورة الدخان:

قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠] إلى قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني

(١) التفسير الميسر ص٣٣٤.

(٢) ص٧٥٤ برقم (٣٩٦٩)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ومسلم ص١٢١٣ برقم (٣٠٣٣)، كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر.

(٣) ص٧٥٤ برقم (٣٩٦٥).

(٤) ص٧٥٤ برقم (٣٩٦٧).

يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الدخان: ١٠ - ١١].

قال: فأُتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: «**لمضر؟ إنك لجريء**»، فاستسقى لهم، فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: ١٦] قال يعني يوم بدر[(١)].

سورة القمر:

قال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥].

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم**»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[(٢)].

وروى الطبري من حديث عمر بن الخطاب أنه قال: لما نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ ﴾، جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع، ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[(٣)].

وروى بسنده من حديث ابن عباس قال: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ كان ذلك يوم بدر، قال: قالوا نحن جميع منتصر، قال فنزلت الآية[(٤)].

---

(١) (٣/ ٢٨٩) برقم (٤٨٢١)، كتاب التفسير، باب سورة الدخان، ومسلم (٤/ ٢١٥٦ - ٢١٥٧) برقم (٢٧٩٨)، كتاب الجنة والنار، باب انشقاق القمر.

(٢) ص٩٥٧ برقم (٤٨٧٥)، كتاب التفسير، باب سورة القمر.

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٥٦٧)، قلت: ورجاله ثقات.

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٥٦٧)، قلت: وفي سنده علي بن أبي طلحة، أرسل عن ابن عباس ولم يره، ولكن =

سورة المجادلة:

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

«قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله ابن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة ﷺ: ولو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته.

روى الطبراني في المعجم الكبير، والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن شوذب قال: جعل والد أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، فيحيد عنه، فلما أكثر قصده فقتله، فنزلت الآية[(١)].

وقيل في قوله تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ في الصديق، هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر، قتل قريبًا له يومئذ أيضًا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم»[(٢)].

سورة المزمل:

روى ابن إسحاق بسنده إلى عائشة ﷺ قالت: ماكان بين نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

= يشهد له ما قبله.

(١) (١/ ٢٥٤) برقم (٣٦٠)، والحاكم (٣/ ٢٩٦) برقم (٥١٥٢)، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ١١) برقم (٤٣٩٣): إسناده جيد، وقال في الفتح (٧/ ٩٣): مرسلًا، وقال في التلخيص (٤/ ١٩٢): هذا معضل، وكان الواقدي ينكره ويقول: مات والد أبي عبيدة قبل الإسلام.اهـ. قلت: وعبد الله بن شوذب لم يدرك أبا عبيدة بن الجراح.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٩).

ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، وقوله تعالى فيها: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾، إلا يسيرًا، حتى أصاب الله قريشًا بالوقعة يوم بدر[1].

* * *

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦١)، وابن جرير في تفسيره (١٢/ ٢٨٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٩٥ - ٩٦) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قلت: وهذا إسناد صحيح.



الفصل الثاني

بين يدي غزوة بدر

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحداث المهمة بين يدي الغزوة.

المبحث الثاني: تاريخ غزوة بدر.

المبحث الثالث: أسباب غزوة بدر.



المبحث الأول

الأحداث المهمة بين يدي الغزوة

«استقر رسول الله ﷺ في المدينة يحيط به المؤمنون من المهاجرين والأنصار، ويراقبه بحذر أولئك الذين لم يسلموا بعد من الأوس والخزرج، يشاركهم في ذلك اليهود ممن كان يسكن المدينة.

وخلت مكة من المؤمنين إلا من حبس ومنع من الهجرة، وأطلق المشركون أيديهم في أموال المهاجرين الذين منعتهم ظروف الهجرة خفية من اصطحاب أموالهم، فغدَوا بعد ذلك فقراء، وعلى الرغم من البذل السخي الذي قدمه الأنصار لهم، فإن عزة نفوسهم كانت تمنعهم من مد أيديهم.

ونزلت آيات الإذن بالقتال، فكانت إيذانًا بإعداد العدة لتعلوَ راية الحق، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وتتابعت الأحداث المهمة التي بدأت بعقد الألوية، وبعث السرايا المتتابعة، حتى كانت غزوة بدر الكبرى»[(١)].

وكان الهدف من هذه الغزوات والسرايا التي اتجهت إلى مواقع غربي المدينة، ثلاثة أمور:

أولًا: الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة، والمسالك المؤدية إلى مكة.

ثانيًا: تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام، وهي ضربة قوية لاقتصاد مكة.

---

(١) من معين السيرة لصالح الشامي ص١٨٠ - ١٨١.

ثالثًا: عقد المحالفات والموادعات مع القبائل التي تسكن المنطقة لضمان تعاونها، أو حيادها على الأقل في الصراع بين المسلمين وقريش، وهي خطة مهمة يعتبر تحقيقها نجاحًا للمسلمين. لأن الأصل أن هذه القبائل تميل إلى قريش، وتتعاون معها، إذ بينها محالفات تاريخية سماها الله في القرآن بالإيلاف، سعت قريش من خلالها لتأمين تجارتها مع الشام واليمن، ثم إن هذه القبائل لها مصالح وثيقة مع قريش سادنة البيت الحرام، حيث يحج العرب جميعًا إلى مكة، فضلًا عن وحدة العقيدة بين هذه القبائل وقريش، واشتراك الجميع في معاداة الإسلام. فلا شك إذًا في أن تمكن المسلمين من موادعة هذه القبائل، وتحييدها خلال الصراع يُعدّ نجاحًا كبيرًا لهم في تلك المرحلة.

رابعًا: إبراز قوة المسلمين في المدينة أمام اليهود، وبقايا المشركين، فالمسلمون صاروا لا يقتصرون على السيادة في المدينة، بل يتحركون لفرض سيطرتهم على أطرافها، وما حولها من القبائل، ويؤثرون في مصالحها وعلاقاتها.

خامسًا: إنذار قريش عقبى طيشها، فقد حاربت الإسلام ومازالت تحاربه، ونكلت بالمسلمين في مكة، ثم ظلت ماضية في غيها لا تسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله، ولا تسمح لهذا الدين أن يجد قرارًا في بقعة أخرى من الأرض، فأحب رسول الله ﷺ أن يشعر كفار قريش وقادتهم بأن هذه الخطة الجائرة ستلحق بهم الأضرار الفادحة، وأنه قد مضى إلى غير عودة ذلك العصر الذي كانوا يعتدون فيه على المؤمنين وهم بمأمن من القصاص[(١)].

وفيما يلي أحوال هذه الغزوات والسرايا بإيجاز:

١- سرية سيف البحر:

في رمضان سنة (١هـ)، بعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (٢/ ٣٤٥)، وفقه السيرة للشيخ الغزالي ص٢١٤.

هاشم إلى سيف البحر[١]، من ناحية العيص[٢]، وكان لواؤه أبيض في ثلاثين رجلًا من المهاجرين؛ ليعترض لعيرات[٣] قريش، وأن حمزة لقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فافترقوا، ولم يكن بينهم قتال، وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد[٤].

٢ـ سرية رابغ:

في شوال سنة (١هـ) من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان لواؤه أبيض، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ[٥]، وأن لواءه كان مع مسطح بن أثاثة، فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة[٦]، في ستين رجلاً من المهاجرين، ليس فيهم أنصاري، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء، فكان بينهم الرمي دون المسايفة، قال: وقد اختلفوا في أمير السرية، فقال بعضهم: كان أبو سفيان بن حرب، وقال بعضهم: كان مكرز بن حفص، قال الواقدي: وقد رأيت الثبت على

---

(١) أي ساحله.

(٢) العيص: بالكسر ثم السكون وإهمال الصاد، من الأودية التي تجتمع مع إضم، وفي غزوة ودان بعث النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص، وفي حديث أبي بصير: خرج حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة، على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام، وقال ابن سعد: سرية زيد بن حارثة إلى العيص على أربع ليال من المدينة، وفاء الوفا (٤/ ١٢٧٠).

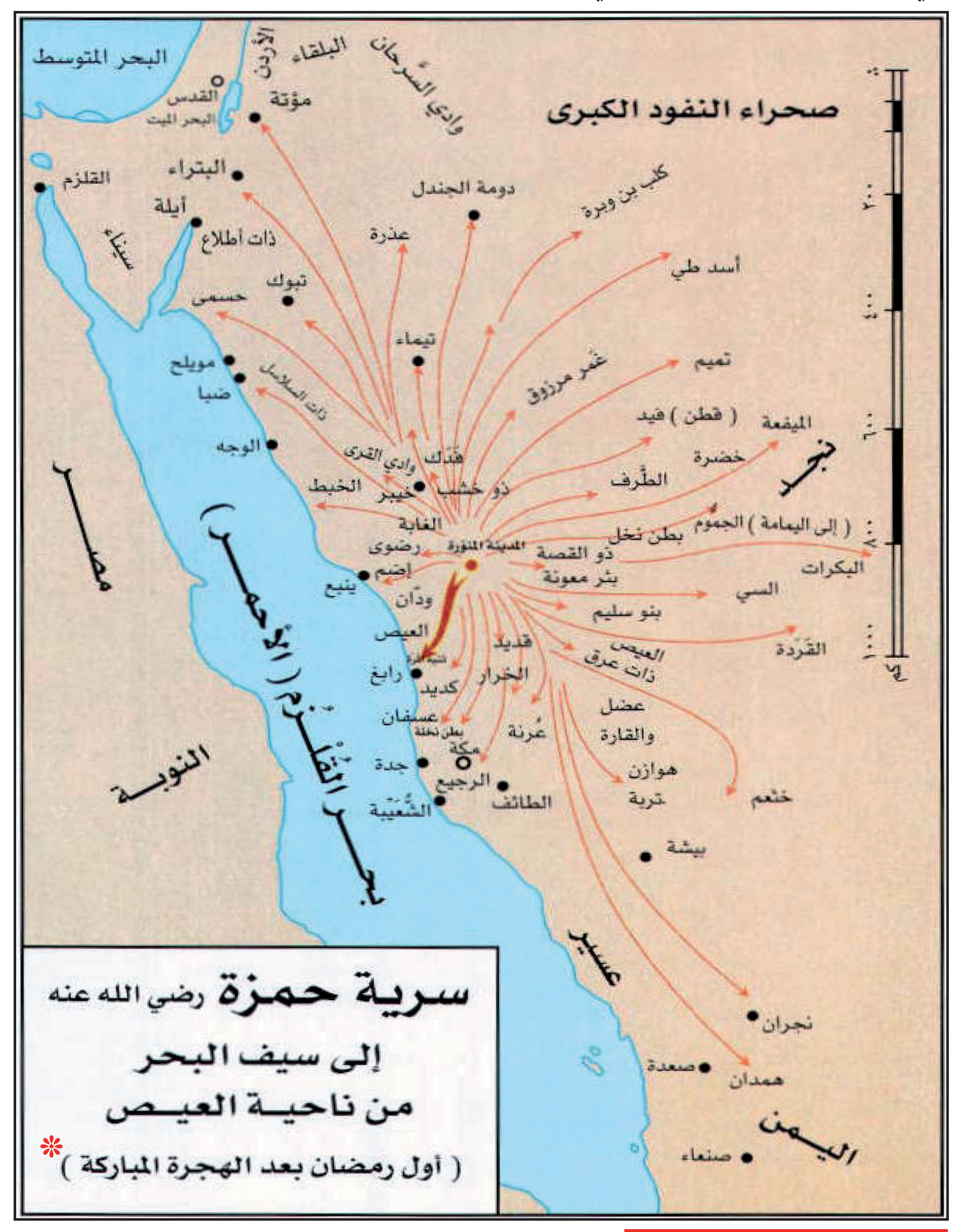
(٣) العيرات: جمع عير، يريد إبلهم، ودوابهم التي كانوا يتاجرون عليها. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٢٩).

(٤) المغازي للواقدي (١/ ٩).

(٥) رابغ: بعد الألف باء موحدة، وآخره غين معجمة، واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة، دون عزور، قال الحازمي: بطن رابغ واد من الجحفة له ذكر في المغازي، وفي أيام العرب، وقال الواقدي: هو على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الأبواء والجحفة، معجم البلدان (٤/ ٣٧٨). قلت: ورابغ الآن مدينة قائمة.

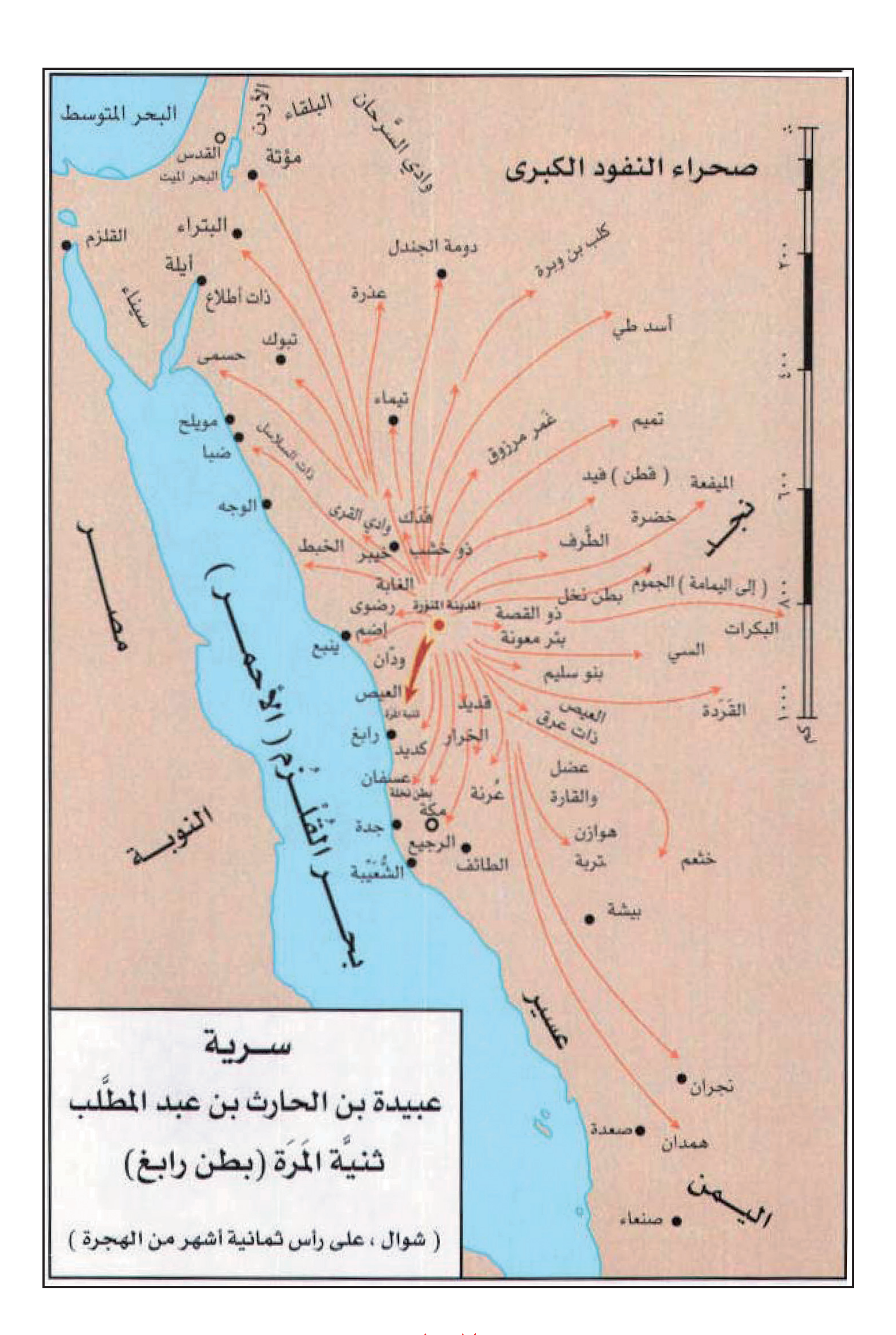
(٦) ثنية المرة: بالكسر وتشديد الراء، قرب ماء يُدعى الأحياء من رابغ، لقي بها أبو عبيدة بن الحارث في سريته، جمع المشركين، وقال ياقوت: ثنية المرة بتخفيف الراء، يشبه تخفيف المرة من النساء، وفي حديث الهجرة أن دليلهما يسلك بهما.. إلخ، ثم ثنية المرة، ثم لقفا، وهو أيضًا حديث في سرية عبيدة بن الحارث، وفاء الوفا (٤/ ١١٦٧).

أبي سفيان بن حرب، وكان في مائتين من المشركين[(١)].



(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ١١).

* هذه الخرائط أُخذت من كتاب أطلس السيرة النبوية، للدكتور شوقي أبو خليل، وكتاب الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، للشيخ سامي بن عبد الله المعلوش.



سـرية
عبيدة بن الحارث بن عبد المطَّلب
ثنيةُ المَرَة (بطن رابغ)
(شوال ، على رأس ثمانية أشهر من الهجرة)
صحراء النفود الكبرى
البحر المتوسط
بحر القلزم (الأحمر)
نجد
مصر
النوبة
عسير
اليمن
المدينة المنورة
مكة
الطائف
جدة
رابغ
ينبع
تبوك
تيماء
خيبر
دومة الجندل
نجران
صنعاء

قال ابن إسحاق: فكانت راية عبيدة بن الحارث - فيما بلغني - أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين، وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء(١)، قبل أن يصل إلى المدينة(٢).

قال ابن كثير: وحكى موسى بن عقبة عن الزهري(٣) أنه بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث، ونص على أن بعثه حمزة كان قبل غزوة الأبواء، فلما قفل عليه الصلاة والسلام من الأبواء، بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين، وذكر نحو ما تقدم، وقد تقدم عن الواقدي(٤) أنه قال: كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها، والله أعلم(٥).اهـ.

وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعرًا يدل على أن رايته أول راية عقدت في الإسلام، لكن قال ابن إسحاق: فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال، لم يكن يقول إلا حقًا، فالله أعلم أي ذلك كان.

ألا يالقومي للتحلم والجهل   وللنقص من رأي الرجال وللعقل
وللراكبين بالمظالم لم نطأ   لهم حرمات من سوام ولا أهل(٦)

إلى أن قال:

فما برحوا حتى انتُدبتُ لغارة   لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل

---

(١) الأبواء: بالموحدة كحلواء ممدود، قال المجد: هي قرية من عمل الفُرع، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا، فتكون على خمسة أيام من المدينة، وقيل: الأبواء جبل عن يمين آرة، ويمين الطريق للمصعد إلى مكة، وهناك بلد تُنسب إلى ذلك الجبل، وهو بمعنى قول الحافظ ابن حجر: الأبواء جبل من عمل الفُرْع، سمي به لوبائه على القلب، وقيل: لأن السيول تتبوؤه أي تحله، قال السمهودي: ويجمع بأنه اسم للجبل والوادي وقريته، وله ذكر في حديث الصعب بن جثامة وغيره، وبه قبر أم رسول الله ﷺ، وذلك أن أباه ﷺ خرج إلى المدينة يمتار تمرًا، فمات بها، فكانت زوجته آمنة تخرج كل عام تزور قبره، فلما أتى رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به ومعها عبد المطلب، وقيل أبو طالب، وأم أيمن، فماتت في منصرفها بالأبواء، وفي رواية أن قبرها بمكة، وقال النووي: إن الأول أصح، وفاء الوفا (٤/ ١١٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٦).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٨).

(٤) المغازي (١/ ٢).

(٥) البداية والنهاية (٥/ ٢٦).

(٦) السوام: الإبل المرسلة في المرعى، شرح السيرة النبوية لأبي ذر الخشني ص١٥١.

بـأمـر رسـول الـلـه أول خـافـق عليه لـواء لـم يكـن لاح من قبلي

٣ـ سرية الخَرَّار[١]:

قال ابن إسحاق: في ذي القعدة سنة (١هـ) بعث رسول الله ﷺ سعد ابن أبي وقاص في عشرين رجلًا يعترضون عيرًا لقريش[٢]، وساق الواقدي بسنده إلى سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال له: «اخرج ياسعد حتى تبلغ الخرار، فإن عيرًا لقريش ستمر به». فخرجت في عشرين رجلًا، أو أحد وعشرين على أقدامنا، فكنا نكمن النهار ونسير الليل، حتى صبحناها صبح خمس، فنجد العير قد مرت بالأمس، وقد كان رسول الله ﷺ عهد إليَّ ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم[٣].

قال ابن جرير الطبري عن الواقدي: كانت العير ستين، وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين[٤].

وقال ابن جرير: وعند ابن إسحاق أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي، كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ[٥].

قال ابن كثير: «وكلام ابن إسحاق ليس بصريح، فيما قاله ابن جرير لمن تأمله، كما سنورده في أول كتاب المغازي، في أول السنة الثانية من الهجرة، وذلك تلو مانحن فيه إن شاء الله، إذ يحتمل أن يكون مراده أن هذه السرايا وقعت في السنة الأولى، وسنزيدها بسطًا وشرحًا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى، والواقدي عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالبًا، لأنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوق في نفسه مكثار - كما بسطنا القول - في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء، والمجاهيل، ولله الحمد والمنة».اهـ[٦].

---

(١) الخرار: الخرير صوت الماء، والماء خرار، بفتح أوله وتشديد ثانيه، وقيل: موضع بالحجاز يقال: هو قرب الجحفة، وقيل وادٍ من أودية المدينة، وقيل ماء بالمدينة، وقيل موضع في خيبر. والخرار في سفر الهجرة الظاهر أنه بالجحفة، وفاء الوفا (٤/ ١٢٠٠)، ومعجم البلدان (٣/ ٢١٨).

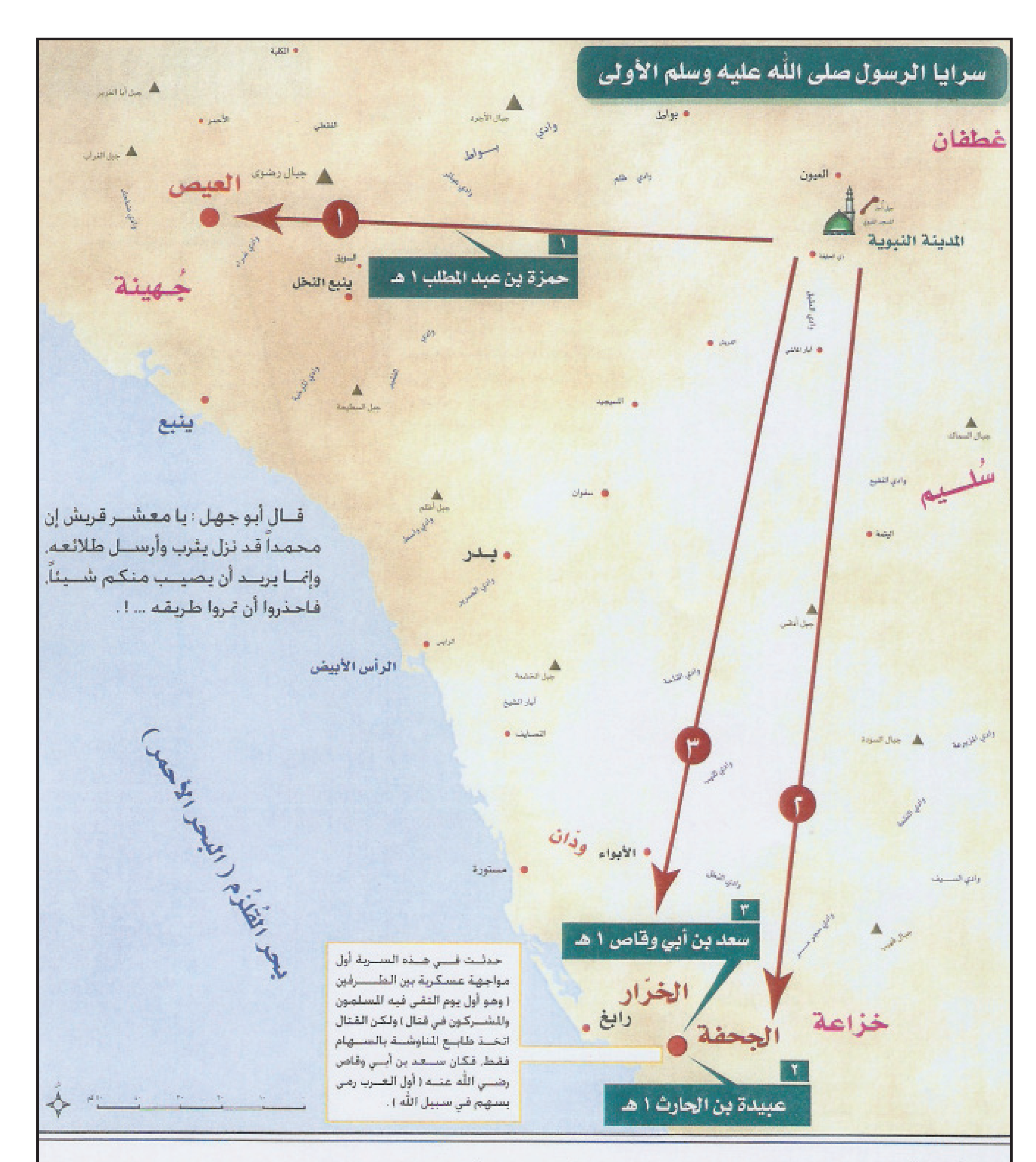
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩١).

(٣) المغازي (١/ ١١).

(٤) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ١١).

(٥) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ١١).

(٦) البداية والنهاية (٤/ ٥٧٩ - ٥٨٠).



الخَـرّارُ: الخرير صوت الماء، والماءُ خَرَّار، بفتح أَوله وتشديد ثانيه: وهو موضع بالحجاز يقال هو قرب الجُحفة، وقيل: واد من أَودية المدينة، وقيل: ماءٌ بالمدينة، وقيل: موضع بخيبرَ؛ وفي حديث السرايا قال ابن إسحاق: وفي سنة إحدى، وقيل سنة اثنتين، بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سعد بن أَبي وَقّاص في ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرَّارَ من أَرض الحجاز ثم رجع ولم يلقَ كيداً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٠ .

٤ ـ غزوة الأبواء: في صفر، سنة ٢هـ:

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب المغازي[١]: قال ابن إسحاق: أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء، ثم بُواط، ثم العُشَيرة، ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله ﷺ من غزوة، قال: تسع عشرة، شهد منها زيد سبع عشرة، أولاهن العُشيرة، أو العُسيرة[٢].

وفي صحيح مسلم عن بريدة أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة[٣]، وفي رواية له عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، وقاتل في ثمان منهن[٤].

قال ابن جرير الطبري: «فغزا رسول الله ﷺ في قول جميع أهل السير في ربيع الأول بنفسه غزوة الأبواء، ويقال ودَّانَ[٥]، وبينهما ستة أميال، وهي بحذائها، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إليها سعد بن عبادة، وكان صاحب لوائه في هذه الغزوة حمزة بن عبد المطلب، وكان لواؤه فيما ذكر أبيض»[٦].اهـ.

وقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ غزوة الأبواء في شهر ربيع الأول باتفاق أهل السير

---

(١) والمراد بالمغازي هنا ماوقع من قصد النبي ﷺ الكفار بنفسه أو بجيش من قبله، وقصدهم أعم من أن يكون إلى بلادهم أو إلى الأماكن التي حلوها حتى دخل مثل أحد والخندق.اهـ فتح الباري (٧/ ٢٧٩).

(٢) ص٧٥١ برقم (٣٩٤٩)، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة، أو العسيرة.

(٣) ص٧٥٨ برقم (١٨١٤)، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي ﷺ.

(٤) ص٧٥٨ برقم (١٨١٤)، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي ﷺ.

(٥) ودّان: بالفتح ودال مهملة مشددة، آخره نون، قرية من نواحي الفُرع لضمرة وغفار وكنانة، على ثمانية أميال من الأبواء، وقال أبو زيد: ودان من الجحفة على مرحلة، بينها وبين الأبواء ستة أميال، وبها كان أيام مقامي بالحجاز رئيس لبني جعفر بن أبي طالب ولهم بالفرع وساية ضياع وعشيرة، وفاء الوفا (٤/ ١٣٣٠).

(٦) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ١٤).

فيه نظر، فقد ذكر ابن إسحاق، والزرقاني، وابن كثير، أنها كانت في شهر صفر[(١)].

قال ابن إسحاق: «ثم خرج رسول الله ﷺ غازيًا في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مقدمه المدينة حتى بلغ ودان، وهي غزوة الأبـواء، يريد قريشًا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، وكان الذي وادعهم منهم عليه مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه ذلك، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيدًا، فأقام بها بقية صفر، وصدرًا من شهر ربيع الأول.

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها»[(٢)].

قال ابن حجر: «ووقع في مغازي الأموي: حدثني أبي عن ابن إسحاق قال: خرج النبي ﷺ بنفسه حتى انتهى إلى ودان وهي الأبواء، وقال موسى ابن عقبة: أول غزوة غزاها النبي ﷺ - يعني بنفسه - الأبواء»[(٣)].

وروى الطبراني من طريق عمرو بن عوف المزني قال: أول غزوة غزوناها مع النبي ﷺ الأبواء[(٤)].

* * *

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢٢)، والمواهب اللدنية للزرقاني (١/ ٣٩٣).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٧٩).

(٤) وسنده ضعيف فيه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال عنه ابن حجر في التقريب: ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب، ص٤٦٠. ورواه البخاري في التاريخ الصغير عن إسماعيل، وهو ابن أبي أويس عن كثير بن عبد الله، مقتصرًا عليه، قال ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٢٨٠): وكثير ضعيف عند الأكثر، لكن البخاري مشاه، وتبعه الترمذي.اهـ. وقوله: لكن البخاري مشاه، ليس في الصحيح، وإنما في كتبه الأخرى.



قال ابن القيم: وفي هذه الغزوة وادع - الرسول - مخشي بن عمرو الضمري وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة، ولا يغزوه، ولا أن يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عليه عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة. زاد المعاد، ج ٣، ص ١٦٤ - ١٦٤.

الأبواء على زنة جمع بو: ترددت في السيرة، وجاء ذكرها في غزوة ودان، وهي غزوة الأبواء. و**الأبواء** واد من أودية الحجاز التهامية، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه واديا الفرع والقاحة فيتكون من التقائهما وادي الأبواء، كتكون وادي مر الظهران من التقاء النخلتين، وينحدر وادي الأبواء إلى البحر جاعلاً أنقاض ودان على يساره، وثم طريق إلى هرشى، ويمر ببلدة مستورة ثم يبحر. ويسمى اليوم "وادي الخريبة" غير أن اسم الأبواء معروف لدى المثقفين، وسكانه: بنو محمد من بني عمرو، وبنو أيوب من البلادية من بني عمرو. عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٤ .

٥ ـ غزوة بُواط: في شهر ربيع الأول سنة ٢هـ:

قال ابن إسحاق: ثم غزا في شهر ربيع الأول، يعني في السنة الثانية، يريد قريشًا[١].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون[٢]، وقال الواقدي: استخلف عليها سعد بن معاذ، وكان رسول الله ﷺ في مائتي راكب، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص، وكان مقصده أن يعترض لعير قريش، وكان فيهم أمية بن خلف ومائة رجل، وألفان وخمسمائة بعير[٣].

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُواط من ناحية رضوى[٤]، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا، فلبث فيها بقية شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى الأولى[٥].

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٩).

(٣) المغازي (١/ ١١٢).

(٤) بواط: بضم أوله وتخفيف ثانيه، آخره طاء مهملة، قال السمهودي: ورويناه من طريق الأصيلي وغيره بفتح الباء، والضم وهو المعروف جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، ورضوى جبل بالمدينة، وهو من المدينة على سبع مراحل. معجم البلدان (٢/ ٣٩٦)، ووفاء الوفا (٤/ ١١٥٦).

(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٩).



قال القرطبي: ثم أقام بالمدينة – الرسول – إلى (شهـر) ربيع الآخر مـن السنة المذكورة، ثم خـرج فيهـا... حتى بلـغ بَوَاط مـن ناحية رَضْـوَى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً، ثم أقـام بهـا بقية ربيـع الآخـر وبعض جمادى الأولى، ثم خـرج غازياً واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وأخذ على طريق مِلْك إلى العُشَيْرة. تفسير القرطبي، ج١، ص١٩٠ .

بـواط: بضم الموحـدة وبعد الواو ألف ثم طاء مهملة : جاء في النص : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول يريد قريشاً ، حتى بلغ بواط ، من ناحية رضوى ، ثم رجـع إلى المدينـة ولم يلق كيداً . قلت : بواط : بواطان ، واديان أحدهما يصب في إضم غرب المدينة على قرابة (٥٥) كيلاً ، والآخر يقاسمه الماء من رأسه ويصب في فرعة ينبع غرباً ، ورأساهمـا ينحـدران من ريع يسمـى ريع بواط ، يأخـذه طريق بين المدينـة وينبع ، مختصر وأقرب كثيرا من طريق المدينة إلى ينبع مروراً بوادي الصفراء . وهو غير صالح لسير الثقال ، لـذا نـراه صلـى الله عليه وسلم في غـزوة ذي العشيرة تـرك هذا الطريق وأخـذ على وادي الصفـراء ، علـى طـول تلك الطريـق ، وقوله : حتى بلغ بـواط ، كذا في الأصـل ، وهو واجب النصب لأنه واد معروف . وكان يمكن أن يقال : حتى بلغ بواطاً الغوري ، أو بواطاً الجلسي .

عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٥٠ .

٦ـ غزوة العُشيرة[1]:

في جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، سنة (٢هـ).

قال ابن إسحاق: فلبث - أي بالمدينة - بقية شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى الأولى، ثم غزا قريشًا، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، فيما قال ابن هشام[2].

قال الواقدي: و كان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب، قال: وخرج عَلَيْهِ السَّلَامُ يعترض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام[3].

قال ابن إسحاق: بعدما ذكر الطريق الذي سلكه النبي ﷺ إلى العشيرة، حتى نزل العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها جمادى الأولى، وليالي من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مدلج، وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا[4].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وحديث زيد بن أرقم السابق في صحيح البخاري[5] ظاهر في أن أول الغزوات العشيرة، ويقال بالسين، وبها مع حذف التاء، وبها مع المد، اللهم إلا أن يكون المراد أول غزاة شهدها مع النبي ﷺ زيد بن أرقم، العشيرة، وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم، وبهذا يحصل الجمع

---

(١) العُشيرة: بلفظ تصغير عشرة يضاف إليه ذو، فيقال ذو العشيرة، قال الأزهري: هو موضع بالصمان معروف، نسب إلى عشرة نابتة فيه، والعشر من كبار الشجر وله صمغ حلو يسمى سكر العشر، وغزا النبي ﷺ ذا العشيرة، وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة. قال الحموي: وأما التي غزاها النبي ﷺ ففي كتاب البخاري العُشيرة، أو العُشيراء، وهو أضعفها، وقيل العسيرة أو العُسيراء بالسين المهملة، قال السهيلي: وفي البخاري أن قتادة سئل عنها فقال: العسير، وقال معنى العُسيرة والعُسيراء بالسين المهملة أنه اسم مصغر العُسرى والعسراء، وإذا صغر تصغير الترقيم قيل عُسيرة، وهي بقلة تكون أذنه، أي عصيفة، ثم تكون سحاء، ثم يقال لها العسرى، قال ابن إسحاق: ذات العشيرة من أرض بني مدلج، أي الغزوة، وقال فيها: حتى نزل العشيرة من بطن ينبع، قال الحافظ ابن حجر: ومكانها عند منزل الحاج، بينبع ليس بينها وبين البلد إلا طريق، معجم البلدان (٦/ ٣٣١)، وفاء الوفا (٤/ ١٢٦٧)، وفتح الباري (٧/ ٢٧٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٩).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٩).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٠).

(٥) سبق تخريجه ص١١١.

بين ماذكره محمد بن إسحاق، وبين هذا الحديث، والله أعلم[1].اهـ.



العُشَيرة : تصغير عشرة ، وهي شجرة معروفة : (ذو . .)

قال ابن إسحاق – في غزاة ذي العشيرة – : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر ، فصلى عندها ، فثم مسجده صلى الله عليه وسلم ، واستقي له من ماء به يقال له : المشترب ، ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبة يقال لها : شعبة عبد الله ، ثم صب لليسار حتى هبط يليل . – قال المؤلف : ملل – فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ، واستقى من بئر بالضبوعة ، ثم سلك فرش ملل ، حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع .المؤلف : وقوله اعتدل به الطريق ، أي أخذ على السيالة ثم على الروحاء ، ثم على المنصرف ثم على مبرك ، فإلى ينبع ، لاباً الأشعر من الجنوب . والمواقع الواردة هنا : نقب بني دينار : من حرة المدينة الغربية ، بين السيح والعرصة ، ولم يعد معروفاً . عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٠٨ .

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٣١).

٧ـ غزوة بدر الأولى: في شهر ربيع الأول سنة ٢هـ:

قال ابن إسحاق: ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشرة، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح[١] المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ واديًا يقال له سَفَوَان، من ناحية بدر، وهي غزوة بدر الأولى، وفاته كرز فلم يدركه[٢].

وقال الواقدي: وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب[٣].

قال ابن هشام: وكان قد استخلف على المدينة[٤] زيد بن حارثة.

قال ابن إسحاق: فرجع رسول الله ﷺ، فأقام بها جمادى ورجبًا وشعبان، وقد كان بعث بين ذلك سعدًا في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز، قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة - ثم رجع ولم يلق كيدًا - هكذا ذكره ابن إسحاق مختصرًا، وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة: أعني بعث حمزة في رمضان، وبعث عبيدة في شوال، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الأولى[٥].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا، فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمنا، فأوثق لهم، فأسلموا.

قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب، ولا نكون مائة، وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة، فأغرنا عليهم، وكانوا كثيرًا، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا، وقالوا: لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام، فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبي الله ﷺ فنخبره، وقال قوم: لا، بل نقيم ههنا، وقلت أنا في أناس معي: لا بل

---

(١) السَّرْحُ: الماشية، المعجم الوسيط (١/ ٤٢٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٢).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٩).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٢).
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٣٣).

نأتي عير قريش فنقتطعها، فانطلقنا إلى العير، وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئًا فهو له، فانطلقنا إلى العير، وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ، فأخبروه الخبر، فقام غضبان محمر الوجه، فقال: «**أذَهبتم من عندي جميعًا، وجئتم متفرقين؟ إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لأبعثن عليكم رجلًا ليس بخيركم، أصبركم على الجوع والعطش**»، فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي، فكان أول أمير أُمّر في الإسلام»[1].

* * *

(١) (٣/ ١١٩)، وإسناده ضعيف، فيه مجالد بن سعيد، قال ابن حجر في التقريب: ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره ص٥٢٠. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٤)، والبزار في كشف الأستار (٢/ ٣٠٨) برقم (١٧٥٧)، من طريق أحمد بن بشير، كلاهما عن مجالد بن سعيد بهذا الإسناد.



سفوان: بفتح السين المهملة وسكون الفاء، وعلى صيغة التثنية. جاء في النص: أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، في طلبه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان، من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، وهي غزوة بدر الأولى. قلت: لا يعرف اليوم موضع باسم سفوان، إنما هناك واد يسمى "سفا" بين المدينة وبدر في منتصف المسافة على الطريق بينهما قرب الروحاء، فلعله هو ثني، ولكنه بعيد عن بدر حيث نسبت الغزوة إلى بدر، فقيل: غزوة بدر الأولى • عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٥٨ - ١٥٩ •

٨ ـ سرية عبد الله بن جحش: في رجب سنة ٢هـ:

بعث رسول الله ﷺ فيها عبد الله بن جحش الأسدي في رهط من المهاجرين، وكتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره.

فإذا نظر فيه، ووعى ما كلفه الرسول به مضى في تنفيذه غير مستكره أحدًا من أصحابه، فسار عبد الله، ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: «امض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا، وتعلم لنا من أخبارهم»، فقال عبد الله: سمعًا وطاعة، وأطلع أصحابه على كتاب الرسول قائلًا: إنه نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق معي، ومن كره ذلك فليرجع... فلم يتخلف منهم أحدٌ، غير أن البعير الذي كان يعتقبه «سعد بن أبي وقاص»، و «عتبة بن غزوان» ندَّ[1] منهما فشغلا بطلبه، ومضى عبد الله برفاقه حتى نزل أرض نخلة، فمرت عير قريش فهاجمها عبد الله ومن معه، فقتل في هذه المعركة «عمرو بن الحضرمي»، وأسر اثنان من المشركين، وعاد عبد الله بالقافلة والأسيرين إلى المدينة، ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله، وكثر في ذلك القيل والقال، حتى نزل الوحي حاسمًا هذه الأقاويل، ومؤيدًا مسلك عبد الله تجاه المشركين قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مسوّغ لها، فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام، واضطهاد أهله، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم، وقتل نبيهم؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة؟ فأصبح انتهاكها معرة وشناعة، لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته. فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقضها،

---

(١) أي هرب.

هدم القوانين والدساتير جميعًا. فالقانون المرعي عنده في الحقيقة هو مقتضيات هذه المصلحة الخاصة فحسب.

وقد أوضح الله ﷻ أن المشركين لن يحجزهم شهر حرام، أو بلد حرام عن المضي في خطتهم الأصلية، وهي سحق المسلمين، حتى لا تقوم لدينهم قائمة، فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ثم حذر المسلمين من الهزيمة أمام هذه القوى الباغية، والتفريط في الإيمان الذي شرفهم الله به، وناط سعادتهم في الدنيا والآخرة بالبقاء عليه، فقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وزكى القرآن عمل «عبد الله» وصحبه، فقد نفذوا أوامر الرسول بأمانة وشجاعة، وتوغلوا في أرض العدو مسافات شاسعة متعرضين للقتل في سبيل الله، متطوعين لذلك من غير مكره أو محرج، فكيف يجزون على هذا بالتقريع والتخويف؟ قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨][(١)].

قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله عن المسلمين، ما كانوا فيه من الشفق[(٢)]، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: «**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا** - يعني سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان - **فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم**»، فقدم سعد، وعتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ، فأما الحكم فأسلم، وحسن إسلامه، ومات في بئر معونة شهيدًا، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرًا[(٣)].

(١) انظر: فقه السيرة للغزالي: ٢١٥ - ٢١٧.
(٢) الشَّفَق والإشفاق الخوف، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٨٧).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٣ - ١٩٥) عن ابن إسحاق، وقال في آخره: والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، قال الشيخ ناصر الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص٢١٥ =

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والمقصود أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف، ولم يبرئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة، لا سيما وأولياؤه كانوا متأولين في قتالهم ذلك، أو مقصرين نوع تقصير، يغفره الله لهم في جنب ما فعلوه من التوحيد والطاعات والهجرة مع رسوله، وإيثار ما عند الله، فهم كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ جاءتْ محاسنهُ بألف شفيع

فكيف يقاس ببغيض عدو جاء بكل قبيح، ولم يأت بشفيع واحد من المحاسن»[1].

وحيث إن هذه الغزوات جميعها كانت بمثابة التمهيد بين يدي غزوة بدر الكبرى؛ ولذلك يلاحظ فيها الآتي:

أولًا: عدم اشتراك الأنصار فيها، واقتصارها على المهاجرين، وقد يكون ذلك التزامًا بالبيعة، التي نصت على أن يمنع الأنصار الرسول ﷺ في ديارهم، لا أن يخرج بهم، وقد يكون إعلامًا لقريش بأن الذي كان يمنع المسلمين من مقاومتهم هو التزامهم بأوامر الله، حيث لم يُشرع القتال.

ثانيًا: تتابع هذه الأحداث، فالغزوات والسرايا كانت متلاحقة، لم تتوقف إلا في موسم الحج للسنة الأولى للهجرة، حتى كانت غزوة بدر، وفي هذا إشعار لقريش بأنها لم تعد آمنة مطمئنة في رحلاتها، وتنقل تجارتها.

= - ٢١٦، وقد رواه البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ١٢) بسند صحيح عن الزهري عن عروة مرسلًا به، ولكنه لم يسق الحديث بتمامه، بل طرفًا من أوله، ثم أحال على باقيه، وقد وصله هو وابن أبي حاتم من طريق سليمان التيمي عن الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله به مختصرًا، وليس فيه قوله ﷺ: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، وسنده صحيح إن كان الحضرمي هذا هو ابن لاحق، فقد قيل إنه غيره وإنه مجهول، ورجحه الحافظ في التهذيب، والله أعلم. ثم رأيت البيهقي قد ساق في موضوع آخر من السنن (٩/ ٥٨ - ٥٩) حديث عروة بتمامه وفيه: «ما أمرتكم...».اهـ.

(١) زاد المعاد (٣/ ١٧٠ - ١٧١).

ثم هو إشعار لمشركي الأوس والخزرج، ويهود المدينة بقوة المسلمين، حتى لا تسول لهم نفوسهم محاولة الإساءة إليهم.

ثالثًا: نلاحظ أنها كلها موجهة ضد قريش، فهي العقبة الكؤود في وجه انتشار هذا الدين، كما أن لها الزعامة الدينية في الجزيرة العربية، ولذا فهي العدو البارز يومئذ، فكان من الضروري إشعارها بالقوة الناشئة بقيادة الرسول ﷺ.

رابعًا: نلاحظ في سرية عبد الله بن جحش بعض الإجراءات التي تتطلبها المهمة، وهي مهمة استطلاعية، وينبغي أن تكون قائمة على السرية، ولذا كانت المهمة ضمن كتاب النبي ﷺ الذي لم يفتتح إلا بعد ليلتين من السير بعيدًا عن المدينة، حتى لا يعلم أحد أين الاتجاه، كما أنها أول عملية توغل قريبًا من مكة مركز الوثنية؛ ولذا فهي عملية فدائية ينبغي أن تقوم على الرغبة من المشتركين وطواعيتهم، ولذا أُمر عبد الله أن لا يكره أحدًا من أصحابه[(١)].

وفي هذه الأيام - في شعبان سنة **٢**هـ/ فبراير **٦٢٤**م - أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وأفاد ذلك أن الضعفاء والمنافقين من اليهود الذين كانوا قد دخلوا في صفوف المسلمين لإثارة البلبلة، انكشفوا عن المسلمين ورجعوا إلى ما كانوا عليه، وهكذا تطهرت صفوف المسلمين عن كثير من أهل الغدر والخيانة.

«ولعل في تحويل القبلة إشارة لطيفة إلى بداية دور جديد لا ينتهي إلا بعد احتلال المسلمين هذه القبلة، أو ليس من العجب أن تكون قبلة قوم بيد أعدائهم، وإن كانت بأيديهم فعلًا فلا بد من تخليصها يومًا ما إن كانوا على الحق.

وبهذه الأوامر والإشارات زاد نشاط المسلمين، واشتد شوقهم إلى الجهاد في سبيل الله، ولقاء العدو في معركة فاصلة تدور لإعلاء كلمة الله»[(٢)].

---

(١) انظر: من معين السيرة ص**١٨٣** - **١٨٤**.

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري، ص**٢٢٣**.

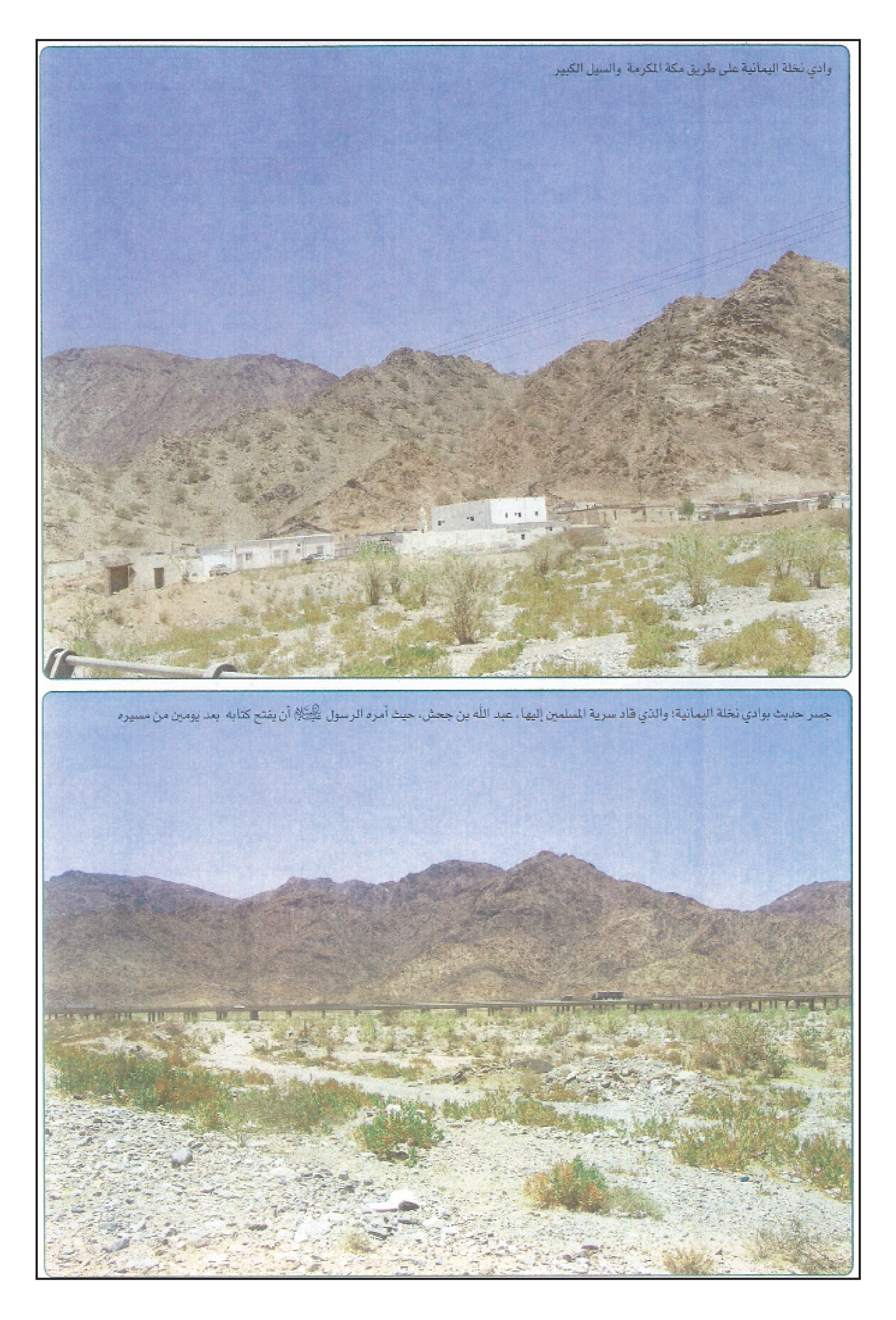


ســرية عبـد الله بـن جحــش في رجب سنة ٢ هـ .

نخلة : بلفظ النخلة شجـــرة التمر : جاء في ذكر سرية عبد الله بن جحش : فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتـاب ، فنظـر فيـه فـإذا فيـه : إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخـلة ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم .

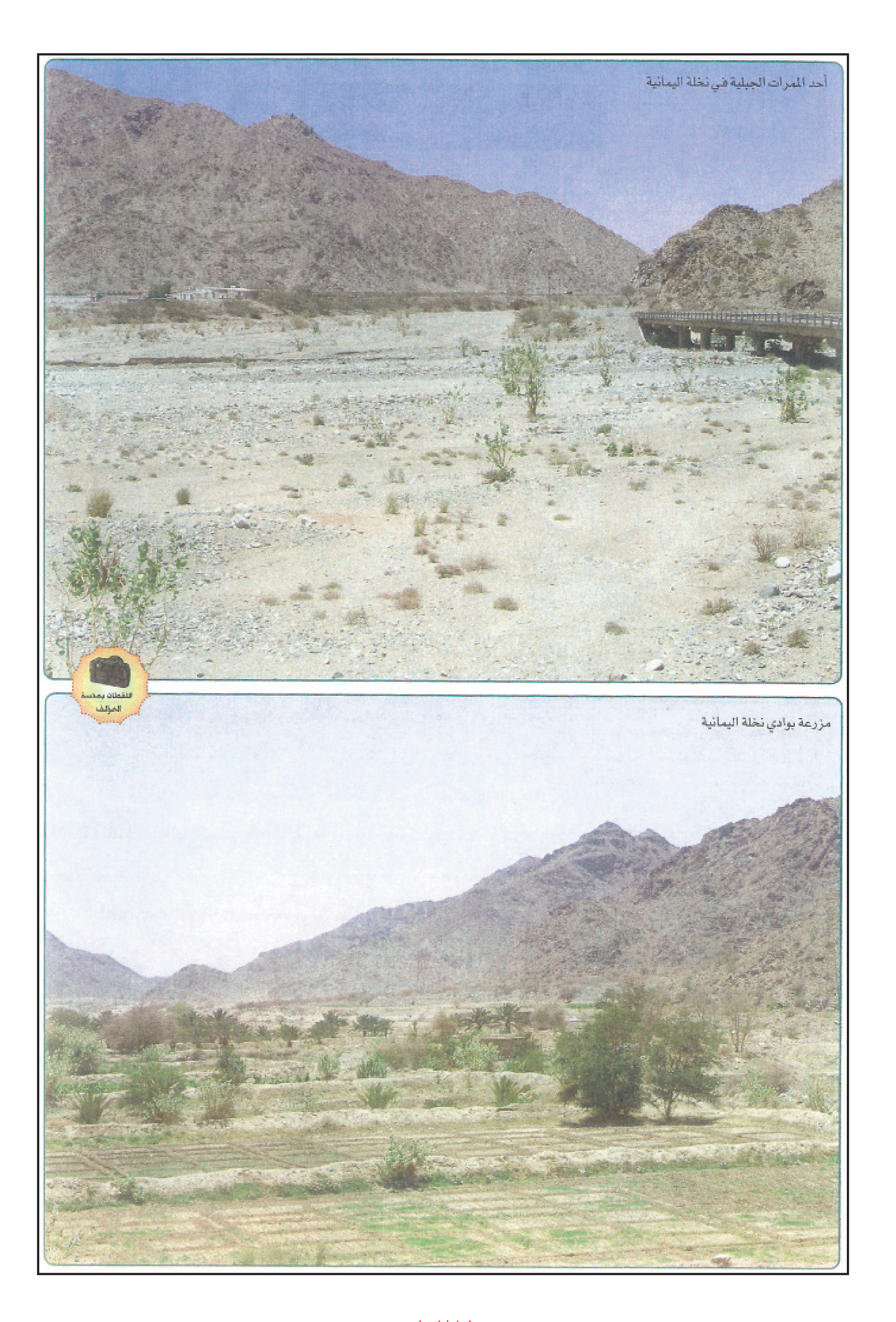
قلت : هما نخلتان : الشامية واليمانية ، والمقصـود فـي هـذه الروايـة نخلـة اليمانية ، لأنها على الطريق القديم بين مكة والطائف ، وما كانت القوافل تسير بينهما إلا فيها .

والنخلتـان . متجاورتـان فـي المنبـع والمصب ، فكلاهما تأخذ أعلى مساقط مياهها مـن السـراة الواقعـة غـرب الطائف ، ثم تنحـدران شمالاً ثم غرباً حتى . تجتمعا فـي ملقى كان يسـمى " بستان ابن معمـر " ثم يكونان وادي مـر الظهران ، وقد تقدم مر الظهران ، في هذا الكتاب . البلادي، المرجع السابق، ٢١٧ - ٢١٨ .



وادي نخلة اليمانية على طريق مكة المكرمة والسيل الكبير

جسر حديث بوادي نخلة اليمانية؛ والذي قاد سرية المسلمين إليها، عبد الله بن جحش، حيث أمره الرسول ﷺ أن يفتح كتابه بعد يومين من مسيره



أحد الممرات الجبلية في نخلة اليمانية

مزرعة بوادي نخلة اليمانية



المبحث الثاني

تاريخ غزوة بدر

إن غزوة بدر الكبرى أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة، فبها أعز الله جنده، وبها رفع الله شأن نبيه، وفرق فيها بين الحق والباطل، وأذل الكفر وأهله، وقد جمعت هذه الغزوة الآيات الكثيرة، والبراهين المشهورة، والمعجزات والكرامات التي حصلت للنبي ﷺ وأصحابه، مما تقدم ذكره في فصول سابقة.

لكن متى كانت هذه الغزوة؟

وهل اتفق العلماء على تحديد تاريخها باليوم والشهر والسنة أم أن هناك خلافًا في ذلك؟

قال ابن حجر ناقلًا عن البيهقي[(١)]: إن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة، ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، وعلى ذلك جرى يعقوب بن سفيان في تاريخه، فذكر أن غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الأولى، وأن غزوة أحد كانت في الثانية، وأن الخندق كانت في الرابعة، وهذا عمل صحيح على ذلك البناء، لكنه بناء واه مخالف لما عليه الجمهور، من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة، وعلى ذلك تكون بدر في الثانية، وأحد في الثالثة، والخندق في الخامسة، وهو المعتمد[(٢)].

وقال أيضًا: أما غزوة بدر في الثانية فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق، وموسى بن عقبة، وأبو الأسود، وغيرهم، واتفقوا على أنها كانت في رمضان، قال ابن عساكر: والمحفوظ أنها كانت يوم الجمعة، ورُوي أنها كانت يوم الإثنين،

---

(١) لم يشر ابن حجر من أي كتاب نقل ذلك عن البيهقي حتى يتسنى الرجوع إليه.

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٩٣).

وهو شاذ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشرة، وقيل: ثاني عشرة، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج، والسابع عشر يوم الوقعة[(١)].

وقد اختلف أهل العلم في تحديد اليوم الذي حصلت فيه هذه الغزوة العظيمة، مع اتفاقهم على أنها كانت في رمضان، كما أشار إلى ذلك الحافظ، وسأذكر هذا الخلاف وأدلة كل فريق مع تخريج الأحاديث والآثار، والراجح من هذه الأقوال.

القول الأول: أنها كانت في السابع عشر من شهر رمضان، وقد استدلوا بالأدلة التالية:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: إن أهل بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، وكان المهاجرون ستة وأربعين، وكانت هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين يوم الجمعة في شهر رمضان[(٢)].

وروى الطبراني من حديث عامر بن عبد الله البدري قال: كانت بدر صبيحة يوم الإثنين لسبع عشرة من رمضان[(٣)].

قال ابن جرير الطبري: وفيها - أي السنة الثانية - كانت وقعة بدر الكبرى، بين رسول الله ﷺ والكفار من قريش، وذلك في شهر رمضان، ثم اختلفوا في اليوم الذي كانت فيه الحرب بينهم، فقال بعضهم: كانت

---

(١) التلخيص الحبير (٤/ ١٦٨).

(٢) (٤/ ١٠٣) برقم (٢٢٣٢)، وقال محققوه: ضعيف، لضعف نصر بن باب، والحجاج بن أرطاة. قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: الحجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس، ص١٥٢، برقم (١١١٩)، وفي هذا السند لم يصرح بالسماع، أما نصر بن باب فقال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: تركه جماعة، وقال البخاري: يرمونه بالكذب (٤/ ٢٥٠)، ورواه البزار (١٧٨٣)، كشف الأستار، والطبراني (١١/ ٣٨٨) برقم (١٢٠٨٣) من طريقين عن الحجاج به، وزاد: وكان لواء المهاجرين مع علي بن أبي طالب، وكان لواء الأنصار مع سعد بن عبادة.

(٣) عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٩٣) إلى الطبراني، وقال: وفي سنده راو لم أعرفه.اهـ، قلت: ولم أجده في الطبراني، وله شاهد رواه البيهقي (٣/ ١٢٨)، من حديث أبي عبد الله الحافظ عن محمد بن يعقوب عن أبي زرعة الدمشقي عن سعيد بن سليمان قال: أخبرنا خالد بن عبد الله عن عمرو بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عامر بن ربيعة به، وإسناده صحيح.

وقعة بدر الجمعة، صبيحة سبع عشرة من رمضان[(١)]، ذكر من قال ذلك، وساق بسنده إلى ابن مسعود أنه قال: التمسوها في سبع عشرة، وتلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يوم بدر، ثم قال: أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين[(٢)].

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

كانت بدر لسبع عشرة مضت من رمضان[(٣)].

وروى ابن جرير في تاريخه بسنده إلى الواقدي قال: فذكرت لمحمد بن صالح، فقال: هذا أعجب الأشياء، ما ظننت أن أحدًا من أهل الدنيا شك في هذا، إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان، يوم الجمعة[(٤)].

وقال محمد بن صالح: وسمعت عاصم بن عمرو بن قتادة، ويزيد بن رومان، يقولان ذلك. قال لي محمد بن صالح: يا ابن أخي! وما تحتاج إلى تسمية الرجال في هذا؟ هذا أبين من ذلك، ما يجهل هذا النساء في بيوتهن[(٥)].

وروى ابن جرير في تاريخه من حديث زيد بن ثابت، أنه كان يُحيي ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وإن كان ليصبح وعلى وجهه أثر السهر، ويقول:

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ١٩).

(٢) (٢/ ١٩)، وفي سنده حجير التغلبي، ولم أجد له ترجمة. ورواه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٢١) برقم (٩٠٧٤) من طريق أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد به، وسنده صحيح. ورواه ابن جرير في تاريخه من طريق محمد بن عمر عن الثوري عن الزبير بن عدي عن إبراهيم عن الأسود به، وفيه الواقدي، وقد سبق الكلام عليه.

(٣) (٩/ ٢٢١) برقم (٩٠٧٣)، وفي سنده سويد بن عبد العزيز السلمي، قال الحافظ في التقريب: ضعيف من كبار التاسعة ص٢٦٠ برقم (٢٦٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧) بعد ذكره لهذا الحديث: وإبراهيم لم يدرك ابن مسعود.

(٤) (٢/ ٢٠) وفي سنده الواقدي، وقد سبق الكلام عنه ص١٥ - ١٦.

(٥) (٢/ ٢٠) تاريخ الطبري.

فرق الله في صبيحتها بين الحق والباطل، وأعز في صبحها الإسلام، وأنزل فيها القرآن، وأذل فيها أئمة الكفر[1].

وروى ابن جرير في تاريخه من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب قال: كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من رمضان[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ - بعد ذكره لحديث الحسن بن علي -: «وهذا إسناد جيد قوي، ورواه ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن عبد الله ابن حبيب عن علي قال: كانت ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان، وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير، وقال يزيد بن حبيب إمام أهل الديار المصرية في زمانه: كان يوم بدر يوم الإثنين. ولم يُتابع على هذا، وقول الجمهور مُقدم عليه، والله أعلم»[3].

القول الثاني: إنها كانت في التاسع عشر من شهر رمضان، وقد استدلوا بالأدلة التالية:

روى ابن جرير في تاريخه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان، فإنها ليلة بدر[4].

وروى أيضًا من حديث عبد الله بن مسعود قال: التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان، فإن صبيحتها كانت صبيحة بدر[5].

وروى أيضًا عن زيد بن ثابت أنه كان لا يحيي ليلة من شهر رمضان كما يحيي ليلة تسع عشرة، وثلاث وعشرين، ويصبح وجهه مصفرًا من أثر السهر،

---

(١) (٢/ ٢٠) وفي سنده عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، انظر: تقريب التهذيب ص٣٤٠ برقم (٣٨٦١).

(٢) (٢/ ٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٣).

(٤) (٢/ ١٩) وفي سنده محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف كما في التقريب.

(٥) (٢/ ١٩) وفي سنده حجير التغلبي، ولم أجد له ترجمة. ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣) من طريق أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد به، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، قلت: وهو كما قالا.

فقيل له، فقال: إن الله ﷻ فرق في صبيحتها بين الحق والباطل[1].

وروى الحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في ليلة القدر قال: تحروها لإحدى عشرة بقين، صبيحتها يوم بدر[2].

القول الثالث: أنها في الثاني عشر من شهر رمضان، وقد أشار إلى هذا القول ابن حجر في كتابه[3] تلخيص الحبير. وقال الزرقاني في المواهب اللدنية: وكان خروجهم (أي المسلمين لبدر) يوم السبت، كما جزم به مغلطاي، وعند ابن سعد يوم الإثنين، وقالا معًا: (لثنتي عشرة) ليلة (خلت من رمضان)[4].

الراجح:

يتبين مما سبق أن تاريخ غزوة بدر ينحصر في ثلاثة أقوال:

الأول: أنها في السابع عشر من رمضان يوم الجمعة، وهذا أقوى الأقوال وأصحها.

الثاني: أنها في التاسع عشر منه، وهو دون الأول؛ لأن الآثار الواردة في ذلك في بعضها ضعف.

الثالث: أنها في الثاني عشر منه، وهذا قول ضعيف جدًا لا سند له.

وقد حاول بعض العلماء الجمع بين هذه الأقوال فقال ابن حجر:

إن الثاني عشر ابتداء الخروج، والسابع عشر يوم الوقعة[5].اهـ.

---

(١) (٢/ ١٩) وفي سنده عبيد بن محمد المحاربي، ضعيف من كبار العاشرة، تقريب التهذيب ص٣٧٨ برقم (٤٣٩٠) وقد تقدم ما يخالفه عن زيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن أبي الزناد صدوق تغير حفظه كما في تقريب التهذيب ص٣٤٠ برقم (٣٨٦١).

(٢) (٢/ ١٩) وفي سنده الأعمش، وهو ثقة، إلا أنه كان يدلس، وقد عنعن في هذا الحديث، تقريب التهذيب ص٢٥٤ برقم (٢٦١٥).

(٣) (٤/ ١٦٨).

(٤) (١/ ٤٠٨).

(٥) تلخيص الحبير (٤/ ١٦٨).

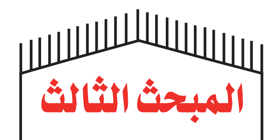
وقد يكون التاسع عشر انتهاء الغزوة، وخاصة إذا علم أنه بقي ثلاثة أيام ببدر، ولم يُسحب المشركون إلى القليب إلا في اليوم الثاني[1].اهـ.

ولعل ما ذكره ابن حجر هو الذي تميل إليه النفس، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) مرويات غزوة بدر للعليمي ص٧٤.



المبحث الثالث

أسباب غزوة بدر

كانت معركة بدر من معارك الإسلام الفاصلة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، ولا شك أن أي معركة في التاريخ لا بد لها من أسباب ومقدمات، وقد سميت الغزوة بغزوة بدر باسم المكان الذي وقعت فيه المعركة(١).

ويمكن تلخيص أسباب غزوة بدر بالآتي:

١ - وجود حق وباطل يتمثل في معسكرين، حق أتى به محمد ﷺ من

(١) بدر ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار وهو ساحل البحر ليلة، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة، سكن هذا الموضع، فنسب إليه، ثم غلب اسمه عليه. وقال الزبير بن بكار: قريش بن الحارث بن يخلد، ويقال: مخلد بن النضر بن كنانة، به سميت قريش، فغلب عليها؛ لأنه كان دليلها وصاحب ميرتها، فكانوا يقولون: جاءت عير قريش، وخرجت عير قريش. قال: وابنه بدر بن قريش، به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة؛ لأنه كان احتفرها، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة، وبين بدر والمدينة سبعة برد.اهـ. معجم البلدان (٢/ ٢٨٤ - ٢٨٥).
أما في اللسان (٥/ ١١٤) فقال: وبدر ماء بعينه، قال الجوهري: يذكر ويؤنث، قال الشعبي: بدر بئر كانت لرجل يُدعى بدرًا، ومنه يوم بدر، وبدر اسم رجل. وقال ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٢٨٥): هي قرية مشهورة، نُسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، كان نزلها، ويقال: بدر بن الحارث، ويقال: بدر اسم البئر التي بها، سُميت بذلك لاستدارتها، أو لصفاء مائها، فكان البدر يُرى فيها.اهـ.
وقال مؤلف كتاب «غزوة بدر الكبرى» الأستاذ محمد باشميل ص١٧: تقع بدر جنوب غرب المدينة، والمسافة بينها وبين المدينة بطرق القوافل التي سلكها الرسول ﷺ حوالي ١٦٠ ميلًا، كما أن بدرًا تقع شمالي مكة، والمسافة بينها وبين مكة بطرق القوافل القديمة التي سلكها المشركون حوالي ٢٥٠ ميلًا، أما المسافة اليوم بين مكة وبدر بطرق السيارات فهي ٣٤٣ كيلو مترًا، والمسافة بين المدينة وبدر بهذا الطريق فهي ١٥٣ كيلومترًا، أما المسافة بين بدر وساحل البحر الأحمر الواقع غربيها، فهي حوالي ٣٠ كيلومترًا.اهـ.

ربه، يدعوهم إليه، وترك ما عداه، وباطل تتمسك به قريش، من عادات الآباء وتقاليدهم، وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]، فلا بد من الصراع والمواجهة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

٢ - لا شك أن الأنصار قدموا الكثير لإخوانهم من المهاجرين، وأعانوهم بأموالهم وأنفسهم، ولكن الرسول ﷺ والمهاجرين معه كانوا على درجة من التعفف لا يقابلها إلا كرم الأنصار، ولذا كانت أنظار الرسول ﷺ وأصحابه تتطلع إلى تلك التجارات التي كانت في الآونة الأخيرة تُجهز بأموال المسلمين المهاجرين التي خلفوها في مكة، ولم يستطيعوا استصحابها نظرًا لظروف سفرهم السرية.

إن دُورَ المهاجرين بمكة تُركت مغلقة ليس فيها ساكن، كدار بني مظعون من بني جمح، ودار بني جحش بن رئاب، ودار بني البكير، وقد وجد طغاة مكة في ذلك فرصة لهم في استلاب ما فيها، بل إن أبا سفيان عدا على دار بني جحش فباعها من عمرو بن علقمة، وهكذا كانت أموال المسلمين بعض رأس المال في تجارة قريش، فكان في أخذها استعادة لحق مسلوب، وأيضًا فيه إضعاف للمشركين اقتصاديًا.

٣ - وجود الرسول ﷺ وأصحابه، وهم قوة في مكان تمر عليه قوافل قريش إلى الشام، ففي ذلك خطر يهدد تجارتهم وحياتهم.

٤ - إرسال الرسول ﷺ سراياه، وخروجه بنفسه، وخاصة تلك التي أرسلها إلى نخلة بين مكة والطائف، أثارت قريش كثيرًا ضده.

٥ - أن الأنصار آووا الرسول ﷺ وأصحابه في المدينة، وفتحوا صدورهم وبلادهم وأموالهم، وهذا أزعج قريشًا؛ لأن في ذلك تمكينًا للخطر الذي تعتقد قريش أنه يهددها ويزيل عاداتها وسلطانها، فرأت أنه لا بد من الوقوف في وجه هذا التجمع الجديد بأي وسيلة، ولذا حنقت أول ما حنقت على الأنصار(١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه حدث

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٩)، ومرويات غزوة بدر للعليمي ص٩٠ - ٩٢.

عن سعد بن معاذ، وجاء في آخره: فقال أبو جهل لسعد: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد آويتم الصباة[1]، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا. فقال له سعد - ورفع صوته عليه -: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة[2].

والذي هدد به سعد هو الذي حدث فيما بعد، وتحقق خوف المشركين، ووقعت قريش فيما كانت تخشى.

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أُبي ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أُبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم، فقال: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم**»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا[3]، الحديث.

إن النبي ﷺ وأصحابه قد ظلوا على غاية من التيقظ والتربص بكل حركة من حركات قريش التجارية والعسكرية.

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلًا من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش، وتجارة من تجاراتهم فيها ثلاثون رجلًا من قريش، أو أربعون منهم: مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد

---

(١) يطلق على من ترك دينه ودان بآخر، انظر: المعجم الوسيط (١/ ٥٠٥).

(٢) سبق تخريجه ص٥٨.

(٣) ص٣٤٠ برقم (٣٠٠٤)، كتاب الخراج، باب في خبر النضير، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٨٢) برقم (٢٥٩٥).

مناف بن زهرة، وعمرو بن العاص بن وائل[(١)].

وروى ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس أنه قال: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلًا من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها**»، فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن الرسول ﷺ يلقى حربًا، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك. فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشًا فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لنا في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة[(٢)].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَةَ[(٣)] عينًا[(٤)]، ينظر ما صنعت عير أبي سفيان[(٥)]، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ. قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه، قال: فحدثه الحديث. قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: «**إن لنا طلبة[(٦)]. فمن كان ظهره[(٧)] حاضرًا فليركب معنا**»، فجعل رجال يستأذنونه في ظُهرانهم، في علو

---

(١) سيرة ابن هشام (**٢/ ١٩٧**)، وهو مرسل لكن يشهد له ما بعده، وأخرجه البيهقي في الدلائل (**٣/ ٣١-٣٥**)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (**٧/ ٢٨١**)، وسكت عليه.

(٢) سيرة ابن هشام (**٢/ ١٨٢ - ١٩٢**)، قلت: وسنده صحيح إلى ابن عباس.

(٣) بُسيسة: قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ، قال: والمعروف في كتب السيرة: بسبس، وهو بسبس بن عمرو، ويقال: ابن بشر من الأنصار من الخزرج، ويقال: حليف لهم. قلت - أي الإمام النووي -: يجوز أن يكون أحد اللفظين اسمًا له، والآخر لقبًا، شرح صحيح مسلم للنووي (**٥/ ٤٤**).

(٤) عينًا: جاسوسًا، النهاية في غريب الحديث (**٣/ ٣٣١**).

(٥) عير أبي سفيان، قال الجوهري في الصحاح: العير بالكسر الإبل تحمل الميرة، جمعها عيرات ص**١٩٥**.

(٦) طلبة: أي شيئًا نطلبه.

(٧) ظهره: الظهر الإبل التي يحمل عليها، وتركب، يقال: عند فلان ظهر أي إبل، النهاية في غريب الحديث (**٣/ ١٦٦**).

المدينة. فقال: «**لا، إلا من كان ظهره حاضرًا**»، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبق المشركين إلى بدر[1]، الحديث.

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ - ٨].

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد[2].

❊ ❊ ❊

(١) ص٧٨٩ برقم (١٩٠١)، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٢) ص٧٥٢ برقم (٣٩٥١)، كتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر.

الباب الثاني

غزوة بدر بين المؤرخين والمحدثين والمفسرين

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أحداث المعركة في الكتاب والسنة.

الفصل الثاني: الفوائد والعبر المستفادة من غزوة بدر.

الفصل الأول

أحداث المعركة في الكتاب والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ما قبل المعركة.

المبحث الثاني: سير المعركة.

المبحث الثالث: بعد المعركة.

المبحث الأول

ما قبل المعركة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: طلب القافلة.

المطلب الثاني: في مكة.

المطلب الثالث: التأهب لملاقاة العدو.

المطلب الرابع: في الطريق.

المطلب الخامس: الوصول إلى بدر.



المطلب الأول

طلب القافلة

لقد كانت معركة بدر بالإضافة إلى كونها المعركة الفاصلة الأولى في تاريخ الإسلام، أول مراحل الكفاح الدامي الذي خاضه الإسلام ضد الشرك، فهي أول معركة (على الإطلاق) يتقابل فيها الفريقان، ويقذفون في عرصاتها بكتائب لم يسبق أن قذفوا بمثلها منذ ظهرت دعوة الإسلام، ونشبت الخصومة بينه وبين الكفر.

سبب الخروج:

تقدم أن النبي ﷺ بلغه أن عيرًا لقريش خرجت إلى الشام للتجارة، فخرج إليها، وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب، حتى وصل إلى العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مدلج، وحلفائهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا[١].

ولما تحين رسول الله ﷺ انصراف العير من الشام، ندب أصحابه للعير، وبعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد، قبل خروجه من المدينة بعشر ليال، يتحسسان[٢] خبر العير، حتى نزلا على كَشَد الجهني بالنَّخْبارِ من الحوراء - والنّخبار من وراء ذي المروة على الساحل - فأجارهما، وأنزلهما، ولم يزالا مقيمين عنده في خباء حتى مرت العير، فرفع طلحة وسعيد على نَشَزٍ من

(١) السيرة النبوية (٢/ ١٩٠).

(٢) قال السهيلي: التحسس بالحاء، أن تتسمع الأخبار بنفسك، والتجسس بالجيم هو أن تفحص عنها بغيرك. الروض الأنف (٥/ ١١٦).

الأرض، فنظرا إلى القوم، وإلى ما تحمل العير، وجعل أهل العير يقولون: يا كَشَد، هل رأيت أحدًا من عيون محمد؟ فيقول: أعوذ بالله، وأنّى عيون محمد بالنّخبار؟ فلما راحت العير باتا حتى أصبحا، ثم خرجا، وخرج معهما كَشَد خفيرًا، حتى أوردهما ذا المروة. وساحلت العير فأسرعت، وساروا الليل والنهار فرَقًا من الطلب. فقدم طلحة بن عبيد الله وسعيد المدينة اليوم الذي لاقاهم رسول الله ﷺ ببدر، فخرجا يعترضان النبي ﷺ، فلقياه بتُربان[1] - وتُربان بينَ مَلَل[2] والسّيالة[3] على المحجة، وكانت منزل ابن أُذَيْنَة الشاعر. وقدم كَشَد بعد ذلك، فأخبر النبي ﷺ سعيد وطلحة إجارته إياهما، فحيّاه رسول الله ﷺ وأكرمه، وقال: «**ألا أقطع لك ينبع؟**»[4]، فقال: إني كبير، وقد نفد عمري، ولكن أقْطِعْها لابن أخي، فقطعها له.

وكانت العير ألف بعير، وكانت فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدًا إلا بعث به في العير، حتى إن المرأة لتبعث بالشيء التافه، فكان يقال: إن فيها لخمسين ألف دينار، وقالوا أقل، وإن كان ليقال: إن أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص - أبي أُحيحة - إما مال لهم، أو مال مع قوم قراض على النصف، فكانت عامة العير لهم، ويقال كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير [وخمسة أو] أربعة آلاف مثقال ذهب، وكان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألف مثقال ذهب، وكان يقال لأمية بن خلف ألفا مثقال.

وكان لبني عبد مناف فيها عشرة آلاف مثقال، وكان متجرهم إلى غزة من أرض الشام، وكانت عيرات بطون قريش فيها - يعني العير[5].

وقد جعل النبي ﷺ يترقب عودة هذه القافلة، فلما بلغه رجوعها ندب الناس

---

(١) سيأتي تعريفها ص١٤٨.

(٢) سيأتي تعريفها ص١٤٨.

(٣) سيأتي تعريفها ص١٤٨.

(٤) ينبع عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر، على ليلة من رضوى من المدينة، على سبع مراحل، وهي لبني حسن بن علي، وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث، وفيها عيون عذاب غزيرة، وواديها يليل، وبها منبر، وهي قرية غناء، وواديها يصب في غيقة. معجم البلدان (٨/ ٥١١).

(٥) انظر: مغازي الواقدي (١/ ١٩ - ٢٠، ٢٧).

إليها، فقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها[(١)].

وبهذا يعلم سر الاحتياط والحذر الشديد من أبي سفيان قائد القافلة من أنه سبق أن تعرضت قافلته لهجوم المسلمين عند خروجه بها إلى الشام، فكان خوفه عند عودته أشد وأعظم.

تنبيه: قد يتساءل البعض عن السبب الذي جعل النبي ﷺ والمؤمنين يستحلون الهجوم على عير قريش بقصد الاستيلاء عليها، وما الذي أحل لهم ذلك؟ وقد تقدم الجواب مفصلًا في مبحث أسباب الغزوة، ولكني هنا أريد أن ألفت النظر إلى أمرين:

الأول: أن النبي ﷺ وأصحابه أُخرجوا من مكة، واستولى المشركون على أموالهم بغير حق، كما نص الله على ذلك بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فاستعادة المرء لحقه الذي سُلب منه أمر مشروع دينًا وعقلًا وفطرةً.

الثاني: أن هذه الأموال أموال الله تعالى، يجب صرفها في طاعته، فبقاؤها في يد من يستعملها في حرب الله ورسوله وعباده المؤمنين لا يجوز إذا ما قدر المسلمون على ذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بدر، والمواضع التي نزل بها إجمالًا:

قال ابن إسحاق: فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة[(٢)]،

(١) سبق تخريجه ص١٣٧.

(٢) نقب المدينة: نقب بني دينار بن النجار، ويقال: نقب المدينة هو طريق العقيق بالحرة الغربية، وبه السقيا كما سبق عن الواقدي في بقع، وفاء الوفا (٤/ ١٣٢٢).

على العقيق[1]، ثم على ذي الحليفة[2]، ثم على أولات الجيش. قال ابن هشام: ذات الجيش[3].

قال ابن إسحاق: «ثم مر على تُربان[4]، ثم على مَلَل[5]، ثم على عميس الحمام[6] من مرَيين[7]، ثم على صُخيرات اليَمام[8]، ثم على السيّالة[9]، ثم على نقب المدينة

---

(١) العقيق: بالفتح ثم الكسر، وقافين بينهما مثناة تحتية ساكنة، قال القاضي عياض: العقيق واد عليه أموال أهل المدينة، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين، وقيل ستة، وقيل سبعة، وهي أعقة أحدها عقيق المدينة، عُق عن حرتها، أي قطع، وهذا العقيق الأصغر، وفيه بئر رومة، والعقيق الأكبر بعد هذا، وفيه بئر عروة، وعلى هذا يحمل الخلاف في المسافات، معجم البلدان (٦/ ٣٤٠).

(٢) ذي الحليفة: الحليفة كجهينة، تصغير الحلفة بفتحات واحد الحلفاء، وهو النبات المعروف، قال المجد: هي قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، وهي ميقات أهل المدينة، وذكر القاضي عياض أن بطن وادي ذي الحليفة من العقيق، وفا الوفاء (٤/ ١١٩٣).

(٣) بالفتح وسكون التحتية، ويُقال: أولات الجيش، وهي على ستة أميال من ذي الحليفة، وقال ابن وهب: هي على ستة أميال من العقيق، وفاء الوفا (٤/ ١١٨).

(٤) تربان: بالضم ثم السكون، واد بين أولات الجيش وملل، قاله أبو زياد، وقال السمهودي: وتقدم في حدود الحرم أن ذات الجيش نقب ثنية الحفيرة، قال الأسدي: بين الحفيرة - أي التي تنسب الثنية لها - وبين ملل ستة أميال، وفاء الوفا (٤/ ١١٦١).

(٥) ملل: بلامين محرّكتان، واد بطريق مكة على أحد وعشرين ميلاً من المدينة، وعن ابن وضاح: اثنين وعشرين ميلًا، وقيل ثمانية عشر ميلًا، وفاء الوفا (٤/ ١٣١٢).

(٦) عميس الحمام: العميس بالفتح ثم الكسر وسكون المثناة تحت، وسين مهملة، واد بين الفرش وملل، قال المجد: هكذا ضبطه ابن الفرات، وعليه المحققون، وقيل إنه بالغين المعجمة، وفاء الوفا (٤/ ١٢٦٨).

(٧) مَرَيْين: قال أبو الحسن: عبود جبل بين مدفع مريين وبين ملل ومريين طريق، أي يسلك هناك، ويريد مريين بطرف عبود، وفاء الوفا (٤/ ١٣٣٦).

(٨) صُخيرات اليمام: تصغير جمع صخرة، وهي صخيرات الثمام بالثاء المثلثة المضمومة، وقيل: الثمامة بلفظ واحدة الثمام، وهو نبت ضعيف له خوص أو شبه بالخوص، وربما حشيت به الوسايد، وهو منزل رسول الله ﷺ إلى بدر، وهو بين السيالة وفرش، وفي المغازي: صخيرات اليمام بالياء، آخر الحروف ذكرت في غزاة بدر، ففي غزاة ذات العشيرة، معجم البلدان (٥/ ١٨٠).

(٩) السيالة: مخففة كسحابة، قال ابن السكيت: مرّ تُبّع بالسيالة بعد رجوعه من المدينة، وبها واد يسيل، فسماها السيالة وآخر السيالة شرف الروحاء، وهي على ثلاثين ميلًا من المدينة، وفاء الوفا (٤/ ١٢٤٠).

فجّ الرَّوْحاء[1]، ثم على شنُوكة[2]، وهي الطريق المعتدلة، ومر على عرقِ الظُّبيةِ[3]، قال ابن هشام: الظَّبْيَة عن غير ابن إسحاق.

ونزل رسول الله ﷺ سجسج[4]، وهي بئر الروحاء، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمنصرف[5] ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النازية[6]، يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها، حتى جزع واديًا[7] يقال له:

---

(١) فج الروحاء: بالفتح ثم الجيم بعد السيالة، مر به النبي ﷺ غير مرة، وبين السيالة والروحاء أحد عشر ميلًا، وبين ملل سبعة أميال، وفاء الوفا (٤/ ١٠٠٨ - ١٢٨٠).

(٢) شنوكة: بالفتح ثم الضم ثم السكون وفتح الكاف بعدها جبل بعد شرف الروحاء بقليل، يقابل الشعب المعروف بشعب علي، وهو شعب شنوكة على ثلاثة أميال من مسجد شرف الروحاء، قاله الأسدي، قال ابن سعد شنوكة فيما بين السيالة وملل، وعندها هرب سهيل بن عمرو، وكان أسره ابن الدخشم يوم بدر، فقال له عندما كانوا بها: خلّ سبيلي للعائط، فهرب، وظفر به النبي ﷺ، وفاء الوفا (٤/ ١٢٤٦).

(٣) عرق الظبية: قال الأسدي: «على تسعة أميال من السيالة، وأنت ذاهب إلى الروحاء مسجد للنبي ﷺ يقال له مسجد الظبية، فيه كانت مشاورة رسول الله ﷺ لقتال أهل بدر، وهو دون الروحاء بميلين».

وقال المجد في ترجمة الشرف: إن في حديث عائشة رضي الله عنها: وأصبح رسول الله ﷺ يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة، ثم راح فتعشى بشرف السيالة، وصلى الصبح بعرق الظبية.

وقال السمهودي: ظبية بالضم ثم السكون، علم مرتجل يُضاف إليه عرق الظبية المتقدم في مساجد طريق مكة بوادي الروحاء، قال السهيلي: الظبية شجرة تشبه القتادة، يستظل بها، وبهذا الموضع قتل عقبة بن أبي معيط صبرًا، منصرفهم من بدر، وفاء الوفا (٤/ ١٠٠٩ - ١٢٥٩).

(٤) قال السمهودي: سجاسج اسم وادي الروحاء، قال ابن شبة: «والسجسج الهواء الذي لا حر فيه ولا برد»، وفاء الوفا (٤/ ١٢٣١)، والروحاء: بالفتح ثم السكون والحاء المهملة، قال المجد: موضع من عمل الفرع على نحو أربعين ميلًا من المدينة، وفي صحيح مسلم على ست وثلاثين ميلًا، وقيل غير ذلك، والجمع بين الأقوال أن أقل المسافات على إرادة أوله، مما يلي المدينة، وأكثرها على آخره، ومتوسطها على وسطه، وفاء الوفا (٤/ ١٢٢٢) قلت: ولا زالت معروفة إلى اليوم على طرق السيارات.

(٥) المنصرف: بالضم وفتح الراء، موضع بين مكة وبدر، بينهما أربعة برد، معجم البلدان (٨/ ٣٣٠).

(٦) النازية: بالزاي وتخفيف المثناة تحت، موضع واسع به عضاء ومرخ بين المستعجلة، وهو مضيق للصفراء، وبين مسجد المنصرف، وهو مسجد الغزالة، وجعله عياض اسم عين هناك، وقال: هي عين كانت ترد على طريق الآخذ من مكة قرب الصفراء، وهي إلى المدينة أقرب قبل مضيق الصفراء، سدت بعد حروب جرت فيها، وفاء الوفا (٤/ ١٣١٧).

(٧) جزَعَ واديًا أي: قطعه عَرضًا.

رُحْقانُ[1]، بين النازية وبين مضيق الصفراء[2]، ثم على المضيق، ثم انصب منه حتّى إذا كان قريبًا من الصّفراء بعث بَسْبَس بن عمرو الجُهنيّ حليفَ بني ساعدة، وعديّ بن أبي الزغباء الجهنيّ حليف بني النّجار، إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدمهما، فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل عن جبَلَيْها ما أسماؤها؟ فقالوا: يقال لأحدهما: هذا مُسْلِحٌ[3]، وقالوا للآخر: هذا مُخْرِئٌ[4]، وسأل عن أهلهما، فقيل: بنو النار، وبنو حُراق، بطنان من بني غفار، فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما، فتركهما رسول الله ﷺ والصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يُقال له: ذَفِران[5]، فجزع فيه ثم نزل، وأتاه الخبر عن قُريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفِران، فسلك على ثنايا يقال لها: الأصافر[6]،

---

(١) رُحقان: بالضم ثم السكون والقاف آخره نون، وادٍ عن يمين المتوجة من النازية إلى المستعجلة، وسيله يصب عن يسار المستعجلة في خيف بني سالم، ولهذا قال ابن إسحاق في السير إلى بدر كما سبق في مسجد مضيق الصفراء، فسلك ناحية منها، يعني النازية، حتى جزع واديًا يقال له رُحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء، أي قطع طرف الوادي المذكور مما يلي المستعجلة، وهي أول مضيق الصفراء، وفاء الوفا (٤/ ١٢١٧).

(٢) الصفراء: تأنيث الأصفر من الألوان، وادي الصفراء من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة، وبينه وبين بدر مرحلة.
قال عرام بن الأصبغ السلمي: الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع، وماؤها عيون كلها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، معجم البلدان (٥/ ١٩٣).

(٣) مسلح: بالضم ثم السكون وكسر اللام، أحد جبلي الصفراء.

(٤) مخرئ: بالضم ثم الفتح وكسر الراء المشددة، اسم فاعل من خراه إذا أسلحه اسم لأحد جبلي الصفراء، واسم الآخر مسلح، ولذلك كره النبي ﷺ المرور بينهما، وفاء الوفا (٤/ ١٣٠٠).

(٥) ذفران: واد معروف قبل الصفراء بيسير، يصب سيله فيها، ويسلكه الحاج المصري في رجوعه من المدينة إلى ينبع، فيأخذ ذات اليمين ويترك الصفراء يسارًا، قال السمهودي: وذفران اليوم مسجد على يسار من سلكه إلى ينبع، فأظنه مسجد ذفران». وفاء الوفا (٣/ ١٠٢٤).

(٦) الأصافر: جمع أصفر، محمول على أحوص وأحاوص، وقد تقدم، وهي ثنايا سلكها النبي ﷺ في طريقه إلى بدر، وقيل الأصافر: جبال مجموعة تسمى بهذا الاسم، ويجوز أن تكون سميت بذلك لصفَرها، أي خُلوها، معجم البلدان (١/ ١٦٧).

ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبة[(١)]، وترك الحنان بيمين، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريبًا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه»[(٢)].

وقد ساق الواقدي قصة خروج النبي ﷺ من المدينة إلى بدر، وفيها زيادة عما ذكره ابن إسحاق، أذكرها للفائدة:

قال: «وخرج رسول الله ﷺ بمن معه حتى انتهى إلى نقب بني دينار، ثم نزل بالبُقع[(٣)]، وهي بيوت السقيا - البُقع نقب بني دينار بالمدينة، والسقيا متصل ببيوت المدينة - يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان، فضرب عسكره هناك، وعرض المقاتلة، فعرض عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، فردهم ولم يجزهم[(٤)].

ثم ساق بأسانيده أن النبي ﷺ أمر أصحابه أن يستقوا من بئرهم يومئذ، وشرب رسول الله ﷺ من ماء بئرهم[(٥)]، وكان النبي ﷺ أول من شرب من بئرهم ذلك اليوم[(٦)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن النبي ﷺ كان يستعذب له من بيوت السقيا بعد ذلك[(٧)].

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أن رسول الله ﷺ توضأ ثم صلى بأرض

---

(١) الدبة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، كدبة الدهن، وقد تخفف، موضع بمضيق الصفراء، يقال له دبة المستعجلة، قال نصر: كذا يقوله المحدثون بالتخفيف، والصواب الأول؛ لأن معناه مجتمع الرمل، والدبة أيضًا موضع بين أصافر وبدر اجتاز به النبي ﷺ بعد ارتحاله من ذفران، يريد بدرًا، وفي القاموس الدبة بالضم موضع قرب بدر، وفاء الوفا (٤/ ١٢١١).

(٢) السيرة النبوية (٢/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٣) البُقع: بالضم اسم بئر بالمدينة، وقال ياقوت في المشترك له البقع، اسم بئر بالمدينة قبلي نقي السقيا التي بنقب بني دينار، وفاء الوفا (٤/ ١١٥٢).

(٤) المغازي (١/ ٢٢)، وهو مرسل.

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٢).

(٦) المصدر السابق (١/ ٢٢).

(٧) المصدر السابق (١/ ٢٢).

سعد[1]، بأصل الحرة عند بيوت السقيا، ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال: «**اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، دعاك لأهل مكة، وإني محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بخم[2]، اللهم إني قد حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة**»[3].

وقدم على رسول الله ﷺ عدي بن أبي الزغباء، وبسبس بن عمرو من بيوت السقيا. قالوا: وجاء عبد الله بن عمرو بن حرام إلى رسول الله ﷺ يومئذ فقال: يا رسول الله، لقد سرني منزلك هذا، وعرضك فيه أصحابك، وتفاءلت به، إن هذا منزلنا - بني سلمة - حيث كان بيننا وبين أهل حُسيكة ما كان - حُسَيْكة الذُّباب، والذباب جبل بناحية المدينة، كان بحُسيْكة يهود، وكان لهم بها منازل كثيرة، فعرضنا ههنا أصحابنا، فأجزنا من كان يطيق السلاح، ورددنا من صَغُر عن حمل السلاح، ثم سرنا إلى يهود حُسيْكة، وهم أعزّ يهود كانوا يومئذ، فقتلناهم كيف شئنا، فذلّت لنا سائر يهود إلى اليوم، وأنا أرجو يا رسول الله أن نلتقي نحن وقُريش، فيُقرّ الله عينك منهم.

وكان خلاّد بن عمرو بن الجموح يقول: لمّا كان من النهار رجع إلى أهله

---

(١) أرض سعد بن أبي وقاص تسمى الفلجان، وتقع في الحرة الغربية في المنطقة الواقعة جنوب غرب ميدان العنبرية، وذكر المطري أنها في آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر علي بالحرم. قال: وهي بئر مليحة، كبيرة، منثورة في الجبل، وقد تعطلت وخربت، وعلى جانبها الشمالي - يعني من جهة المغرب - بناء مستطيل مجصص. قال السمهودي: والظاهر أنه كان حوضًا أو بركة لورود الحجاج، كانوا ينزلون بها أيام عمارة المدينة، ولهذا سمي المطري محلها منزلة النقاء. وقد تهدمت، وتشعثت بعد ذلك، فجددها الجناب الخواجكي البدري بدر الدين بن عليبة سنة ست وثمانين وثمانمائة، تقبل الله منه وأثابه الجنة، وذكر السمهودي أن بجوار هذه البئر مسجد، وهو مسجد السقيا، انظر: وفاء الوفا (٣/ ٨٤٣، ٩٧٢ - ٩٧٦)، وفصول من تاريخ المدينة لعلي حافظ ص١٩٠.

(٢) خم: غدير بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل على ثلاثة أميال من الجحفة، قاله الزمخشري، معجم البلدان (٣/ ٢٤٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٠٩)، وصححه د. صالح الرفاعي في كتابه «الأحاديث الواردة في فضائل المدينة» ص٧٤.

بخُرْبى[1]، فقال له أبوه عمرو بن الجموح: ما ظننتُ إلا أنكم قد سرتم. فقال: إنّ رسول الله ﷺ يعرض الناس بالبُقع.

قال عمرو: نِعم الفأل، والله إني لأرجو أن تغنموا وأن تظفروا بمشركي قُريش. إنّ هذا منزلنا يوم سرنا إلى حُسيْكة. قال: فإنّ رسول الله ﷺ قد غيّر اسمه، وسمّاه السقيا. قال: فكانت في نفسي أن أشتريها، حتى اشتراها سعد بن أبي وقاص ببَكْرين، ويقال بسبع أواق.

قال: فذُكر للنبي ﷺ أنّ سعدًا اشتراها، فقال: «**ربح البيع!**».

قالوا: وراح رسول الله ﷺ عشية الأحد من بيوت السقيا، لاثنتي عشرة مضت من رمضان. وخرج المسلمون معه، وقال رسول الله ﷺ حين فصل من بيوت السقيا: «**اللهم إنهم حفاة فاحملهم**» الحديث[2].

واستعمل رسول الله ﷺ على المشاة قيس بن أبي صعصعة - واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول -، وأمره النبي ﷺ حين فصل من بيوت السقيا أن يعدّ المسلمين، فوقف لهم ببئر أبي عنبة[3] فعدّهم، ثم أخبر النبي ﷺ.

وخرج رسول الله ﷺ من بيوت السقيا حتى سلك بطن العقيق، ثم سلك طريق المكتمن[4]، حتى خرج على بطحاء ابن أزهر[5]، فنزل تحت شجرة هناك،

---

(١) ذكره ياقوت، ولكنه لم يعين موضعه. وقال السمهودي: خربى كحبلى منزلة لبني سلمة فيما بين مسجد القبلتين إلى المذاد، وفاء الوفا (٤/ ١٢٠٠ - ١٢٠١).

(٢) سيأتي ذكره في موضعه ص١٦٥.

(٣) قال ابن سعد: بئر أبي عنبة على ميل من المدينة، طبقات ابن سعد (٢/ ١٢). قال السمهودي: لعل العرض وقع أولًا عند مرورهم بالسقيا، ثم لما ضرب عسكره على هذه البئر أعاد العرض لرد من استصغر، ولعل هذه البئر هي المعروفة اليوم ببئر ودي لانطباق الوصف المتقدم عليها، ولأنها أعذب بئر هناك، وفاء الوفا (٣/ ٩٧٧).

(٤) لعله يريد مكيمن، ويقال مكيمن الجماء، وهو الجبل المتصل بجماء تضارع ببطن العقيق، وفاء الوفا (٤/ ١٣١١).

(٥) البطحاء، يدفع فيها طرف عظم الشامي وما دبر من الصلصين، وتدفع هي من بين الجبلين في العقيق كما سبق، ولعلها بطحاء ابن أزهر، وفاء الوفا (٤/ ١١٤٨).

فصلى فيه رسـول الله ﷺ، وأصبح يوم الإثنين فهو هناك، وأصبح ببطن ملل وتُربان بين الحفيرة وملَل[١].

ومضى رسـول الله ﷺ، وكـان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظبية، ثم سار حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان، فصلى عند بئر الروحاء، وساق الواقدي بسنده إلى سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ لما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة وقال: «**اللهم لا تفلتن أبا جهل بن هشام فرعون هذه الأمة، اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسود، اللهم وأسخن عين أبي زمعة بزمعة، اللهم أعم بصر أبي زمعة، اللهم لا تفلتن سهيلًا، اللهم أنج سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين**»، والوليد بن الوليد لم يدع له يومئذ، أُسر ببدر، ولكنه لما رجع من مكة بعد بدر أسلم، فأراد أن يخرج إلى المدينة فحُبس، فدعا له النبي ﷺ بعد ذلك، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه بالروحاء: «**هذا سجاسج** - يعني وادي الروحاء - **هذا أفضل أودية العرب**».

وخرج رسول الله ﷺ من الروحاء، فسلك المضيق، ثم جاء إلى الخبيرتين، فصلى بينهما، ثم تيامن فتشاءم في الـوادي حتى مر على خيف[٢] المعترضة، فسلك في ثنية المعترضة حتى سلك على التيا، وكان قد صلى بالدبة[٣]، ثم صلى بسير[٤]، ثم صلى بذات أجدال[٥].

ثم صلى بخيف عين العلاء، ثم صلى بالخبيرتين[٦]، ثم نظر إلى جبلين فقال: «**ما اسم هذين الجبلين؟**» قالوا: مُسلح ومخرئ، فقال: «**من ساكنهما؟**» قـالـوا: بنو النـار وبنو حـراق، فانصرف من عند الخبيرتين فمضى حتى قطع

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٢٦).

(٢) الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، القاموس المحيط ص٨٠٩.

(٣) موضع بين أصافر وبدر اجتاز به النبي ﷺ بعد ارتحاله من ذفران يريد بدرًا، وفاء الوفا (٤/ ١٢١١).

(٤) سير بفتح أوله والمثناة التحتية كجبل كثيب بين المدينة وبدر، ويقال إن قسمة غنائم بدر كانت به، وفاء الوفا (٤/ ١٢٤١).

(٥) ذات أجدال: بمضيق الصفراء، وفاء الوفا (٤/ ١٢١٥).

(٦) لعله الجيزتين: مسجد في مضيق الصفراء، وفاء الوفا (٣/ ١٠٢٤).

الخيوف، وجعلها يسارًا حتى سلك في المعترضة[١].

عقد مجلس الشورى:

أول عمل قام به النبي ﷺ بالمدينة استشارة الناس بالخروج لاعتراض عير أبي سفيان.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا[٢].

تنبيهات على ما جاء في الحديث:

الأول: زعم بعضهم أن ذكر سعد بن عبادة في هذا الحديث وقع خطأ، وأن الصواب سعد بن معاذ؛ لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدرًا، والجواب أنه لا وهم في ذلك، فإن الاستشارة وقعت مرتين[٣]، مرة بالمدينة، وهو ما جاء في هذا الحديث، حيث أجاب سعد بن عبادة النبي ﷺ بما أجابه به، وذلك صريح قوله في الحديث أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، والأخرى في الطريق، ولكن المجيب فيها سعد بن معاذ كما سيأتي.

الثاني: من الملاحظ أن النبي ﷺ استشار الناس أكثر من مرة، وهذه طريقة النبي ﷺ أخذًا منه بتوجيه الله له بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، إلا أن الذي يجب التنبه له في هذه الغزوة خاصة هو أن بعض بنود الاتفاق في العقبة لم تكن واضحة وضوحًا كافيًا، وكان النبي ﷺ يتخوف من أن الأنصار لم يكونوا يرون الخروج بهم على عدو خارج المدينة، غير أن أصحاب الإيمان الصادق لا يتشبثون بالشبهات؛ للتخلص مما يوجبه عليهم دينهم، أو مروءتهم

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٥٠ - ٥١)، وهو مرسل.

(٢) ص٧٣٩ - ٧٤٠، برقم (١٧٧٩)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر.

(٣) وهذا ما رجحه الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري (٧/ ٢٨٨).

وأخلاقهم، فهذه الطريقة إنما يستعملها المنافقون، كما نبه الله على ذلك في مواضع كقوله عنهم: ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقول بعضهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ﴾ [التوبة: ٤٩] وغير ذلك.

اختيار الله تعالى لأهل بدر:

قد يكون وقوع كثير من الأمور مصادفة، ولكن هذا إنما يكون هذا بالنسبة إلينا، وأما بالنسبة إلى فعل الله ﷻ فليس ذلك من قبيل المصادفات، فالله ﷻ عليم خبير، أحاط علمه بكل شيء، ووسع كل شيء علمًا، فلا يقع شيء في هذا الكون إلا بعلمه وتقديره، فموفق ومحروم، وهكذا ما وقع في هذه الغزوة فإن النبي ﷺ لم يجزم على أحد بالخروج.

«وكان الذين صحبوا رسول الله ﷺ هذه المرة يحسبون أن مضيهم في هذا الوجه لن يعدو ما ألفوا في السرايا الماضية، ولم يدر بخلد واحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام، ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة، ولما سمح لمسلم أن يبقى في المدينة لحظة»[(١)].

قال الواقدي: «وأبطأ عن النبي ﷺ بشر كثير من أصحابه، كرهوا خروجه، وكان فيه كلام كثير واختلاف، وكان من تخلف لم يُلَم؛ لأنهم ما خرجوا على قتال، وإنما خرجوا للعير، وتخلف قوم من أهل نيات وبصائر، لو ظنوا أنه يكون قتال ما تخلفوا، وكان ممن تخلف أسيد بن حضير، فلما قدم رسول الله ﷺ قال له أسيد: الحمد لله الذي سرك وأظهرك على عدوك، والذي بعثك بالحق، ما تخلفت عنك رغبة بنفسي عن نفسك، ولا ظننت أنك تلاقي عدوًا، ولا ظننت إلا أنها العير. فقال له رسول الله ﷺ: «**صدقت**»»[(٢)].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: فخرج رسول الله ﷺ، فتكلم فقال: «**إن لنا طلبة، فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا**»، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة، فقال: «لا، إلا من كان ظهره

---

(١) فقه السيرة للغزالي ص٢١٨.

(٢) المغازي (١/ ٢٠-٢١).

حاضرًا»، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر[1].

وصدق الله القائل: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

تعيين أمير على المدينة:

كان من هدي الرسول ﷺ أنه إذا خرج من المدينة استخلف عليها أميرًا. وقد أمّر رسول الله ﷺ على المدينة أبا لبابة[2]، وعلى الصلاة بالناس عبد الله بن أم مكتوم، وكان هذا أول عمل عمله عندما خرج لملاقاة قريش.

قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ورد أبا لبابة من الروحاء، واستعمله على المدينة.

قال ابن حجر نقلًا عن ابن عبد البر: روى جماعة من أهل العلم بالنسب والسير أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم ثلاث عشرة مرة - وذكرها - وقال: وفي خروجه إلى بدر ثم استخلف أبا لبابة لما رده من الطريق[3].

روى الحاكم في المستدرك من حديث عروة بن الزبير أن أبا لبابة بشير ابن عبد المنذر والحارث بن حاطب خرجا إلى رسول الله ﷺ وخرجا معه إلى بدر فرجعهما وأمّر أبا لبابة على المدينة، وضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر[4].

قال الزرقاني: بعد أن ذكر رواية ابن إسحاق، قال الحاكم: لم يُتابع على ذلك، إنما كان أبو لبابة زميل النبي ﷺ، ورده مغلطاي بمتابعته له هو في المستدرك، وهو كذلك[5].

---

(١) سبق تخريجه ص١٣٧.

(٢) قال في الإصابة (٧/ ١٦٥): أبو لبابة مختلف في اسمه، قال موسى بن عقبة: اسمه بشير بالمعجمة، وكذا قال أبو الأسود عن عروة، وقيل بالمهملة أوله، التحتانية ثانيه، وقال ابن إسحاق: اسمه رفاعة، وكذا قال ابن نمير وغيره، وذكر صاحب الكشاف وغيره في تفسير الأنفال أن اسمه مروان.اهـ.

(٣) الإصابة (٤/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

(٤) (٣/ ٦٣٢)، وفي سنده ضعف.

(٥) شرح المواهب اللدنية (١/ ٤٠٨).

قال الزرقاني: وبنحوه، أي نحو ما قال ابن إسحاق. ذكره ابن سعد وابن عقبة وابن حبان، ثم قال: فيكون زميل المصطفى حصل قبل رده إياه من الروحاء[1].اهـ.

توزيع القيادات والرايات:

ثم دفع عليه الصلاة والسلام اللواء[2] إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

وكان أبيضَ، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب، يقال لها «العُقاب»، والأخرى مع بعض الأنصار.

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لواء رسول الله ﷺ يوم بدر مع علي بن أبي طالب، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة رضي الله عنه[3][4].

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد أن النبي ﷺ دفع اللواء إلى مصعب ابن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة[5].

---

(١) شرح المواهب اللدنية (١/ ٤٠٨).

(٢) اللواء: قال المباركفوري: لواء بكسر اللام والمد، قال في المغرب: اللواء علم الجيش، وهو دون الراية؛ لأن شقه ثوب يلوى ويُشد إلى عود الرمح، والراية علم الجيش، ويكنى أم الحرب، وهو فوق اللواء، وقال أبو بكر بن العربي: اللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح، ويلوى عليه، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح، وقال التوربشتي: الراية هي التي يتولاها صاحب الحرب، ويقاتل عليها، وتميل المقاتلة إليها، واللواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار، وفي شرح مسلم: الراية العلم الصغير، واللواء العلم الكبير، كذا في المرقاة.اهـ تحفة الأحوذي (٥/ ٣٢١ - ٣٢٢).

(٣) (٦/ ١٥) برقم (٥٣٥٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٩٣): في إسناده الحجاج بن أرطأة، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات.

(٤) ويلاحظ أنه في الرواية السابقة دفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وفي هذه إلى علي، ولا إشكال في ذلك، فكلهم شهدوا بدرًا، إلا رواية الطبراني هنا أن لواء الأنصار كان مع سعد بن عبادة، والصحيح أنه كان مع سعد بن معاذ، كما سيأتي في الرواية القادمة.

(٥) (٣/ ١٧٢).

قال في شرح المواهب: قال اليعمري ابن سيد الناس: والمعروف أن سعد بن معاذ كان على حرس الرسول ﷺ في العريش، وأن لواء المهاجرين كان بيد علي، ثم روى بسنده عن ابن عباس أن النبي ﷺ أعطى عليًا الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة، وأجيب عن الأول بأن هذا كان عند خروجهم، وفي الطريق، فيحتمل أن سعدًا دفعه لغيره بإذنه ﷺ ليحرسه في العريش إذ هو ببدر[(١)].

وصفة الراية واللواء وردت في حديث الترمذي من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت راية نبي الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض[(٢)].

وروى بسنده إلى البراء بن عازب قال: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء مربعة من نمرة[(٣)].

عدة أهل بدر وعددهم والحال التي كانوا عليها:

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل القبلة.. ثم ذكر الحديث[(٤)].

ففي هذا الحديث تحديد لمسألتين:

المسألة الأولى: أن أصحاب النبي ﷺ ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، وهذا فيه تفسير لروايات ستأتي فيها ثلاثمائة وبضعة عشر، فقد فسر البضع بتسعة عشر رجلًا.

المسألة الثانية: تحديد أن المشركين كانوا ألفًا، وسيأتي الكلام عليه[(٥)].

---

(١) شرح المواهب (١/ ٤١٠).

(٢) ص٢٩١ برقم (١٦٨١)، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرايات، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ١٣٦) برقم (١٧٤٨).

(٣) ص٢٩١ برقم (١٦٨٠)، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرايات، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ١٣٦) برقم (١٧٤٧) دون قوله مربعة.

(٤) سبق تخريجه ص٥٤.

(٥) ص١٩٨.

روى البخاري في صحيحه من حديث البراء قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيفًا على ستين، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين[1].

وروى أيضًا من حديث البراء رضي الله عنه قال: حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا النهر، بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن[2].

قال البخاري رحمه الله: فجميع من شهد بدرًا من قريش ممن ضرب له بسهمه أحد وثمانون رجلًا، وكان عروة بن الزبير يقول: قال الزبير: قسمت سهمانهم فكانوا مائة[3].

وروى بسنده إلى الزبير قال: ضربت يوم بدر للمهاجرين بمائة سهم[4].

وقد ذكر ابن حجر كلامًا في الجمع بين هذا، وبين ما تقدم، قال: قوله: وكان عروة، هو بقية كلام موسى بن عقبة عن ابن شهاب، وقد استظهر له المصنف بالحديث الذي بعده، لكن العدد الذي ذكره يغاير حديث البراء الماضي في أوائل هذه القصة، وهي قوله: إن المهاجرين كانوا زيادة على ستين، فيجمع بينهما بأن حديث البراء أورده فيمن شهدها حسًا، وحديث الباب فيمن شهدها حسًا وحكمًا، ويحتمل أن يكون المراد بالعدد الأول الأحرار، والثاني بانضمام مواليهم وأتباعهم.

وقال أيضًا: وقوله «ضربت يوم بدر للمهاجرين بمائة سهم» عند ابن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة «سألت الزبير على كم سهم جاء المهاجرون يوم بدر؟ قال: على مائة سهم».

قال الداودي: هذا يغاير قوله «كانوا إحدى وثمانين»، قال: فإن كان قوله

---

(١) ص٧٥٣ برقم (٣٩٥٥)، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر.
(٢) ص٧٥٣ برقم (٣٩٥٧)، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر.
(٣) ص٧٦٣ برقم (٤٠٢٦)، كتاب المغازي.
(٤) ص٧٦٣ برقم (٤٠٢٧)، كتاب المغازي.

«بمائة سهم» من كلام الزبير فلعله دخله شك في العدد، ويحتمل أن يكون من قول الراوي عنه. قال: وإنما كانوا على التحرير أربعة وثمانين، ولكن معهم ثلاثة أفراس، فأسهم لها سهمين سهمين، وضرب لرجال كان أرسلهم في بعض أمره بسهامهم، فصح أنها كانت مائة بهذا الاعتبار.

قال ابن حجر: هذا الذي قاله أخيرًا لا بأس به، لكن ظهر أن إطلاق المائة إنما هو باعتبار الخمس، وذلك أنه عزل خمس الغنيمة، ثم قسم ما عداه على الغانمين على ثمانين سهمًا عدد من شهدها ومن ألحق بهم، فإذا أضيف إليه الخمس كان ذلك من حساب مائة سهم، والله أعلم[1].اهـ.

وقال أيضًا في موضع آخر: «وقد سبق في الباب قبله أن في حديث عمر عند مسلم أنها تسعة عشر، لكن أخرجه أبو عوانة وابن حبان بإسناد مسلم بلفظ «بضعة عشر»، والبزار من حديث أبي موسى «ثلاثمائة وسبعة عشر»، ولأحمد والبزار والطبراني من حديث ابن عباس: «كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر»، وكذلك أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي من رواية عبيدة بن عمر، والسلماني أحد كبار التابعين، ومنهم من وصله بذكر علي، وهذا هو المشهور عند ابن إسحاق وجماعة من أهل المغازي، ويقال عن ابن إسحاق «وأربعة عشر»، وروى سعيد بن منصور من مرسل أبي اليمان عامر الهوزني، ووصله الطبراني والبيهقي من وجه آخر عن أبي أيوب الأنصاري قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى بدر فقال لأصحابه: «تعادوا»، فوجدهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلًا، ثم قال لهم: «تعادوا»، فتعادوا مرتين، فأقبل رجل على بكر له ضعيف، وهم يتعادون، فتمت العدة ثلاثمائة وخمسة عشر»، وروى البيهقي أيضًا بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر ومعه ثلاثمائة وخمسة عشر»، وهذه الرواية لا تنافي التي قبلها؛ لاحتمال أن تكون الأولى لم يعدّ النبي ﷺ ولا الرجل الذي أتى آخرًا، وأما الرواية التي فيها «وتسعة عشر» فيحتمل أنه ضم إليهم من استصغر ولم يؤذن له في القتال يومئذ كالبراء وابن عمر وكذلك أنس. فقد روى أحمد بسند صحيح أنه

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٢٦).

سئل: «هل شهدت بدرًا؟ فقال: وأين أغيب عن بدر؟».انتهى.

وكأنه كان حينئذ في خدمة النبي ﷺ كما ثبت عنه؛ لأنه خدمه عشر سنين، وذلك يقتضي أن ابتداء خدمته له حين قدومه المدينة، فكأنه خرج معه إلى بدر، أو خرج مع عمه زوج أمه أبي طلحة. وحكى السهيلي أنه حضر مع المسلمين سبعون نفسًا من الجن، وكان المشركون ألفًا، وقيل سبعمائة وخمسون، وكان معهم سبعمائة بعير ومائة فرس، ومن هذا القبيل جابر بن عبد الله، فقد روى أبو داود بإسناد صحيح عنه قال: «كنت أمنح الماء لأصحابي يوم بدر»، وإذا تحرر هذا الجمع فليعلم أن الجميع لم يشهدوا القتال، وإنما شهده منهم ثلاثمائة وخمسة أو ستة كما أخرجه ابن جرير، وسيأتي من حديث أنس أن ابن عمته حارثة بن سراقة خرج نظارًا وهو غلام يوم بدر، فأصابه سهم فقتل، وعند ابن جرير من حديث ابن عباس «أن أهل بدر كانوا ثلاثمائة وستة رجال» وقد بين ذلك ابن سعد، فقال: «إنهم كانوا ثلاثمائة وخمسة»، وكأنه لم يعدّ فيهم رسول الله ﷺ، وبين وجه الجمع بأن ثمانية أنفس عدوا في أهل بدر ولم يشهدوها، وإنما ضرب لهم رسول الله ﷺ معهم بسهامهم لكونهم تخلفوا لضرورات لهم، وهم عثمان بن عفان تخلف عند زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ بإذنه، وكانت في مرض الموت. وطلحة وسعيد بن زيد، بعثهما يتجسسان عير قريش، فهؤلاء من المهاجرين. وأبولبابة رده من الروحاء، واستخلفه على المدينة، وعاصم بن عدي استخلفه على أهل العالية[1]، والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف، والحارث بن الصمة وقع فكسر بالروحاء فرده إلى المدينة، وخوات بن جبير كذلك، هؤلاء الذين ذكرهم ابن سعد. وذكر غيره سعد بن مالك الساعدي والد سهل مات في الطريق، وممن اختلف فيه هل شهدها أو رُدّ لحاجة سعد بن عبادة، وقع ذكره في مسلم، وصبيح مولى أحيحة رجع لمرضه فيما قيل، وقيل: إن جعفر بن أبي طالب ممن ضرب له بسهم، نقله الحاكم»[2].اهـ.

---

(١) العالية: أي عوالي المدينة، ولا زالت إلى اليوم تحمل هذا الاسم «العوالي».
(٢) فتح الباري (٧/ ٢٩٢).

روى الحاكم في المستدرك من حديث عامر بن سعد عن أبيه قال: عُرض على رسول الله ﷺ جيش بدر، فرد عمير بن أبي وقاص، فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ وعقد عليه حمائل[1] سيفه[2].

وروى أيضًا من حديث سليمان بن أبان حدثه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعًا الخروج معه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أن يخرج أحدهما، فاستهما فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نسائك. فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ود[3].

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ سبعين بعيرًا، فاعتقبوها، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، يعتقبون بعيرًا، وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة وأنسة موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيرًا، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرًا[4].

وساق الواقدي بسنده إلى سعد بن أبي وقاص أنه قال: خرجنا إلى بدر مع رسول الله ﷺ ومعنا سبعون بعيرًا، فكانوا يتعاقبون الثلاثة، والأربعة، والاثنان، على بعير، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبي ﷺ عنه غناء أرْجَلُهم رُجلة، وأرْماهُم بسهم، لم أركب خطوة ذاهبًا ولا راجعًا، واستعمل رسول الله ﷺ على المشاة قيس بن أبي صعصعة عمرو ابن زيد بن عوف بن مبذول[5].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي زميلَيْ رسول الله ﷺ قال: فكانت

(١) أي علاقة السيف، انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٩٩).
(٢) (٣/ ٢٠٨) برقم (٤٨٦٤)، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٧٠): فيه يعقوب بن محمد الزهري ضعفوه.
(٣) (٣/ ٢٠٩) برقم (٤٨٦٦)، وقال [الذهبي] في التلخيص (٣/ ٢٠٩): مرسل وإسناده ضعيف.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٠٤).
(٥) المغازي (١/ ٢٦).

عقبة رسول الله ﷺ، فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: «**ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[(١)].

قال ابن كثير: ولعل هذا كان قبل أن يرد أبو لبابة من الروحاء، ثم كان زميلاه علي ومرثد بدل أبي لبابة، والله أعلم[(٢)].

قال الواقدي: وحمل سعد بن عبادة في بدر على عشرين جملًا[(٣)].

روى البيهقي في الدلائل عن موسى بن عقبة قال: كان معهم فرسان، على إحداهما مصعب بن عمير، وعلى الأخرى الزبير بن العوام، ومرة سعد بن خيثمة، ومرة المقداد بن الأسود[(٤)].

وروى الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي، حتى أصبح[(٥)].

وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس أن عليًا قال: ما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود، يعني يوم بدر[(٦)].

وروى الأموي من حديث البهي قال: كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على الميمنة، والمقداد على الميسرة[(٧)].

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أنه كان مع المسلمين يوم بدر من

---

(١) المسند (٧/ ١٧) برقم (٣٩٠١) وإسناده حسن كما قال محققوه.

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٦٦).

(٣) المغازي (١/ ٢٥).

(٤) (٣/ ١١٠) وموسى بن عقبة تقدمت ترجمته ص٤٢.

(٥) (٢/ ٢٩٩) برقم (١٠٢٣) وإسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب، فمن رجال أصحاب السنن وهو ثقة.

(٦) (٣/ ٣٩) وفي سنده ابن وهب، قال الحافظ في التقريب ص٧٠٢ برقم (٨٤٩١): مجهول. وأبو صخر يزيد بن أبي سمية، قال الحافظ في التقريب ص٦٠١ برقم (٧٧٢٥): مقبول.

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي، قسم المغازي ص٧٩، وهو مرسل، عبد الله البهي لم يدرك النبي ﷺ، قال الحافظ في التقريب: مولى مصعب بن الزبير، يقال: اسم أبيه يسار، صدوق يخطئ من الثالثة ص٣٣٠ برقم (٣٧٢٣).

الخيل فرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان يقال له السَّبَل، وفرس المقداد بن عمرو، وكان يقال له بَعْزَجَه، ويقال له سَبْحة، وفرس الزبير بن العوام، وكان يقال له اليَعْسوب[1].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير[2].

ابتهال وتضرع:

يرى النبي ﷺ أصحابه وهم في أشد الحاجة إلى الطعام واللباس والمركب فيتألم لذلك إذ أنه لا يجد ما يعينهم به فيلجأ إلى ربه ويتضرع إليه، ويدعوه كما هي عادته عليه الصلاة والسلام وهديه، والذي ينبغي للصالحين أن يقتدوا به فيعلم أن الأبواب إذا أُغلقت فإن هناك بابًا لا يُغلق، من أحسن الدخول فتح له، إنه باب الله الغفور الرحيم، اللطيف الخبير، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الشاعر:

لا تسألن بني آدم حاجة	وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله	وبني آدم حين يسأل يغضب

روى أبو داود في سننه، والحاكم في المستدرك، والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلًا من أصحابه، فلما انتهى إليها قال: «**اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم**»، ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا قد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا، وشبعوا[3].

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٥٧).

(٢) سبق تخريجه ص١٦٤.

(٣) إسناده حسن ص٣١٠ برقم (٢٧٤٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٨) الحاكم في المستدرك (٢/ ١٤٤)، وحسنه الحافظ في الفتح (٧/ ٢٣٣)، والألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على فقه السيرة ص٢٣٥.

قال سعد بن أبي وقاص: فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهرًا للرجل البعير والبعيران، واكتسى من كان عاريًا، وأصابوا طعامًا من أزوادهم، وأصابوا فداء الأسرى فأغنى به كل عائل(١).

بث العيون والبحث عن أبي سفيان:

لقد كان رسول الله ﷺ يرسل العيون، ويخرج بنفسه يتحسس الأخبار، ولم يترك طريقًا من الطرق التي بواسطتها يصل إلى أخبار العدو إلا سلكه.

روى ابن سعد في الطبقات من طريق عكرمة أن النبي ﷺ بعث عديًا ابن أبي الزغباء، وبسبس بن عمرو طليعة يوم بدر، فأتيا الماء فسألا عن أبي سفيان فأخبرا بمكانه فرجعا إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، نزل بماء كذا يوم كذا، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا، وينزل هو ماء كذا يوم كذا، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا، حتى نلتقي نحن وهو على الماء(٢).

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان في قصة ركوب النبي ﷺ هو ورجل من أصحابه قال: حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما، فقال له رسول الله ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**»، فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «**نعم**». قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**نحن من ماء**». ثم انصرف عنه، وقال: يقول الشيخ: من ماء؟ أمن ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري(٣).

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٢٦).

(٢) (٢/ ٢٤) وإسناده صحيح، إلا أنه مرسل.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٦)، ومحمد بن يحيى بن حبان، قال عنه الحافظ في التقريب ص٥١٢ برقم (٦٣٨١): ثقة فقيه من الرابعة، مات سنة إحدى وعشرين، والإسناد منقطع.

أبو سفيان يأخذ الحذر وينجو:

كما كان النبي ﷺ وأصحابه يتحسسون أخبار أبي سفيان، كان هو كذلك يتحسس أخبارهم، وقد كاد أن يسقط في أيديهم، غير أن فطنته وذكاءه حملاه على أن يغير طريقه، ويسلك بالقافلة طريقًا آخر، وبذلك نجا وما كاد.

قال الواقدي: وأقبل أبو سفيان بالعير، وخافوا خوفًا شديدًا حين دنوا من المدينة، واستبطأوا ضمضمًا والنفير، فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر جعلت العير تقبل بوجهها إلى ماء بدر.

وكانوا باتوا من وراء بدر آخر ليلتهم، وهم على أن يُصبّحوا بدرًا إن لم يُعترض لهم، فما أقرتهم العير حتى ضربوها بالعُقُل[1]، على أن بعضها ليُثْنى بعقالين، وتُرجّعُ الحنين تواردًا إلى ماء بدر، وما بها إلى الماء حاجة، لقد شربت بالأمس، وجعل أهل العير يقولون: إن هذا شيء ما صنعته منذ خرجنا! قالوا: وغشيتنا تلك الليلة ظلمة حتى ما نبصر شيئًا.

وكان بَسبَس بن عمرو، وعديّ بن أبي الزغباء وردا على مَجْدِيٍّ بدرًا يتحسّسان الخبر، فلما نزلا ماء بدر أناخا راحلتيهما إلى قريب من الماء، ثم أخذا أسقيَتهما يستقيان من الماء، فسمعا جاريتين من جواري جهينة يقال لإحداهما برزة، وهي تُلزم صاحبتَها في درهم كان لها عليها، وصاحبتها تقول: إنما العير غدًا أو بعد غد، قد نزلت الرَّوحاء. ومَجدِيّ بن عمرو يسمعها فقال: صدقتِ! فلّما سمع ذلك بَسبَس وعديّ انطلقا راجعين إلى النبي ﷺ، حتى لقياه بعرق الظَّبْيَة فأخبراه الخبر.

فأصبح أبو سفيان تلك الليلة ببدر، قد تقدم العير وهو خائف من الرصد، فقال: يا مجديّ، هل أحسست أحدًا؟ تعلم والله ما بمكة من قرشيّ ولا قرشية له نشٌّ فصاعدًا - والنّش نصف أوقية، وزن عشرين درهمًا - إلا وقد بعث به معنا،

(١) الحبل الذي يُعقل به البعير، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٨٠).

ولئن كتمتنا شأن عدونا لا يصالحك رجلٌ من قريش ما بلَّ بحرٌ صوفةً. فقال مجديّ: والله ما رأيت أحدًا أنكره، ولا بينك وبين يثرب من عدو، ولو كان بينك وبينها عدوٌّ لم يخف علينا، وما كنت لأخفيه عليك، إلا أني قد رأيت راكبين أتيا إلى هذا المكان - فأشار إلى مناخ عَديّ وبَسبَس - فأناخا به، ثم استقيا بأسقيَتهما، ثم انصرفا. فجاء أبو سفيان مُناخهما، فأخذ أبعارًا من بعيريهما ففتّه، فإذا فيه نوًى، فقال: هذه والله علائف يثرب، هذه عيون محمد وأصحابه، ما أرى القوم إلا قريبًا! فضرب وجه عيره، فساحل بها، وترك بدرًا يسارًا، وانطلق سريعًا.

فلمّا أفلَتَ أبو سفيان بالعير، ورأى أنه قد أجزرها، أرسل إلى قريش قيس بن امرئ القيس - وكان مع أصحاب العير، خرج معهم من مكة - فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع، ويقول: قد نجت عيركم، فلا تُجزروا[1] أنفسكم أهل يثرب، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك، إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم، وقد نجاها الله. فإن أبوا عليك، فلا يأبون خصلة واحدة، يردون القيان، فإن الحرب إذا أكلت نكَّلت. فعالَجَ قريشًا وأبت الرجوع، وقالوا: أما القِيان فسنردهن!، فردوهنّ من الجُحفة[2]. ولحق الرسول أبا سفيان بالهدَّة - والهدَّة على سبعة أميال من عقبة عَسفان على تسعة وثلاثين ميلًا من مكة - فأخبره بمضي قريش، فقال: واقوماه! هذا عمل عمرو بن هشام، كره أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس وبغى، والبغي منقصة وشؤم. إن أصاب أصحاب محمد النفير ذللنا إلى أن يدخل مكة. وكانت القيان: سارة مولاة عمرو ابن هشام، ومولاة كانت لأمية بن خلف، ومولاة يُقال لها عزَّة للأسود ابن المطّلب[3].

---

(١) ويقال أجزرتك شاة إذا دفعت إليك شاة تذبحها. (مقاييس اللغة، ج١، ص٤٥٦) والمعنى هنا: لا تجعلوا أنفسكم ذبائح.

(٢) الجحفة: بالضم وسكون الحاء المهملة، أحد المواقيت، قرية كانت كبيرة ذات منبر، على نحو خمس مراحل وثلثي مرحلة من المدينة، وعلى نحو أربع مراحل ونصف من مكة، وكانت تُسمى أولًا «مهيعة»، وفاء الوفا (٤/ ١١٧٤).

(٣) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٤١ - ٤٣).



في مكة

إجارة الشيطان قريشًا:

قال ابن إسحاق: «ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحرب التي كانت بين قريش، وبين بني بكر في ابن لحفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي، قتله رجلٌ من بني بكر بإشارة عامر بن ثريد بن عامر بن اللوح، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص، فقتل عامرًا، وخاض بسيفه في بطنه، ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة، فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم»[(١)].

وقال أيضًا: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: «لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة لسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعًا»[(٢)].

قال ابن كثير: «وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٠١ - ٢٠٣).

(٢) السيرة النبوية (٢/ ٢٠٣)، وسنده صحيح لكنه مرسل، وقد جاء مرفوعًا عند ابن جرير في تفسيره (٦/ ٢٦٥) من حديث ابن عباس بسند ضعيف فيه الحجاج بن أرطاة، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، كما تقدم، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٧٨ - ٧٩) وفيه علي بن أبي طلحة، وهو لم يسمع من ابن عباس.

دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٧ - ٤٨]، غرهم لعنه الله حتى ساروا، وسار معهم منزلة منزلة، ومعه جنوده وراياته، كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم، فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر، وعاين جبريل نكص على عقبيه، وقال: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله.. وهذا كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١].

فإبليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهبًا، فكان أول من هرب يومئذ، بعد أن كان هو المشجع لهم، المجير لهم، كما غرهم ووعدهم ومنّاهم، وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا»[(١)].

قريش تعد العدة، وتتأهب لقتال النبي ﷺ:

قال ابن إسحاق: «فتجهز الناس سراعًا، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا والله، ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين، إما خارج، وإما باعث مكانه رجلًا، وأوعبت قريش، فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان قد لأط[(٢)] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعثه، فخرج عنه، وتخلف أبو لهب»[(٣)].

(١) البداية والنهاية (٥/ ٦٢/ ٦٣).

(٢) لأطه: لاطأ: أمره بأمر فألح عليه، واقتضاه فألح عليه، المعجم الوسيط (٢/ ٨١٠ - ٨٤٦) ويقال: لأط حبه بقلبي إذا لصق به.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٠).

قال ابن إسحاق: «فحدثني عبد الله بن أبي نجيح، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود، وكان شيخًا جليلًا جسيمًا ثقيلًا، فأتاه عقبة ابن أبي معيط، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة[(١)] يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي استجمر فإنما أنت من النساء، قال: قبحك الله وقبح ما جئت به!! قال ثم تجهز فخرج مع الناس»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبلغ الصريخ أهل مكة فنهضوا مسرعين، وأوعبوا في الخروج، فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش، إلا بني عدي فإنه لم يخرج معهم منهم أحد، وخرجوا من ديارهم كما قال تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ بحدهم وحديدهم تحاده وتحاد رسوله، وجاؤوا على حردٍ قادرين، وعلى حمية، وغضب، وحنق على رسول الله ﷺ وأصحابه، لما يريدون من أخذ عيرهم، وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي، والعير التي كانت معه، فجمعهم الله على غير ميعاد كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]»[(٣)].

وقال الأخنس بن شريق، وكان اسمه أُبيًا، وكان حليفًا لبني زهرة: يا بني زهرة، قد نجى الله عيركم، وخلص أموالكم، ونجى صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنما خرجتم لتمنعوه وماله، وإنما محمد رجل منكم، ابن أختكم، فإن

---

(١) مجمر: أي عود يتبخر به.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠١)، وأخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٢٥-٢٤)، وفي سنده محمد بن حميد بن حيان الرازي شيخ الطبري، قال الحافظ في التقريب: حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه ص٤٧٥ برقم (٥٨٣٤)، ويشهد له حديث عبد الله بن مسعود في صحيح البخاري، وقد سبق ذكره ص٥٨-٥٩.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٧٢-١٧٣).

يك نبيًا فأنتم أسعد به، وإن يك كاذبًا يلي قتله غيركم، خير من أن تلوا قتل ابن أختكم، فارجعوا واجعلوا جُبنها بي، فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة، لا ما يقول هذا الرجل، فإنه مهلك قومه، سريعٌ في فسادهم، فأطاعوه، وكان فيهم مُطاعًا، وكانوا يتيمّنون به، قالوا: كيف نصنع بالرجوع إن نرجع؟ قال الأخنس: نخرج مع القوم، فإذا أمسيتُ سقطتُ عن بعيري، فتقولون: نُهش[1] الأخنس، فإذا قالوا امضوا، فقولوا: لا نفارق صاحبنا حتى نعلم أهو حيّ أم ميّت فندفنه، فإذا مضوا رجعنا. ففعلت بنو زهرة، فلما أصبحوا بالأبواء[2] راجعين تبين للناس أن بني زهرة رجعوا، فلم يشهدها أحد من بني زهرة. قالوا: وكانوا مائة أو أقل من المائة، وهو أثبت، وقد قال قائل: كانوا ثلاثمائة. وقال عديّ بن أبي الزغباء في منحدره إلى المدينة من بدر، وانتشرت الركاب عليه، فجعل عديّ يقول:

أَقِمْ لهَا صُدُورهَا يا بَسْبَسُ ... إنّ مطايا[3] القَومِ لا تُحْبَسُ

وحمْلُهَا على الطَّريقِ أكْيَسُ ... قدْ نصرَ الله وفرَّ الأخْنَسُ

وخرجت بنو عديّ مع النفير حتى كانوا بثنيّة لَفْت[4]، فلما كانوا في السحر عدلوا في الساحل منصرفين إلى مكة، فصادفهم أبو سفيان، فقال: يا بني عديّ، كيفَ رجعتم لا في العير ولا في النفير؟ قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع،

(١) نهش: أي نهس أو لسع، القاموس المحيط ص٦٠٨.

(٢) الأبواء: قال المجد: هي قرية من عمل الفُرع، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، فتكون على خمسة أيام من المدينة، وقيل الأبواء جبل عن يمين آرة، ويمين الطريق المصعد إلى مكة، وهناك بلد ينسب إلى ذلك الجبل، وهو بمعنى قول الحافظ ابن حجر: «الأبواء جبل من عمل الفُرع، سمي به لوبائه على القلب»، وقيل: لأن السيول تتبوؤه أي تحله، قال السمهودي: ويجمع بأنه اسم للجبل والوادي، وقريته، وفاء الوفا (٤/ ١١١٩).

(٣) المطايا: المطي جمع مطية، وهي الناقة التي يركب مطاها، أي ظهرها، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٤٠).

(٤) قال البكري: لفْت بفتح أوله وكسره وسكون الفاء، موضع بين مكة والمدينة. معجم ما استعجم ص٤٩٤.

فرجع من رجع، ومضى من مضى! فلم يشهدها أحدٌ من بني عديّ. ويُقال إنه لاقاهم بمرّ الظهران، فقال تلك المقالة لهم. قال محمد بن عمر الواقدي: رجعت زُهرة من الجحفة، وأمّا بنو عديّ فرجعوا من الطريق، ويقال من مرّ الظهران[1][2].

نذر وعبر:

تقدم أن أبا سفيان لما أيقن بنجاة القافلة أرسل إلى قريش أن يرجعوا، ولا حاجة لخروجهم، غير أن الكبر والطغيان منعهم من الاستماع إلى نصيحته على الرغم من أنهم جاءتهم نذر أخرى، تبين سوء عاقبة هذا الخروج، فمن ذلك رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، والتي أولت بأن مصابًا سيحل في مكة، وسيؤدي إلى قتل عدد من زعماء قريش، مما أثار حفيظة بعض زعماء الشرك.

قال ابن إسحاق: حدثني ابن رومان عن عروة بن الزبير قال: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب ﵂ قبل قدوم ضمضم الغفاري مكة بثلاث ليال، رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني[3]، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به، فقال لها: وما رأيت؟

قالت: رأيت راكبًا أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغُدُر[4] لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به[5] بعيره على ظهر

(١) مران بالفتح وتشديد الراء، آخره نون، وحكي ضم أوله، موضع على ثمانية عشر ميلاً من المدينة، كذا قال عياض، وقال المجد: مران في كتاب مكة يعني «مر الظهران»، قال السمهودي: «وهي بالجهة المعروفة اليوم بكشب». وفاء الوفا (٤/ ١٣٠٣).

(٢) انظر: المغازي (١/ ٤٤ - ٤٥).

(٣) أفظعتني: أخافتني. قال في المعجم الوسيط: «فَظِعَ» بالأمر فظعًا، وفظاعة: استعظمه وهاله.

(٤) يا لغدر: يا أهل الغدر.

(٥) مثل به: قام به، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٣).

الكعبة، ثم صرخ بمثلها، ألا انفروا يا لغُدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت[(١)]، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا دخلتها منها فلقة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العباس، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان له صديقًا، فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا[(٢)] الحديث بمكة، حتى تحدثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا.

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة. قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا ثلاث، فسنتربص[(٣)]، بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًا ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير، إلا أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئًا، قال: ثم تفرقنا.

فلما أمسيت، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرٌ لشيء مما سمعت! قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه

---

(١) أرفضت: تفتتت وتقطعت.

(٢) ففشا: ذاع وانتشر، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٩٠).

(٣) نتربص: ننتظر.

من كبير، وأيم الله لأتعرضن له، فإن عاد لأكفينّكنّه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه.

قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلًا خفيفًا، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر[١]. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد[٢]، قال: فقلت في نفسي: ما له لعنه الله! أكل هذا فرقٌ مني أن أشاتمه!

قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضمضم بن عمرو الغفاري، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفًا على بعيره، قد جدع بعيره[٣]، وحول رحله[٤]، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش.. اللطيمة اللطيمة[٥]، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث. قال: فشغلني عنه، وشغله عني ما جاء من الأمر[٦].

* * *

---

(١) حديد النظر: قوي البصر، المعجم الوسيط (١/ ١٦١).

(٢) يشتد: يسرع.

(٣) جدع بعيره: قطع أنفه، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٦).

(٤) حول رحله: قال في المعجم الوسيط: (حول) الشيء: غيره أو نقله من مكان إلى آخر (١/ ٢٠٩).

(٥) اللطيمة: الجمال التي تحمل العطر والبز، غير الميرة، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٥١).

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٨ - ٢٠٠)، وسنده صحيح، إلا أنه مرسل، ورواه الحاكم (٣/ ١٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩ - ٣١)، إلا أن في سنده حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، قال الحافظ في التقريب: ضعيف من الخامسة ص١٦٧ برقم (١٣٢٦). ورواه الطبراني في الكبير بإسنادين، أحدهما مرفوع (٢٤/ ٣٤٨) برقم (٨٥٩)، وفيه عبد العزيز ابن عمران، وهو ضعيف، والآخر مرسل من طريق ابن لهيعة (٢٤/ ٣٤٨) برقم (٨٦٠) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨/ ١٣٨): وأورده ابن منده بسنده عن عاتكة بنت عبد المطلب، وفي سنده محمد بن عبد العزيز ابن عبد الرحمن القاضي، قال عنه البخاري: منكر الحديث، لسان الميزان (٥/ ٢٦٠).



الطريق إلى بـــدر الكبــــرى

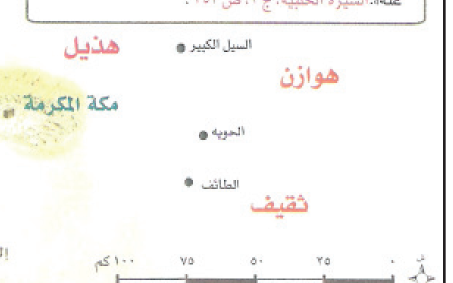
قـال ابـن عباس لـمـا أخبر رسول الله صلـى الله عليه وسلم بأبـي سفيان أنه مقبل من الشأم ندب المسلمين إليهم وقال: « هـذه عير قريش فيهـا الأموال فاخرجوا إليهـم لعل الله أن يُنَفِّلكموهـا » قـال: فانبعث معـه من خفّ؛ وثقل قـوم وكرهوا الخـروج، وأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَلْوِي على مـن تعذّر، ولا ينتظر من غاب ظهره، فسار في ثلثمائة وثلاثة عشر من أصحابه من مهاجريّ وأنصاريّ. وفي البخاريّ عن البراء بـن عازب قال: كان المهاجرون يوم بـدر نيفاً وثمانين، وكان الأنصار نيفاً وأربعين ومائتين. وخرج أيضاً عنه قال: كنا نتحـدّث أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ثلثمائة وبضعة عشـر ، على عدد أصحاب طالـوت الذين جاوزوا معه النهـر ، وما جاوز معه إلا مؤمن. وذكـر البيهقيّ عن أبي أيوب الأنصـاري قـال: فخرجنا ـ يعني إلى بدر ـ فلمـا سرنا يوماً أو يومـين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتعادّ ، ففعلنا فإذا نحن ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فأخبرنا النبيّ صلى الله عليـه وسلـم بعدّتنـا ، فسـرّ بذلـك وحمـد الله وقـال: « عدّة أصحاب طالوت ». قال ابن إسحاق: وقد ظن الناس بأجمعهم أن رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم لا يَلْقَى حَرْبـاً فلم يكثر استعدادهـم. وكان أبو سفيان حين دنـا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوّفاً على أموال الناس،

تفسير القرطبي، سورة الأنفال، آية ١١، ج ٧، ص ٣٧١ .

غزوة بدر الكبرى

يقـال لهـا بدر العظمـى، ويقال لها بـدر القتـال، ويقال بدر الفرقان: أي لأن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل.

« ثم إن العير التي خـرج في طلبها حتى بلغ العُشيرة ووجدها سبقتـه بأيام لم يـزل مترقباً قفولهـا: أي رجوعها من الشأم، فلما سمع بقفولها من الشام ندب المسلمين » أي دعاهم وقال: « هـذه عـير قريش فيها أموالهـم فاخرجوا إليهـا لعل الله أن ينفّلكموهـا ، فانتدب نـاس »، أي أجابوا « وثقـل آخرون أي لم يجيبـوا لظنهـم أن رسـول الله لم يلـق حربـاً ، ولم يحتفل لها رسـول الله » أي لم يهتم بهـا ، بل قال « من كان ظهره »: أي ما يركبه « حاضراً فليركب معنا » ولم ينتظر من كان ظهره غائباً عنه». السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٣٥٢ .



تخوف بعض أئمة الكفر من الخروج:

أمية بن خلف وقصته مع سعد بن معاذ:

روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون، أنه سمع عبد الله بن مسعود ﵁ حدث عن سعد بن معاذ، أنه قال: كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة مر على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرًا، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: أنظرني ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم. أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد - ورفع صوته عليه -: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ماهو أشد عليك منه: طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**». قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا. فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلي. فقالت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا. فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلًا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله ﷻ ببدر[1].

---

(١) ص٧٥١ برقم (٣٩٥٠)، كتاب المغازي، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر.

عقبة بن أبي معيط، وخوفه على نفسه من القتل:

وروى أبو نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه وكان رجلًا حليمًا، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلًا، فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه، فقالت: أشد مما كان أمرًا، فقال: ما فعل خليلي أبو معيط، فقالت: صبأ، فبات بليلة سوء! فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه، فلم يرد عليه التحية، فقال: ما لك لا ترد علي تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟ فقال: أو قد فعلتها قريش؟ قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه، وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل، فلم يزد رسول الله ﷺ أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: «**إن وجدتك خارجًا من جبال مكة أضرب عنقك صبرًا**»، فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا. قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرًا. فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين وحل به جمله في جدد من الأرض فأخذه رسول الله ﷺ أسيرًا في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء. قال: «**نعم بما بزقت في وجهي**». فأنزل الله في أبي معيط ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩][١].

* * *

(١) سبق تخريجه ص٦٥.



المطلب الثالث

التأهب لملاقاة العدو

النـبي ﷺ يعقد مجلسًا آخر لاستشارة النـاس:

لما نجا أبو سفيان بالقافلة، تيقن النبي ﷺ أنه لا بد له من ملاقاة العدو، إذ هذا وعد الله الذي لا يخلف وعده، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]. ولذا رأى النبي ﷺ أن يعقد مجلسًا يستشير فيه الناس ليستجلي فيه مدى استعدادهم لملاقاة العدو.

قال ابن إسحاق: وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يارسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك. والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له به، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا،

---

(١) برك الغماد: قال ابن حجر: ودلت رواية ابن عائذ هذه على أنها من جهة اليمن، وذكر السهيلي أنه رأى في بعض الكتب أنها أرض الحبشة، وكأنه أخذه من قصة أبي بكر مع ابن الدغنة، فإن فيها أنه لقيه ذاهبًا إلى الحبشة ببرك الغماد، فأجاره ابن الدغنة، كما تقدم في هذا الكتاب، ويجمع بأنها من جهة اليمن تقابل الحبشة، وبينهما عرض البحر. اهـ فتح الباري (٧/ ٢٨٨).

فكان الرسول ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليه نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**». قال: فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض بنا يارسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنّا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**»[١].

وفي رواية: ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ماشئت، وأعطنا ماشئت[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هكذا رواه ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله شواهد من وجوه كثيرة[٣][٤].

أما رواية البخاري فمن طريق ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به. أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا،

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٠٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٦١ - ٢٦٢) برقم (٣٧٦٥٧)، من حديث محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده، وذكره الأموي في مغازيه، انظر: سبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٦).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٧١).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦) بدون إسناد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٧٣ - ٧٤): رواه الطبراني بإسناد حسن، قلت: ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١ - ٣٥)، وهو مرسل، وسنده لا بأس به. انظر تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني على: فقه السيرة ص٢٢٣ - ٢٢٤.

ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك وبين يديك، وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره، يعني قوله(1).

مجادلة بعض الصحابة للنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥ - ٦].

قال ابن جرير: اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه الكاف، في قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾، فقال بعضهم: شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم لله ورسوله. ثم روى عن عكرمة نحو هذا، ومعنى هذا أن الله تعالى يقول: كما أنكم لما اختلفتم في المغانم، وتشاححتم فيها فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله ﷺ، فقسمها على العدل والتسوية، فكأن هذا هو المصلحة التامة لكم، وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة، وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم، وإحراز عيرهم، فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم، وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدًا، وهدى، ونصرًا، وفتحًا، كما قال تعالى: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، على كره من فريق من المؤمنين، كذلك هم كارهون للقتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم.

وقال آخرون: يسألونك عن الأنفال مجادلة، كما جادلوك يوم بدر، فقالوا: أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالًا فنستعد له(2).

(١) ص٧٥٢ برقم (٣٩٥٢) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾.
(٢) تفسير ابن جرير (٦/ ١٨٠ - ١٨١).

قال ابن كثير: ورسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالبًا لعير أبي سفيان التي بلغه أنها صادرة من الشام.

وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سيف البحر، فنجا وجمع الله بين المسلمين والكافرين على غير ميعاد، ولما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم.

والغرض أن رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير أوحى الله إليه يعده إحدى الطائفتين، إما العير، وإما النفير، ورغب كثير من المسلمين إلى العير؛ لأنه كسب بلا قتال[1]، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧].

قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦] قال محمد بن إسحاق: أي كراهية للقاء المشركين، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا له، وقال السدي: يجادلونك في الحق بعدما تبين، أي بعدما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به. قال ابن جرير: وقال آخرون: عني بذلك المشركون، قال ابن كثير: قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام وهم ينظرون، قال: وليس هذا من صفة الآخرين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر، ثم قال ابن جرير: ولا معنى لما قاله، لأن الذي قبل قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ خبر عن أهل الإيمان، والذي يتلوه خبر عنهم، والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق أنه خبر عن المؤمنين، وهذا الذي نصره ابن جرير، وهو الحق الذي يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم[2].اهـ.

إجماع النبي ﷺ وأصحابه على ملاقاة العدو:

لا شك أن ما قرره النبي ﷺ وأصحابه بعد المشاورة وإقناع المجادلين

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٧).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٦/ ١٨١ - ١٨٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

بضرورة اللقاء هو الرأي الصائب الذي لا يسع القائد المحنك أن يتخذ سواه، وذلك لأمور:

١ - أن الله ﷻ وعدهم إحدى الطائفتين، إما العير وإما النفير، فلما فاتت العير لم يبق إلا النفير.

٢ - أن رجوع النبي ﷺ والحالة هذه يعتبر في الأعراف العربية، والخطط العسكرية انهزامًا، وبالتالي سيعد وصول الجيش المكي إلى بدر، وعودته سالمًا نصرًا كبيرًا للمشركين.

٣ - أن رجوع النبي ﷺ لو عاد إلى المدينة سيتخذ منه فيما بعد قاعدة للانهزام في مثل هذه الظروف، مع أن الذي تشير إليه الآيات ووقائع الغزوة جميعًا أن الله تعالى أراد بهذه الغزوة أن تكون عبرة للمعتبرين، فلا يعتمدون على كثرة عددهم وعتادهم، وأن القاعدة التي يجب اتخاذها والعمل بها هي معرفة أن النصر من عند الله، وإنما يجب من الأسباب ما أمكن.

٤ - أن عودة النبي ﷺ والحال هذه سيفرح المتربصين من اليهود والمنافقين في المدينة، وربما كان ذلك سببًا لاجترائهم عليهم بالقول أو الفعل، وقد يتخذ اليهود من هذا وسيلة لتشكيك بعض المسلمين فيما يعتقدون.

قال الشيخ محمد الغزالي: «والذين كرهوا لقاء قريش ماكانوا ليهابوا الموت، ولكنهم لم يعرفوا الحكمة في خوض معركة مباغتة دون إتقان ما ينبغي لها من عدة وعدد، بيد أن رسول الله ﷺ وزن الظروف الملابسة للأمر كله، فوجد الإقدام خير من الإحجام، ومن ثم قرر أن يمضي، فإن الحكمة من توجيه هذه البعوث المسلحة تضيع سدى لو عاد على هذا النحو[(١)]».اهـ.

المفاجآت تمحيص للرجال:

قال الغزالي: إن المرء قد تفجؤه أحداث عابرة وهو ماض في طريقه يحتاج في مواجهتها لأن يستجمع مواهبه، وأن يستحضر تجاربه، وأن يقف أمامها حاد

(١) فقه السيرة ص٢١٨ - ٢١٩.

الانتباه مرهف الأعصاب، وهذه الامتحانات المباغتة أدق في الحكم على الناس وأدل على قيمهم من الامتحانات التي يعرفون ميعادها، ويتقدمون إليها، واثقين مستعدين، والمسلمون الذين خرجوا لأمرٍ يسير ما لبثوا أن ألفوا أنفسهم أمام امتحان شاق تيقظت له مشاعرهم، فشرعوا يقلبون - على عجل - تكاليفه ونتائجه، وثار منطق اليقين القديم، فأهاج القوم إلى الخطة الفذة التي لا محيص عنها للمؤمن[١].

الوفاء هدي الأنبياء، والغدر سجية الجبناء:

جاء في سؤالات هرقل عن النبي ﷺ أنه قال لأبي سفيان: هل يغدر؟ قال: لا[٢].

وروى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان قال: منعني أن أشهد بدرًا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال فأخذنا كفار قريش، قالوا إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه فأتينا النبي ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**»[٣].

الاستعانة بالمشركين على قتال العدو:

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك. فقال له رسول الله ﷺ: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: لا. قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**». قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**» قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول

(١) فقه السيرة ص٢٣٧ - ٢٣٨.
(٢) صحيح البخاري ص٢٣ برقم (٧) كتاب بدء الوحي، باب.
(٣) ص٧٣٦ - ٧٣٧ برقم (١٧٧٣)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

مرة: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «**فانطلق**»[1].

قال ابن قدامة: وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى عدم جواز الاستعانة بالمشركين، منهم ابن المنذر والجوزجاني وغيرهم، واستدلوا أيضًا بما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن بن خبيب قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزوة أنا ورجل من قومي، ولم نسلم، فقلنا: إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهدًا لا نشهده معهم. قال: «**فأسلمتما؟**» قلنا: لا. قال: «**فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين**». قال: فأسلمنا وشهدنا معه[2].

وقال ابن قدامة المقدسي: وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة بهم، وكلام الخرقي يدل على جواز الاستعانة بهم عند الحاجة، وهو الذي ذكره شيخنا في هذا الكتاب، وبه قال الشافعي لما روى الزهري أن رسول الله ﷺ استعان بناس من اليهود في حربه، فأسهم لهم، رواه سعيد[3].

وروي أن صفوان بن أمية خرج مع النبي ﷺ يوم حنين وهو على شركه، فأسهم له، وأعطاه من سهم المؤلفة، وذكر الحديث[4].

إذا ثبت هذا فيشترط أن يكون من يُستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة بهم؛ لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا

---

(١) (٣/ ١٤٥٠) برقم (١٨١٧) كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، قوله: بحرة الوبرة هكذا ضبطناه بفتح الباء، وكذا نقله القاضي عن جميع رواة مسلم، قال: وضبطه بعضهم بإسكانها، وهو موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة، شرح النووي لصحيح مسلم (٤/ ١٩٨).

(٢) (٢٥/ ٤٣) برقم (١٥٧٦٣) وقال محققوه: إسناده ضعيف دون قوله: «فلا نستعين بالمشركين على المشركين» فهو صحيح لغيره، عبد الرحمن بن خبيب والد خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن إساف الأنصاري، ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/ ٢٣٠)، ولم يذكر في الرواة عنه غير ابنه خبيب، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وبقية رجاله ثقات.اهـ.

(٣) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٨٤) وهو مرسل، الزهري لم يدرك النبي ﷺ.

(٤) صحيح مسلم ص٩٤٧ حديث رقم (٢٣١٣)، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه.

يؤمن من المسلمين، كالمخذل والمرجف، فالكافر أولى[1].اهـ.

وقد اشترط العلماء لجواز الاستعانة بالكفار في القتال شروطًا غير ما تقدم ذكره، فلتراجع في مواضعها.

* * *

(١) الشرح الكبير (١٠/ ١٢١ - ١٢٣).



في الطريق

أحداث وقعت في الطريق:

قطع الأجراس:

وفي الطريق أمر رسول الله ﷺ بقطع الأجراس من أعناق الإبل.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ بالأجراس أن تُقطعَ من أعناق الإبل يوم بدر[1].

ويظهر أن ذلك من أجل أن الأجراس تُحدثُ أصواتًا عاليةً عند سير الجمال، وهذا مما قد يسهل على العدو معرفة مكان الجيش.

الرجل الذي اعترضَ الرسول ﷺ وجواب سلمة له:

وفي طريق النبي ﷺ إلى بدر، وفي مكان يقال له «عرق الظبية» لقي الصحابة رجلًا من الأعراب، فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبرًا، فقال له الناس: سلّم على رسول الله ﷺ، قال: أوفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم. فسلّم عليه ثم قال: إن كنت رسول الله، فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه؟ قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ، وأقبل عليّ فأنا أُخبرك عن ذلك، نزوتَ عليها ففي بطنها منك سخلة[2]، فقال له رسول الله ﷺ: «مه،

(١) (٤٢/ ٨٦) برقم (٢٥١٦٦)، قال ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٦٧): «وهذا - أي الحديث - على شرط الصحيحين».

(٢) السخلة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد، المعجم الوسيط (١/ ٤٢٢)، واستعارها هنا لولد الناقة.

أفحشت على الرجل»، ثم أعرض عن سلمة[1].

معجزات في الطريق:

روى البزار في مسنده من حديث معاذ بن رفاعة الأنصاري عن أبيه قال: خرجت أنا وأخي خلاد مع رسول الله ﷺ إلى بدر، على بعير لنا أعجف[2]، حتى إذا كنا موضع البريد الذي خلف الروحاء، برك بنا بعيرنا، فقلت: اللهم لك علينا لئن أديتنا إلى المدينة لننحرنه. فبينا نحن كذلك إذ مرّ بنا رسول الله ﷺ، فقال: «**ما لكما؟**» فأخبرناه أنه برك علينا، فنزل رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم بصَقَ في وضوئه، وأمرنا ففتحنا له فم البعير، فصب في جوف البكر من وضوئه، ثم صب على رأس البكر، ثم على عنقه، ثم على حاركه[3]، ثم على سنامه، ثم على عجزه، ثم على ذنبه، ثم قال: «**اللهم احمل رافعًا وخلادًا**». فمضى رسول الله ﷺ، وقمنا نرتحل فارتحلنا. فأدركنا النبي ﷺ على رأس المنصف، وبكرنا أول الركب، فلما رآنا رسول الله ﷺ ضحك، فمضينا حتى أتينا بدرًا، حتى إذا كنا قريبًا من بدر برك علينا، فقلنا: الحمد لله، فنحرناه، وتصدقنا بلحمه[4].

قصة سعد مع الظبي:

قال سعد بن أبي وقاص: لما كنا بتُربان، قال لي رسول الله ﷺ:

«**يا سعد، انظر إلى الظبي**»، قال: فأفوق له بسهم، وقام رسول الله ﷺ، فوضع ذقنه بين منكبي وأذني، ثم قال: «**ارم، اللهم سدد رميته**» قال: فما أخطأ سهمي عن نحره. قال: فتبسم النبي ﷺ، قال: وخرجت أعدو، فأجده وبه رمق، فذكّيْته، فحملناه حتى نزلنا قريبًا، فأمر به رسول الله ﷺ فقُسّم بين أصحابه[5].

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٠٤).
(٢) عجف: جمع عجفاء، وهي المهزولة من الغنم وغيرها، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٨٦).
(٣) الحارك: فروع الكتفين، انظر: لسان العرب (١١/ ٦٠٢).
(٤) كشف الأستار عن زوائد البزار (٢/ ٣١٠-٣١١). وقال البزار: لا يُروى هذا إلا عن رفاعة، ولا له عنه إلا هذا الطريق، وفي سنده عبد العزيز بن عمران، وهو متروك.
(٥) مغازي الواقدي (١/ ٢٦-٢٧).

إفطار النبي ﷺ بعد صيامه:

قال الواقدي: «وخرج رسول الله ﷺ، فصام يومًا أو يومين، ثم رجع فنادى مناديه: «**يا معشر العصاة، إني مفطر فأفطروا**»، وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك: «**أفطروا**»، فلم يفعلوا»[(١)].

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن المسيّب أنه سأله عن الصوم في السفر، فحدث أن عمر بن الخطاب قال: غزونا مع رسول الله ﷺ في رمضان غزوتين: يوم بدر والفتح، فأفطرنا فيهما[(٢)].

بشائر النصر:

لما علم الله تعالى صدق الصحابة رضي الله عنهم في نصرة دينه، وما سروا به رسول الله ﷺ، جاءتهم بشائر النصر قبل وقوعه، وفي قصة استشارة النبي ﷺ لأصحابه، وما أجابوا به نبيهم من الكلام الحسن، قال ﷺ: «**سيروا وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم**»[(٣)].

* * *

---

(١) المغازي (١/ ٤٧-٤٨).

(٢) (٢/ ٣٧) برقم (٧١٤) قال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد، وحديث عمر لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه أمر بالفطر في غزوة غزاها، وقد روي عن عمر بن الخطاب نحو هذا، إلا أنه رخص في الإفطار عند لقاء العدو، وبه يقول بعض أهل العلم، وقد ضعّف الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في ضعيف الترمذي ص٨١، برقم (١١٢).اهـ. قلت: لكن وقائع الغزوة والأحداث التي حصلت قبلها توحي بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مفطرين فيها، والله أعلم.

(٣) سبق تخريجه ص٥٩.



الوصول إلى بدر

نزول النبي ﷺ بدرًا وما جرى من أحداث:

وقع اختيار النبي ﷺ على بدر للنزول بها، كما كان هو أيضًا اختيار المشركين، فسيأتي أن أبا جهل قال: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا. ولعل من أسباب ذلك:

١ - أنه سبق لهما اللقاء بها، وذلك في بدر الأولى.

٢ - أنها مقر اجتماع الناس: فقد كان بها سوقٌ من أسواق الجاهلية.

٣ - وقوعها على مفترق طرق، بحيث يتوارد لها العرب من كل ناحية.

٤ - توفر الماء بها لكثرة القلب فيها.

٥ - قبل هذا وذاك اختيار الله ﷻ أن يكون لقائهما ببدر، حيث جمع بينهما على غير ميعاد.

وقد تكون هذه الأسباب خاصة بالمكان، أما الزمن فإن الله قد جمع بينهما بغير ميعاد.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد(١).

(١) سبق تخريجه ص١٣٨.

قصة مشورة الحباب بن المنذر، وبيان ضعفها سندًا ومتنًا:

قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**»، قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثم نُعَوّر[1] ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**». فنهض رسول الله ﷺ، ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فعُوّرت، وبنى حوضًا على القليب الذي نزل عليه، فمُلئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[2].

وكما أن هذه القصة ضعيفة السند، فكذلك هي ضعيفة المتن، فإن النبي ﷺ هو القائد المحنك، الذي يعرف طبيعة الأرض التي يقاتل عليها العدو، وقوته، ومواضع الضعف فيه، فكيف يغيب عنه هذا الأمر، وهو من الوضوح بمكان، ثم يأتي أحد أصحابه ليبينه له؟ وقد علمت أن النبي ﷺ بذكائه استطاع أن يعرف

---

(١) أي ندفنها ونطمثها، وقد عارت تلك الركية تعور، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٢٠).

(٢) السيرة النبوية (٢/ ٢١٠)، وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٢٢)، بسنده إلى ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٥)، وذكره ابن حجر في الإصابة (٢/ ٣١٦) برقم (١٥٤٧)، وقال: وروى ابن شاهين بسند ضعيف من طريق أبي الطفيل قال: أخبرني الحباب بن المنذر قال: أشرت على رسول الله ﷺ برأيين، فقبل مني: خرجت معه في غزاة بدر - فذكر نحو ما تقدم - قال: وخُير عند موته، فاستشار أصحابه فقالوا: تعيش معنا، فاستشارني فقلت: اختر يا رسول الله حيث اختار ربك، فقبل ذلك مني. اهـ. وقد روى الحاكم (٣/ ٤٨٢ - ٤٨٣) قصة تخيير النبي ﷺ عند موته، وقال الذهبي: حديث منكر. قال الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص٢٢٤: رواه ابن هشام عن ابن إسحاق، قال: فحدثت عن رجال من بني سلمة أن الحباب.. وهذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة، وقد وصله الحاكم (٣/ ٤٢٦ - ٤٢٧) من حديث الحباب، وفي سنده من لم أعرفه.
وقال الذهبي في تلخيصه: قلت حديث منكر، وسنده - كذا الأصل، ولعله سقط منه - واه أو نحوه.
ورواه الأموي من حديث ابن عباس كما في البداية (٣/ ٢٦٧) وفيه الكلبي، وهو كذاب. اهـ.

عدد جيش المشركين بسؤاله الغلام بدون أن يخبره بالعدد كما سيأتي في قصة الغلام الذي أسره المسلمون.

بناء العريش:

بعد أن استقر الحال بالمسلمين، واستعدوا لقتال عدوهم، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله ﷺ أن يبني المسلمون مقرًا لقيادته، استعدادًا للطوارئ، وتقديرًا للهزيمة قبل النصر، قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدث أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا[(١)]، تكون فيه، ونعد عندك ركائبك[(٢)] ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله، وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك، ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريشًا فكان فيه[(٣)].

وقد ثبت أن النبي ﷺ كان له عريشٌ يدير منه المعركة يوم بدر، وقد شارك أيضًا صلوات الله وسلامه عليه في الحرب والمعركة، ونزل إلى ساحة القتال، كما سيأتي.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر، وذكر دعاءه[(٤)].

قال ابن إسحاق رحمه الله: خفق النبي ﷺ خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه**»[(٥)].

---

(١) العريش شبه الخيمة، يُستظل به، شرح المواهب (١/ ٤١٦).

(٢) أي الإبل، انظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٦٨).

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢١١) وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٢٩ - ٣٠)، وهو مرسل.

(٤) ص٥٦٠، برقم (٢٩١٥)، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، والقميص في الحرب.

(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٧)، قال الألباني في فقه السيرة ص٢٢٦، في المغازي: وهو عند ابن هشام (٢/ ٦٨ - ٦٩) بدون سند، لكن وصله الأموي من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، وهذا سند حسن، وسكت عنه ابن كثير (٣/ ٢٨٤).اهـ.

وروى البزار في مسنده من حديث علي رضي الله عنه أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس، من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر! إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس[(١)].اهـ.

وقال ابن إسحاق وغيره: «وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفًا على باب العريش، متقلدًا بالسيف، ومعه رجال من الأنصار، يحرسون رسول الله ﷺ خوفًا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين، والجنائب النجائب[(٢)] مهيأة لرسول الله ﷺ إن احتاج إليها ركبها، ورجع إلى المدينة، كما أشار به سعد بن معاذ»[(٣)].

التصرف في الماء:

قال ابن إسحاق: فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ، فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**»، فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام، فإنه لم يقتل، ثم أسلم بعد ذلك، فحسُن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني من يوم بدر[(٤)].

نزول المطر:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه، وهو يُحدِّثُ عن ليلة بدر: أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف[(٥)]، نستظل

---

(١) كشف الأستار (٣/ ١٦١ - ١٦٢) برقم (٢٤٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٧): رواه البزار، وفيه من لم أعرفه.

(٢) الجنائب: جمع جنيبة، وهي الناقة يعطيها الرجل غيره ليمتار له عليها، المعجم الوسيط (١/ ١٣٩). والنجائب: جمع نجيبة، وهي الناقة القوية الخفيفة السريعة، النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٧).

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢١٩)، وقد سبقت الإشارة إليه، وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣٣-٣٤)، وفي سنده ابن حميد، وقد تقدم الكلام عليه ص١٧١.

(٤) السيرة النبوية (٢/ ٥٤٩ - ٥٥٠).

(٥) الحجفة الترس، النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٤٥).

تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ﷻ[1].. الحديث.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «ولولا هذا المطر لما أمكن المسلمين القتال؛ لأنهم كانوا رجالة ليس فيهم إلا فارس واحد هو المقداد، كما تقدم. وكانت الأرض دهاسًا تسيخ فيها الأقدام، أو لا تثبت عليها»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنزل الله ﷻ في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وابلًا شديدًا، منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلًّا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل»[3].

قال ابن إسحاق: «ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى، من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي، وهو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش، والقلب، ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة، وبعث الله السماء، وكان الوادي دهسًا، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبّد لهم الأرض، ولم يمنعهم عن المسير، وأصاب قريش منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به»[4].

قال تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [سورة الأنفال: ١١].

---

(١) (٢/ ٢٦٠) برقم (٩٤٨)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) تفسير المنار (٩/ ٥٠٩ - ٥١٠).

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٧٥).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٠).

بث العيون، وجمع الأخبار عن جيش قريش:

قال حكيم بن حزام: ما وجّهتُ وجهًا قط كان أكره لي من مسيري إلى بدر، ولا بان لي في وجه قط ما بان لي قبل أن أخرج. ثم يقول: قدم ضمضم فصاح بالنفير، فاستقسمت بالأزلام، كلّ ذلك يخرج الذي أكره، ثم خرجت على ذلك حتى نزلنا مرّ الظهران. فنحر ابن الحنظلية[(١)] جُزرًا، فكانت جزور منها بها حياة، فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها، فكان هذا بيّنًا. ثم هممتُ بالرجوع، ثم أذكر ابنَ الحنظلية وشؤمه، فيردني حتى مضيتُ لوجهي.

فكان حكيم يقول: لقد رأيتنا حين بلغنا الثّنيّة البيضاء - والثّنيّة البيضاء التي تُهبطكَ على فخّ وأنت مُقبل من المدينة - إذا عدّاس جالسٌ عليها والناس يمرّون، إذ مرّ عليه ابنا ربيعة، فوثب إليهما فأخذ بأرجلهما في غرْزِهما، وهو يقول: بأبي وأمي أنتما، والله إنه رسول الله، وما تُساقان إلا إلى مصارعكما! وإنّ عينيه لتسيل دموعهما على خدَّيه، فأردت أن أرجع أيضًا، ثم مضيتُ، ومرّ به العاص بن منبه بن الحجاج، فوقف عليه حينَ ولّى عتبة وشيبة، فقال: ما يبكيك؟ فقال: يبكيني سيّداي وسيّدا أهل الوادي، يخرجان إلى مصارعهما، ويُقاتلان رسول الله، فقال العاص: وإنّ محمدًا لرسول الله؟ قال: فانتفض عدّاس انتفاضةً، واقشعرّ جلدهُ، ثم بكى وقال: إي والله، إنّه لرسول الله إلى الناس كافة. قال: فأسلم العاص بن منبه، ثم مضى وهو على الشكّ حتى قُتل مع المشركين على شك وارتياب.

وخرجت قريش سراعًا، وخرجوا بالقيان والدّفاف: سارة مولاة عمرو ابن هاشم بن المطلب، وعَزّة مولاة الأسود بن المطّلب، ومولاةُ أميّة بن خلف، يُغنّينَ في كل منهل، وينحرون الجُزُر. وخرجوا بالجيش يتقاذفون بالحراب، وخرجوا بتسعمائة وخمسين مقاتلًا، وقادوا مائة فرس بطرًا ورئاء الناس، كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ ﴾ [سورة الأنفال: ٤٧] إلى آخر الآية. وأبو جهل يقول: أيظن محمدٌ أن يُصيب منا ما

(١) ابن الحنظلية: كنية أبي جهل.

أصاب بنخلة وأصحابه؟ سيعلم أنمنع عيرنا أم لا! وكانت الخيل لأهل القوة منهم، وكان في بني مخزوم منها ثلاثون فرسًا، وكانت الإبل سبعمائة بعير، وكان أهل الخيل كلّهم دارع، وكانوا مائة، وكان في الرّجالة دروع سوى ذلك.

فلما أَفْلتَ أبو سفيان بالعير، ورأى أن قد أجزرَها، أرسل إلى قريش قيس ابن امرئ القيس، وكان مع أصحاب العير، خرج معهم من مكة، فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع، ويقول: قد نجت عيركم، فلا تُجزروا[1] أنفسكم أهل يثرب، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك، إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم، وقد نجاها الله. فإن أبوا عليك، فلا يأبون خصلة واحدة، يردون القيان، فإن الحرب إذا أكلت نكَّلت. فعالَجَ قريشًا وأبت الرجوع، وقالوا: أما القِيان فسنردهن!، فردهنّ من الجُحفة. ولحق الرسول أبا سفيان بالهدَّة - والهدَّة على سبعة أميال من عقبة عَسفان على تسعة وثلاثين ميلًا من مكة - فأخبره بمضي قريش، فقال: واقوماه! هذا عمل عمرو بن هشام، كره أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس، وبغى والبغي منقصة وشؤم. إن أصاب أصحاب محمد النفير ذَلَلْنا إلى أن يدخل مكة.

وقال أبو جهل: لا والله لا نرجع حتى نرد بدرًا - وكان بدر موسمًا من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب، لها بها سوق - تسمع بنا العرب وبمسيرنا فنقيم ثلاثًا على بدر، ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدًا.

ونزل رسول الله ﷺ وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، فبعثَ عليًا والزّبير وسعد بن أبي وقاص، وبَسْبس بن عمرو يتحسسون على الماء، وأشار رسول الله ﷺ إلى ظُريب فقال: «**أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب الذي يلي الظُّرَيب**» - والقليب بئر بأصل الظّريب، والظُّرَيب جبل صغير - فاندفعوا تلقاء الظريب، فيجدون على تلك القليب التي قال

(١) ويقال أجزرتك شاة إذا دفعت إليك شاة تذبحها. مقاييس اللغة (١/ ٤٥٦) والمعنى هنا: لا تجعلوا أنفسكم ذبائح.

رسول الله ﷺ رَوايا قريش فيها سقاؤهم. ولقي بعضهم بعضًا وأفلت عامتهم، وكان ممن عُرف أنه أفلت عُجَيْر، وكان أوّل من جاء قريشًا بخبر رسول الله ﷺ، فنادى فقال: يا آل غالب، هذا ابن أبي كبشة وأصحابه قد أخذوا سُقّاءكُم! فماج العسكر، وكرهوا ما جاء به.

قال حكيم بن حزام: وكنّا في خباء لنا على جزور نشوي من لحمها، فما هو إلا أن سمعنا الخبر، فامتنع الطعام منا، ولقي بعضنا بعضًا، ولقيني عُتبة بن ربيعة، فقال: يا أبا خالد، ما أعلم أحدًا يسير أعجب من مسيرنا، إنّ عيرنا قد نجت، وإنّا جئنا إلى قوم في بلادهم بغيًا عليهم. فقال عتبة لأمرٍ حُمّ، ولا رأي لمن لا يُطاع، هذا شؤم ابن الحنظلية! يا أبا خالد، أتخاف أن يُبيّتنا القوم؟ قلت: لا آمن ذلك. قال: فما الرأي يا أبا خالد؟ قال: نتحارس حتى نصبح، وترون من وراءكم، قال عتبة: هذا الرأي. قال: فتحارسنا حتى أصبحنا. قال أبو جهل: ما هذا؟ هذا عن أمر عتبة، قد كره قتال محمد وأصحابه! إنّ هذا لهو العجب، أتظنون أنّ محمدًا وأصحابه يعترضون لجمعكم؟ والله لأنتحين ناحية بقومي، فلا يحرسنا أحد. فتنحّى ناحية والسماء تمطر عليه. يقول عتبة: إنّ هذا لهو النّكد[1].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه في حديث طويل، وفيه:... فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه فقال: نعم، أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ابن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضًا ضربوه، ورسول الله ﷺ قائم يصلي. فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم»[2].

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٣٤-٥٢).

(٢) (٣/ ١٤٠٤) برقم (١٧٧٩)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر.

وفي رواية الإمام أحمد لهذا الحديث تتمة، وهي: فقال له - أي النبي ﷺ -: «**كم القوم؟**» فقال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: «**كم ينحرون من الجُزر؟**» فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «**القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها**»[(1)]. اهـ. فاستنتج الرسول ﷺ بأنهم بين التسعمائة والألف، وذُكر له من بالجيش من أشراف مكة، فقال الرسول ﷺ: «**هذه مكة، قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**»[(2)].

وبهذا يتبين أن النبي ﷺ قد جمع المعلومات عن جيش العدو وتحركاته، وهذا يهيئ له وضع الخطط المناسبة لهزيمة العدو، وكسر شوكته، معتمدًا على ربه في ذلك، متوكلًا عليه.

ليلة بدر:

كانت ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ليلة هادئة، فقد نام المسلمون فيها حتى الصباح.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ، فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح[(3)].

وروى الإمام أحمد من حديث علي، وفيه:... أصابنا من الليل طش[(4)] من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه، ويقول: «**اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد**»، فلما طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله، فجاء الناس تحت الشجر والحجف، فصلى

(١) (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠) برقم (٩٤٨)، ورجاله ثقات، رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة، انظر: تقريب التهذيب ص١٤٩ برقم (١٠٦٣).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٧)، رواه ابن إسحاق بسنده، حدثني يزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير، وإسناده صحيح، لكنه مرسل، انظر: تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني على فقه السيرة ص٢٢٢.

(٣) (٢/ ٢٩٩)، برقم (١٠٢٣)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) قال في الفتح الرباني (٢١/ ٣١): المطر الضعيف القليل.

بنا رسول الله ﷺ، وحرض على القتال[1].

فهذا الحديث، والذي قبله يدلان على نوم المسلمين في تلك الليلة نومة هادئة، فلم يتهيأوا التهيئة الحربية، وأخبار علي بذلك دليل على أنه لم ينم تلك الليلة، أو نام بعضًا منها، وأن بعض الصحابة لم يناموا بل بقوا للحراسة.

روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي أنه حرس النبي ﷺ ليلة بدر، فقال رسول الله: «**اللهم احفظ أبا قتادة كما حفظ نبيك هذه الليلة**»[2].

وقال رفاعة بن رافع بن مالك: وأصاب المسلمين تلك الليلة النعاس، أُلقي عليهم فناموا، وما أصابهم من المطر ما يؤذيهم. وقال الزبير بن العوام: سُلط علينا النعاس تلك الليلة حتى إني لأتشدّد، فتجلدني الأرض، فما أطيق إلا ذلك، ورسول الله ﷺ وأصحابه على مثل تلك الحال. وقال سعد بن أبي وقاص: رأيتني وإن ذقني بين يدي، فما أشعر حتى أقع على جنبي[3].

قال ابن كثير: في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الأنفال: ٤٣]. قال: وكان ذلك في منامه تلك الليلة، وقيل: إنه نام في العريش، وأمر الناس ألا يقاتلوا حتى يأذن لهم، فدنا القوم منهم، فجعل الصديق يوقظه ويقول: يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ.

وقد أراه الله إياهم في منامه قليلًا. ذكره الأموي، وهو غريب جدًا[4].

وروى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: عبّأنا[5]

---

(١) سبق تخريجه ص٦٢.

(٢) (٢/ ٢٩٦) برقم (١١٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣١٩): فيه من لم أعرفهم.

(٣) مغازي الواقدي (١/ ٥٤). (٤) البداية والنهاية (٥/ ٨٥).

(٥) قال في النهاية لغريب الحديث (٣/ ١٦٨): يقال: عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تعبئة وتعبيئًا، وقد يترك الهمز، فيقال: عبيتهم تعبية، أي رتبتهم في مواضعهم، وهيأتهم للحرب.اهـ.

رسول الله ﷺ ببدر ليلًا[1].

قال ابن حجر: ويُستحب أن يدخل دار الحرب بتعبئة الحرب؛ لأنه أحوط وأهيب[2].

* * *

(١) ص٢٩٠ برقم (١٦٧٧)، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الصف والتعبئة عند القتال، وقال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي أيوب، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: محمد بن إسحاق سمع من عكرمة، وحين رأيته كان حسن الرأي في محمد بن حميد الرازي، ثم ضعفه بعد.اهـ.

(٢) التلخيص الحبير (٤/ ١٨٦).

المبحث الثاني

سير المعركة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التهيؤ للقتال.

المطلب الثاني: بدء القتال.

المطلب الثالث: مشاهد وأحداث المعركة.



المطلب الأول

التهيؤ للقتال

أصبح النبي ﷺ يوم الجمعة، وهو يوم بدر الأغر اليوم الذي دارت فيه رحى الحرب بين حزب الله وحزب الشيطان، فحين أصبح النبي ﷺ، وطلع الفجر، نادى في أصحابه: «**الصلاة عباد الله**»، فصلى بهم صلاة الصبح، ثم حرضهم على القتال، وصفّ أصحابه صفوفًا، وألقى إليهم التوجيهات التي يلقيها القائد عادة إلى الجيش قبل اللقاء، بعد ذلك انصرف ﷺ إلى مقر القيادة، وهو العريش الذي بُني له، والذي يُعتبر بمثابة غرفة العمليات اليوم، ينتظر إقبال جيش العدو، تاركًا له فرصة التفكير في مصير هذا اللقاء، أو البدء بالقتال والبغي والاعتداء، حيث علم ﷺ أن البادئ بالظلم مغلوب، وأن الباغي مهزوم، وأن المظلوم معان، ومنصور[(١)].

وإلى تفصيل ما أجمل وبالله نستعين.

المشركون يبعثون زمعة بن الأسود ليرتاد لهم مكانًا:

ولما رأى رسول الله ﷺ قريشًا تصوب من الوادي، وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له، يتبعه ابنه، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلًا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنك أنزلت عليّ الكتاب، وأمرتني بالقتال،**

---

(١) قال أحد الصالحين لابنه يوصيه: «لا تدعو أحدًا للبراز، فإن الداعي باغ، والباغي مهزوم، وإذا دعيت فأجب».

وهذا ما تحقق في هذه الغزوة، فإن النبي ﷺ ترك لهم البدء بالاعتداء، والبغي، فنادى شجعانهم للبراز، فأخرج إليهم النبي ﷺ أصحابه، فقتلوهم، ودارت عليهم المعركة، وقد قيل في المثل: (وعلى الباغي تدور الدوائر).

ووعدتنى إحدى الطائفتين، وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش...» الحديث[1].

قريش ترتحل إلى الوادي، ويبعثون من يحزر المسلمين، فيستقبلها النبي ﷺ بالدعاء:

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها النبي ﷺ تصوب من العقنقل - وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي - قال: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها[2]، وفخرها تحادّك، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم[3] الغداة**»، وقد قال رسول الله ﷺ - (وقد) رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر - فقال: «**إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا**»[4]. وقد كان خفاف بن إيماء بن رحضه الغفاري، أو أبوه إيماء ابن رحضه الغفاري، بعث إلى قريش، حين مروا به ابنًا له بجزائره[5] أهداها لهم، وقال: إن أحببتم أن نمدكم بمال وبسلاح ورجال فعلنا، قال: فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتك رحم، قد قضيت الذي عليك، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس، فما بنا من ضعف عنهم، ولئن كنا إنما نقاتل الله - كما يزعم محمد - فما لأحد بالله من طاقة[6].

قال ابن إسحاق: ولما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي، فقالوا: احزر لنا القوم من أصحاب محمد، قال: فاستجال حول العسكر، ثم رجع إليهم،

---

(١) المغازي للواقدي (١/ ٥٩)، وسيأتي ذكره ص٢١٧.
(٢) الخيلاء: الكبر والإعجاب.
(٣) أحنهم: أي أهلكهم. شرح السيرة النبوية ص١٥٦.
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١١)، وقد رواه ابن إسحاق بدون إسناد، والجزء الأخير من الحديث من قوله: «إن يكن» له شاهد في مسند الإمام أحمد، وسيأتي ذكره ص٢٠٦.
(٥) الجزائر: قال في المعجم الوسيط: الجزور: ما يصلح لأن يذبح من الإبل، (ولفظه أنثى)، يقال للبعير هذه جزور سمينة (ج) جزائر وجزر (١/ ١٢٠).
(٦) السيرة النبوية (٢/ ٢١٢)، وساقه ابن إسحاق بدون سند، وذكره الواقدي في المغازي (١/ ٦٠)، وسنده مرسل.

فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلًا أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد. قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئًا، فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئًا، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا[(١)] تحمل المنايا، نواضح[(٢)] يثرب تحمل الموت الناقع[(٣)]، قوم ليس معهم منعة، ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلًا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيكم[(٤)].

الجيش المكي في عرصة القتال، ووقوع الانشقاق فيه:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه الطويل، وفيه: أصابنا من الليل طش، ومطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل، ويقول: «**اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد**»، قال: فلما طلع الفجر نادى: «**الصلاة عباد الله**»، وحرض على القتال، ثم قال: «**إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل**»، فلما دنا القوم منا، وصافناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**يا علي، ناد لي حمزة**» - وكان أقربهم من المشركين - «**من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر**». فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم، وفيكم خير يا قوم اعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم، قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعته، قد ملأت رئتك وجوفك

---

(١) البلايا: وهو جمع بلية، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تُسقى حتى تموت، وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول إن صاحبها يُحشر عليها، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٥٦).

(٢) النواضح: الإبل التي يسقى عليها الماء، مختار الصحاح ص٢٧٧.

(٣) الناقع: الدائم، المعجم الوسيط (٢/ ٩٤٨).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٢)، وقد رواه ابن إسحاق عن أبيه، وهو إسحاق بن يسار المدني، ثقة من الثالثة كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ص١٠٣ عن أشياخ من الأنصار، وهم مجهولون.

رعبًا. فقال عتبة: إياي تعير يا مصفر إسته[1]؟ ستعلم اليوم أينا الجبان؟[2].

وفي رواية للبزار من حديث ابن عباس قال: لما نزل المسلمون، وأقبل المشركون، نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر، فقال: «**إن يكن عند أحد من القوم خير، فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا**» وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا.

فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمدًا وأصحابه، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور، ولو قد التقينا. فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إني لأرى قومًا يضربونكم ضربًا! أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي، وكأن وجوههم السيوف[3].

وروى ابن جرير في تاريخه من حديث سعيد بن المسيب، قال: بينا نحن عند مروان بن الحكم، إذ دخل حاجبه، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام، قال: ائذن له، فلما دخل حكيم بن حزام قال: مرحبًا بك يا أبا خالد! ادنُ، فحال له مروان عن صدر المجلس، حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم استقبله مروان، فقال: حدثنا حديث بدر، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة[4] رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدرًا. ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوة التي ذكرها الله ﷻ، فجئت عتبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي، وهو حليفك، فتحمل ديته وارجع بالناس. فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمل بديته، واذهب إلى ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فقل له: هل لك

(١) سيأتي شرحها ص٢٠٨.

(٢) (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠) برقم (٩٤٨)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) (٢/ ٣١٣) برقم (١٧٦٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٧٦): رجاله ثقات. قلت: ويشهد له ما قبله.

(٤) سبق تعريفها ص١٦٨.

أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه، وهو يقول: قد فسختُ عقدي من عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولًا غيرك! قلت: لا، ولم أكن لأكون رسولًا لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادرًا إلى عتبة، لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعتبة متكئ على إيماء ابن رحضة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبوجهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سحرك! فقال له عتبة: ستعلم! فسلّ أبو جهل سيفه، فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رحضة: بئس الفأل هذا، فعند ذلك قامت الحرب[(١)].

وفي رواية أخرى قال ابن هشام: والحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مخربة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم، قال عتبة بن ربيعة: فإني لا أخشى أن يشجر[(٢)] أمر الناس غيره يعني أبا جهل بن هشام، ثم قام عتبة خطيبًا، فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئًا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلًا من عشيرته، فارجعوا، وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تُعرضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعًا من جرابها[(٣)]، فهو يَهنئها[(٤)] (قال ابن هشام: يهيئها)، فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني

---

(١) (٢/ ٣١) وفي سنده المسور بن عبد الملك اليربوعي، قال الحافظ في التقريب: مقبول ص٥٣٢، ويشهد له ما قبله.

(٢) من رواه بالشين المعجمة، فمعناه: يخالف بين الناس، من المشاجرة، وهي المخالفة والمخاصمة، ومن رواه بالسين المهملة فمعناه يحرضهم ويوقدهم للحرب، يقال: سجرت التنور إذا ألهبته نارًا، انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٧٣)، والقاموس المحيط ص٤٠٤.

(٣) قد نثل درعًا له: أي أخرجها، المعجم الوسيط (٢/ ٩٠١).

(٤) وهو يَهْنَئُها: معناه: يضعها ويتفقدها، المعجم الوسيط (٢/ ١٠٠٢).

إليك بكذا وكذا، للذي قال، فقال: انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمدًا وأصحابه، كلا! والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعُتبة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمدًا وأصحابه أَكَلَةُ[1] جزور، وفيهم ابنه، فقد تخوّفكم عليه.

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي، فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خُفرتَك[2]، ومقتل أخيك، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف، ثم صرخ: واعَمراه!! واعمراه!! فحَميت الحرب، وحقب أمرُ الناس[3]، واستوسقوا[4]، على ما هم عليه من الشر، فأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة، فلما بلغ عتبة قولُ أبي جهل: «انتفخ والله سحْرُه»، قال: سيعلم مُصفّر إسته[5] من انتفخ سَحْره، أنا أم هو؟!

قال ابن هشام: السّحْر: الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرّة، وما كان تحت السرّة فهو القُصب، ومنه قوله: «**رأيتُ عمرو بن لُحيّ يجرُّ قُصْبهُ في النّار**».

قال ابن هشام: حدثني بذلك أبو عبيدة.

ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة[6] تسعهُ، من عظم هامته، فلما رأى ذلك اعتجرَ[7] على رأسه ببُرد له[8].

---

(١) الأكلة هنا: جمع آكل.

(٢) فانشد خفرتك: معناه: ذكّر بها، والخُفرة بضم الخاء وفتحها: العهد، المعجم الوسيط (١/ ٢٤٦).

(٣) حقب أمر الناس: أي فسد واحتبس، من قولهم حقب المطر، أي تأخر واحتبس، النهاية في غريب الحديث (١/ ٤١١).

(٤) واستوسقوا معناه: اجتمعوا، المعجم الوسيط ص٩٢٨.

(٥) سيعلمُ مُصفّرُ إسْتِهِ: قال ابن هشام: هو مما يؤنّب به الرجل، وليس من الجبن، قال الشيخ الفقيه أبو ذرّ: العرب تقول هذا القول للرجل الجبان، ولا تريد به التأنيث، شرح السيرة النبوية لأبي ذر الخشني ص١٥٦ - ١٥٧.

(٦) الخوذة التي توضع لحماية الرأس من الضربات، المعجم الوسيط (١/ ٧٩).

(٧) اعْتجرَ: معناه تعمّم بغير تلح، أي: لم يجعل تحت لحيته منها شيئًا، شرح السيرة النبوية ص١٥٧.

(٨) السيرة النبوية (٢/ ٢١٣ - ٢١٤).

استفتاح أبي جهل:

قال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى للكفار: إن تستفتحوا - أي تستنصروا وتستقضوا الله، وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتم[١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم[٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال حين التقى القوم: «اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه، فأحنه الغداة، فكان المستفتح»[٣].

وروى ابن جرير في تفسيره من حديث عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال: كان المستفتح يوم بدر أبا جهل، قال: اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه، فأحنه الغداة، فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩][٤] الآية.

وروى ابن جرير أيضًا عن عطية قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أهدى الفئتين، وخير الفئتين، وأفضل.. فنزلت ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ ... ﴾[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٩٦).

(٢) ص٨٨٦ برقم (٤٦٤٨)، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، وصحيح مسلم ص١١٢٤ برقم (٢٧٩٦)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾.

(٣) سبق تخريجه ص٤٣.

(٤) (٦/ ٢٠٧) وإسناده صحيح.

(٥) (٦/ ٢٠٧) وفي سنده ابن وكيع، قال الحافظ في التقريب: كان صدوقًا إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل فسقط حديثه.اهـ. قلت: وعطية بن سعد لم يدرك النبي ﷺ، فهذه الرواية مرسلة ضعيفة.

رصّ الصفوف:

إن اتحاد الصفوف في القتال، والتزام الجند بالصف أمر قرره الإسلام، وحث عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله، وتعليم لهم كيف يصنعون، وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفًا متراصًا متساويًا من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب، به تحصل المساواة بين المجاهدين. والتعاضد، وإرهاب العدو، وتنشيط بعضهم بعضًا، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حضر القتال صف أصحابه، ورتبهم في مواقعهم بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها، وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال، ويحصل الكمال(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال**»(٢).

وفي أول معركة من معارك الإسلام يصف النبي ﷺ صفوف المسلمين كالصفوف في الصلاة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي ص١٠١٢-١٠١٣.

(٢) (٨/ ٢٨٤) برقم (١١٧٦١)، قال محققوه: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد الهمداني، وهشيم، وهو ابن بشير، مدلس، وقد عنعن وهو لم يسمع من مجالد فيما ذكر أحمد في العلل (٢٢٣٠)، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) (٢٦/ ٢٧٧) برقم (١٦٣٥٧) قال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، يونس هو ابن محمد المؤدب البغدادي، وحسين هو ابن محمد بن بهرام المروذي، وشيبان هو ابن عبد الرحمن النحوي، وقتادة هو ابن دعامة السدوسي، وأخرجه البخاري ص٨٦٥ برقم (٤٥٦٢)، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾، من طريق حسين بن محمد عن شيبان به، وفيه يوم أحد..اهـ.

وروى أيضًا في المسند من حديث أبي عمران التجيبي حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري قال: صففنا يوم بدر فندرت منا نادرة[1]، وفي رواية: بدرت منا بادرة أمام الصف، فنظر رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**معي معي**»[2][3].

فهذه الأحاديث تبين ما تقدمت الإشارة إليه أن الصحابة صفوا في القتال كصفوف الصلاة، وهذا أقوى في الثبات عند القتال.

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: «أما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب الصفوف، بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر، ولا بد لنا من بيان الفرق بين الأسلوبين لمعرفة عامل من أهم عوامل انتصار المسلمين، القتال بأسلوب الكر والفر، وهو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو، النّشّابة[4] منهم، والذين يقاتلون بالسيوف، ويطعنون بالرماح مشاة وفرسانًا، فإن صمد لهم العدو، أو أحسوا بالضعف نكصوا، ثم عاودوا تنظيمهم وكروا، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل.

والقتال بأسلوب الصفوف، يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة أو أكثر، على حسب عددهم، وتكون الصفوف الأمامية من المسلمين بالرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلمين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء، وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها، حتى يفقد زخم المهاجمين بالكر والفر شدته، عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة على العدو، ويظهر من ذلك أن أسلوب الصفوف يمتاز على أسلوب الكر والفر بأن يؤمن الترتيب بالعمق، فتبقى دائمًا بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان، كأن يصد هجومًا مقابلًا للعدو، أو يضرب

---

(١) تقدم منا بعض المقاتلة أمام الصف.

(٢) أي كونوا معي: أي في الموقف الذي أختاره لكم بلا تقدم وتأخر عن ذلك.

(٣) (٣٨/ ٥٤٤) برقم (٢٣٥٦٧) وفي سنده ابن لهيعة، وهو سيئ الحفظ، وقد قوى بعض أهل العلم حديثه من رواية عبد الله، وهو ابن المبارك عنه، وهذا منه، وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٤) الذين يرمون بالنبال، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٢١).

كمينًا لم يتوقعه، أو أن يحمي الأجنحة التي يهددها العدو بفرسانه، أو بمشاته، ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة.

إن أسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها، ويؤمن احتياطًا للطوارئ، ويصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد.

أما أسلوب الكر والفر فيجعل القائد يفقد السيطرة، ولا يؤمن له أي احتياطي للطوارئ.

إن تطبيق الرسول ﷺ لأسلوب الصفوف في معركة بدر عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين، ثم قال: لقد سيطر الرسول ﷺ على الصفوف في دفاعها وهجومها ومطاردتها، وبذلك أمن السيطرة والاحتياط اللازم تمامًا، كما في الحرب الحديثة، لقد طبق الرسول ﷺ في بدر أسلوبًا جديدًا فانتصر(١).اهـ.

قال عبد الله بن أبي بكر بن حزم: صف رسول الله ﷺ أصحابه قبل أن تنزل قريش، وطلعت قريش ورسول الله ﷺ يصفهم، وقد أترعوا حوضًا، يفرطون فيه من السحر، ويقذفون فيه الآنية، ودفع رايته إلى مصعب بن عمير، فتقدم بها إلى موضعها الذي يريد رسول الله ﷺ أن يضعها فيه. ووقف رسول الله ﷺ ينظر إلى الصفوف، فاستقبل المغرب، وجعل الشمس خلفه، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس، فنزل رسول الله ﷺ بالعُدوة الشامية، ونزلوا بالعُدوة اليمانية - عُدوتا النهر والوادي جنبتاه -(٢).. الحديث.

توزيع الرايات والتحريض على القتال:

وكان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم: لواء المهاجرين مع مصعب ابن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، ومع قريش ثلاثة ألوية: لواء مع أبي عزيز، ولواء مع النضر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة، وخطب رسول الله ﷺ يومئذ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال، وهو يأمرهم ويحثهم، ويرغبهم في الأجر: «**أما بعد، فإني أحثكم على ما**

---

(١) الرسول القائد ص٧٨ - ٧٩.

(٢) مغازي الواقدي (١/ ٥٦) وهو مرسل.

حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، فإن الله عظيم شأنه، يأمركم بالحق، ويحب الصدق، ويُعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه، وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج به الهم، وينجى به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله ﷻ على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله يقول: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠] **انظروا إلى الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وعزكم بعد ذلة، فاستمسكوا به يرضى ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمرًا تستوجبون الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين»**[1].

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس، فحرضهم على القتال.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس، في حديث طويل، وفيه: فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**»[2]. فدنا المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[3].

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٥٨) وهو مرسل.

(٢) أي قدامه، متقدمًا في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها.

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٥١٠ - ١٥١١) برقم (١٩٠١)، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

وقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**»، فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ[1]، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

قصة سواد مع النبي ﷺ عند تسوية الصفوف:

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: وحدثني حبان بن واسع[3] عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح[4] يعدل به القوم، فغمز بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل[5] من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: «**استو يا سواد**»، فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «**استقد**»، قال: فاعتنقه فقبل بطنه. فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرًا[6].

تحديد مصارع القوم:

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال، وكنت رجلًا حديد البصر فرأيته، وليس أحد

---

(١) كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء، أو المدح، أو الفخر، تقول: بخ بخ، المعجم الوسيط (١/ ٤٠).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٣) بسنده إلى ابن إسحاق، وذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٥٩٣) برقم (٦٠٤٥) وله شاهد من حديث أنس عند مسلم تقدم ذكره.

(٣) حبان بن واسع بن منقذ بن عمرو الأنصاري، ثم المازني المدني، صدوق من الخامسة، تقريب التهذيب ص٨٤٩.

(٤) القدح: السهم، يقال للسهم أول ما يقطع: قِطْع، ثم يُنحت ويُبرى، فيُسمى بريًا، ثم يُقوّم فيُسمى قِدْحًا، ثُم يُراش ويركب نصله فيُسمى سهمًا، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٠).

(٥) ومعنى مستنتل أي متقدم عن الصف، شرح السيرة النبوية ص١٥٧.

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٦) وهذا الإسناد فيه جهالة الأشياخ الذين حدثوا حبان به، فهو ضعيف.

يزعم أنه رآه غيري، قال: فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: «**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله**»، قال فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ، قال: فجُعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «**يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان! هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني الله حقًا**»[١]. الحديث.

دعاء النبي ﷺ وهو في العريش:

كان رسول الله ﷺ يتفقد الرجال، وينظم الصفوف، ويذكر بالله، واليوم الآخر، ثم يعود إلى العريش الذي هيئ له، فيستغرق في الدعاء الخاشع، ويستغيث بإمداد الرحمن[٢].

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**»، فما زال يهتف بربه مادًا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك[٣] الحديث.

وذكر البخاري روايتين في هذا المعنى:

الأولى: من طريق ابن عباس قال النبي ﷺ يوم بدر: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعْبد**»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك،

---

(١) ص١١٥٢ برقم (٢٨٧٣) كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة.

(٢) انظر: فقه السيرة للغزالي ص٢٢٥.

(٣) ص٧٣١ برقم (١٧٦٣)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[1].

والثانية: فيها زيادة كلمة «**لم تعبد بعد اليوم أبدًا**»، وزيادة بعد كلمة حسبك، «يا رسول الله، فقد ألححت على ربك»[2].

قال السهيلي: وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال: كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله ﷺ بالكف عن الاجتهاد في الدعاء، ويقوي رجاءه ويثبته، ومقام رسول الله ﷺ هو المقام الأحمد، ويقينه فوق يقين كل أحد، فسمعت شيخنا الحافظ[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في هذا: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف، وكان صاحبه في مقام الرجاء، وكلا المقامين سواء في الفضل، لا يريد أن النبي ﷺ والصديق سواء، ولكن الرجاء والخوف مقامان لابد للإيمان منهما، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله، والنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان في مقام الخوف من الله، لأن لله أن يفعل ما شاء، فخاف أن لا يُعبد في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة، وأما قاسم بن ثابت فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا، وقال: إنما فعل ذلك الصديق مأْوِيةً للنبي ﷺ ورقة عليه، لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه، فقال له: «بعض هذا يارسول الله»، أي: لِمَ تُتعب نفسك هذا التعب، والله قد وعدك بالنصر، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ[4].

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود قال: ما سمعنا مناشدًا أنشد حقًّا له، أشد مناشدة من محمد ﷺ يوم بدر، جعل يقول: «**اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد**» ثم التفت كأن وجهه القمر، فقال: «**كأنما أنظر إلى مصارع القوم [عشية]**»[5].

---

(١) ص٧٥٢ برقم (٣٩٥٤) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾.

(٢) ص٩٥٧ برقم (٤٨٧٧) كتاب التفسير باب قوله: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾.

(٣) يعني القاضي أبا بكر [ابن] العربي.

(٤) الروض الأنف (٥/ ١٢٩ - ١٣٠).

(٥) المعجم الكبير (١٠/ ١٤٧) برقم (١٠٢٧٠)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٨٩): إسناده حسن.اهـ، قلت: وهو منقطع، أبو عبيدة لم يسمع من أبيه ابن مسعود، انظر: تقريب التهذيب ص٦٥٦، لكن له شواهد في الصحيح كما سبق.

قال ابن حجر: «وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين، فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، ولاستمر المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى لا يُعبد في الأرض بهذه الشريعة»[١].اهـ، وقال في موضع آخر: «وقال الخطابي: لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه، وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول مشهد شهده، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال؛ لتسكن نفوسهم عند ذلك؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال كف عن ذلك، وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقب بقوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾.اهـ ملخصًا، وقال غيره: وكان النبي ﷺ في تلك الحال في مقام الخوف، وهو أكمل حالات الصلاة، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ، لأن وعده بالنصر لم يكن معينًا لتلك الوقعة، وإنما كان مجملًا هذا الذي يظهر. وزل من لا علم عنده ممن ينسب إلى الصوفية في هذا الموضع زللًا شديدًا، فلا يلتفت إليه، ولعل الخطابي أشار إليه»[٢].

وروى الطبري في تفسيره من حديث ابن عباس قال: قام النبي ﷺ، فقال: «**اللهم ربنا أنزلت عليّ الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني بالنصر، ولا تخلف الميعاد!**» فأتاه جبريل عليه السلام فأنزل الله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤ - ١٢٥][٣].

وروى البيهقي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال، ثم جئت مسرعًا لأنظر إلى رسول الله ﷺ مافعل، قال:

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٨٩).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٨٩).

(٣) (١/ ١٨٨) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١/ ٢٦٣): هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دورانًا في تفسير الطبري، وهو إسناد مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة إن صح هذا التعبير، وهو معروف عند العلماء بتفسير العوفي؛ لأن التابعي في أعلاه الذي يرويه عن ابن عباس هو «عطية العوفي».

فجئت فإذا هو ساجدٌ يقول: «يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم» لا يزيد عليها، فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى القتال، ثم جئت وهوساجد يقول ذلك، فلم يزل يقول ذلك حتى فتح الله عليه[1].

قال السهيلي: وأما شدة اجتهاد النبي ﷺ، ونصبه في الدعاء؛ فإنه رأى الملائكة تنصب في القتال، وجبريل على ثناياه الغبار، وأنصار الله يخوضون غمار الموت، والجهاد على ضربين: جهاد بالسيف، وجهاد بالدعاء، ومن سنة الإمام أن يكون وراء الجند لا يقاتل معهم، فكان الكل في اجتهاد وجد، ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين، وأنصار الله، وملائكته يجتهدون، ولا ليؤثر الدعة، وحزب الله مع أعدائه يجتلدون[2].

وأما أحوال النبي ﷺ في غزوة بدر، فإنه كان تارة بالعريش يرفع يديه، ويبتهل إلى الله بالدعاء بنصر المسلمين، وتارة يقاتل بنفسه، ويجالد أعداء الله. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا[3]. وتارة يرص الصفوف، ويحرض الناس على القتال، ويبشرهم بالنصر.

هذا وقد التقت الفئتان، وتقابل الفريقان، وحضر الخصمان بين يدي الرحمن، واستغاث بربه سيد الأنبياء، وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض، والسماء، سامع الدعاء، وكاشف البلاء، فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي.

* * *

---

(١) دلائل النبوة (٣/ ٤٩) وفي سنده رجلان ضعيفان: محمد بن سنان القزاز، قال الحافظ في التقريب: ضعيف ص٤٨٢، وإسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافع، قال الحافظ في التقريب عنه: مقبول، وقد ينسب إلى جده ص١٠٩. وهذه الرواية مع ضعفها من ناحية السند، ولكنها لا تختلف مع غيرها من الثابت من دعائه عليه السلام.

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٨٩).

(٣) سبق تخريجه ص٧٢.



المطلب الثاني

بـدء القـتـال

اعتداء المشركين وبدء القتال:

ثم خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلًا شرسًا سيئ الخلق، فقال: أعاهد الله، لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنّه، أو لأموتن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فأطن[١] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب[٢] رجله دمًا، نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد: زعم أن يبر يمينه، واتبعه حمزة، فضربه حتى قتله في الحوض[٣].

ثم أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ، فيهم حكيم بن حزام فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**»، فما شرب منه رجل يومئذ إلا قُتل، إلا ماكان من حكيم بن حزام، فإنه لم يُقتل، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني من يوم بدر[٤].

وكان قتل الأسود بن عبد الأسد أول قتل أشعل نار المعركة.

(١) فأطن قدمه: أي أطارها، شرح السيرة النبوية ص١٥٧.
(٢) تشخب: معناه تسيل بصوت، المصدر السابق ص١٥٧.
(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢١٤) وذكرها ابن هشام عن ابن إسحاق بدون إسناد، وابن جرير في تاريخه (٢/ ٣١ - ٣٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٦٤ - ٦٦) وهو مرسل.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢١٢)، وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣٠)، وسنده ضعيف فيه ابن حميد، وقد سبق الكلام عليه ص١٧١، إضافة إلى أن الحديث مرسل.

توجيهات القائد ﷺ لجنوده:

لقد كانت خطة النبي ﷺ في القتال أن يكسر أصحابه هجمات المشركين، وهم مرابطون في مواقعهم، وقال: «**إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا**»[1].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: «**إذا أكثبوكم[2] فارموهم، واستبقوا نبلكم**»[3]. وفي سنن أبي داود من حديث أبي أسيد الساعدي قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «**إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم**»[4].

قال الحافظ في الفتح: قوله: «**فارموهم، واستبقوا نبلكم**»، بسكون الموحدة، فعل أمر بالاستبقاء، أي طلب الإبقاء، قال الداودي: معنى قوله: «**ارموهم**»، أي بالحجارة؛ لأنها لا تكاد تخطئ، إذا رمى بها في الجماعة، قال: ومعنى قوله: «**استبقوا نبلكم**»، أي إلى أن تحصل المصادمة، كذا قال، وقال غيره: المعنى: ارموهم ببعض نبلكم لا بجميعها، والذي يظهر لي أن معنى قوله: «**واستبقوا نبلكم**» لا يتعلق بقوله: «**ارموهم**»، وإنما هو كالبيان للمراد بالأمر بتأخير الرمي حتى يقربوا منهم، أي إذا كانوا بعيدًا لا تصيبهم السهام غالبًا، فالمعنى استبقوا نبلكم في الحالة التي إذا رميتم بها لا تصيب غالبًا، وإذا صاروا إلى الحالة التي يمكن فيها الإصابة غالبًا فارموا.اهـ[5].

قال خفاف بن إيماء: فرأيت أصحاب النبي ﷺ يوم بدر، وقد تصافّ الناس

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢١٥).

(٢) قال في النهاية لغريب الحديث (٤/ ١٥١) في حديث بدر: «إن أكثبكم القوم فانبلوهم»، وفي رواية «إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل»، يقال كثب وأكثب إذا قارب، والكثب: القرب.

(٣) ص٧٥٦ برقم (٣٩٨٤)، كتاب المغازي، باب.

(٤) ص٣٠٠ برقم (٢٦٦٤) كتاب الجهاد، باب في سل السيوف عند اللقاء، وفي سنده إسحاق ابن نجيح، وهو مجهول كما قال الحافظ في التقريب ص١٠٣، ترجمة رقم (٣٨٧)، ولكن يشهد له ما قبله.

(٥) (٧/ ٣٠٦-٣٠٧).

وتزاحفوا، فرأيت أصحاب النبي ﷺ لا يسلون السيوف، وقد أنبضوا القسيّ[1]، وقد ترس بعضهم عن بعض بصفوف متقاربة، لا فُرَجَ بينها، والآخرون قد سلوا السيوف حين طلعوا. فعجبت من ذلك، فسألت بعد ذلك رجلًا من المهاجرين فقال: أمرنا رسول الله ﷺ ألا نسلّ السيوف حتى يغشونا[2].

رؤساء المشركين يدعون للبراز:

كانت المبارزة أول شيء بدئ فيه من القتال يوم بدر، وجرت العادة أنه لا يخرج للمبارزة إلا الشجعان من الرجال، وهذا ما حصل في بدر.

قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»[3].

وروى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال: «فينا نزلت هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾.. الآية»[4].

وقال قيس بن عبادة: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾، قال: هم الذين بارزوا يوم بدر، علي وحمزة وعبيدة، وشيبة ابن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[5].

وروى البخاري بسنده إلى قيس بن عبادة عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم فيها: إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه،

---

(١) أنبض القوس: حرك وترها، القاموس المحيط ص٦٥٤.

(٢) مغازي الواقدي (١/ ٦٧).

(٣) ص٩١٨ رقم (٤٧٤٤)، كتاب التفسير، باب ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾.

(٤) ص٧٥٤ رقم (٣٩٦٧)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

(٥) صحيح البخاري، ص٧٥٤ برقم (٣٩٦٥)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

وعتبة وصاحبيه، يوم برزوا في يوم بدر[(١)].

وروى البخاري بسنده إلى أبي إسحاق، سأل رجل البراء وأنا أسمع، قال: أشهد عليّ بدرًا؟ قال: بارز وظاهر[(٢)(٣)].

قال ابن إسحاق: ثم خرج عتبة بن ربيعة، وتبعه أخوه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل[(٤)] من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء، ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهطٌ من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج لنا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا عليّ**»، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ، قالوا: نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا[(٥)] عليه، واحتملا صاحبهما، فحاذاه إلى أصحابه[(٦)].

وقد حصل اختلافات في الروايات بين أسماء الذين تبارزوا يوم بدر من الصحابة والمشركين.

---

(١) ص٩١٨، برقم (٤٧٤٣)، كتاب التفسير باب ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾، وصحيح مسلم ص١٢١٣ برقم (٣٠٣٣)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾.

(٢) ص٧٥٤، برقم (٣٩٧٠)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

(٣) ظاهر يعني لبس درعًا على درع، فتح الباري (٧/ ٢٩٨)، وانظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٨).

(٤) معناه: خرج.

(٥) فذففا عليه: أي أسرعا قتله، يقال ذففت على الجريح إذا أسرعت قتله، شرح السيرة النبوية ص١٥٧.

(٦) السيرة النبوية (٢/ ٢١٤ - ٢١٥)، وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٧٢)، كلهم عن ابن إسحاق به، وله شاهد في سنن أبي داود (٣/ ٥٢ - ٥٣) برقم (٢٦٦٥)، وإسناده صحيح، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح أبي داود (٢/ ٥٠٧) برقم (٢٣٢١)، وقصة المبارزة ثابتة في الصحيحين كما تقدم.

فقد روى الطبراني من حديث علي رضي الله عنه قال: أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث يوم بدر على الوليد بن عتبة، أظنه قال: فلم يغب ذلك على النبي ﷺ[1].

وروى أبو داود في سننه من حديث علي رضي الله عنه قال: تقدم عتبة ابن ربيعة، وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث**»، فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة[2].

قال ابن حجر بعد ذكره لحديث علي السابق في سنن أبي داود: «وهذا أصح الروايات، لكن الذي في السير من أن الذي بارز عليّ هو الوليد، وهو المشهور اللائق بالمقام؛ لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة، بخلاف علي والوليد، فكانا شابين»[3].اهـ.

والذي يظهر لي من الحديثين السابقين أن حمزة لعتبة، وعبيدة للوليد، وعلي لشيبة، وذلك لأنه مروي بأصح الأسانيد وأقواها، كما قال ابن حجر، وأما الرواية التي في السير، فإنها رويت بغير إسناد.

قال ابن كثير رحمه الله بعدما نقل أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾: وقول مجاهد وعطاء، أن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون، يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل، والكافرين يريدون إطفاء نور الإيمان، وخذلان الحق، وظهور الباطل، وهذا اختيار ابن جرير، فقد قال: «وأولى الأقوال عندي

---

(١) (٣/ ١٥٠) برقم (٢٩٥٥)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٩٨): «إسناده حسن، وهذا موافق لرواية أبي داود، والله أعلم».

(٢) سنن أبي داود ص٣٠١ برقم (٢٦٦٥)، كتاب الجهاد، باب في المبارزة، وإسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٠٧).

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٩٨).

بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية قول من قال: عنى بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا، وجميع المؤمنين، وإنما قلت أولى بالصواب لأنه تعالى ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه، أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر أهل معصية له، قد حق عليه العذاب، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]. ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]. ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما، وما هو فاعل بهما، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]. وقال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحج: ١٤].

فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما، فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر في قوله إن ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟ قيل ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم»[(١)].

وقول ابن جرير وابن كثير رحمهما الله، مما تميل إليه النفس، وأن الآية عامة تشمل المؤمنين والكافرين، وإن كانت نزلت في قصة بدر.

وفي بداية المعركة رُمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل، فكان أول قتيل من المسلمين[(٢)]، ثم رُمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي ابن النجار، وهو يشرب من الحوض بسهم، فأصاب نحره فقُتل[(٣)].

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/ ١٢٤ - ١٢٥)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢١٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٨). وذكرها عن ابن إسحاق بدون سند، وذكرها ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣١)، وابن حجر في الإصابة (٦/ ١٤٦).

(٣) وقصة مقتل حارثة بن سراقة ثابتة في الصحيح، وقد سبق الكلام عليها ص٥١.

مشاركة النبي ﷺ في القتال:

قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

يقول - تعالى ذكره - للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم، وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به، الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جلّ ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم، وكذلك قوله لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والسبب الرمية لرسوله[1].

روى الطبراني من حديث حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر، أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفًا من الحصباء، فاستقبلنا به، فرمانا بها، وقال: «**شاهت الوجوه**»، فانهزمنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2].

وروى ابن جرير والبيهقي عن ابن عباس، والأموي عن عبد الله ابن ثعلبة بن صعير أن رسول الله ﷺ قال: «**يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبدًا**»، فقال له جبريل: خذ قبضة من تراب، فارم بها في وجوههم، فما بقي من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**احملوا**»، فلم تكن إلا الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر، وأنزل الله ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

قال ابن عقبة وابن عائذ: فكانت تلك الحصباء عظيم شأنها، لم تترك

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٦/ ٢٠٢).

(٢) سبق تخريجه ص٤٢.

من المشركين رجلًا إلا ملأت عينيه، وجعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، وبادر كل رجل منهم منكبًا على وجهه، لا يدري أين يتوجه، يعالج التراب، ينزعه من عينيه[1].

وجاء في رواية أن الرمي كان بثلاثة أحجار فقط.

وروى الطبري في تفسيره من حديث قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾، الآية. ذكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار، رمى بها وجوه الكفار، فهزموا عند الحجر الثالث[2].

وروى الطبري من حديث حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء، كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية، فانهزمنا[3].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو يرد على من حمل الآية على غير بدر -: «وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم»[4].

وقال في موضع آخر بعدما نقل عن جمع من أهل العلم: إن هذه الآية نزلت في بدر، وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في غزوة حنين، كما سيأتي في موضعه[5].اهـ.

وقد رمى النبي ﷺ في مكة بعض المشركين بالتراب، فقُتلوا كفارًا ببدر.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمدًا لقد قمنا إليه قيام رجل واحد حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي، حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فقالت: هؤلاء الملأ

---

(١) سبق تخريجه ص٤٢.

(٢) (٦/ ٢٠٣)، وسنده صحيح، لكنه مرسل.

(٣) المصدر السابق (٦/ ٢٠٣)، وفي سنده عبد العزيز بن عمران الزهري، وهو ضعيف.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٦).

(٥) البداية والنهاية (٥/ ١٢٧).

من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك. فقال: «يا بنية، أدنيني وضوءًا»، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا. وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعَقروا[1] في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: «شاهت الوجوه»، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلًا منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قُتل يوم بدر كافرًا[2].

قال ابن كثير: وقد قاتل بنفسه الكريمة عليه الصلاة والسلام قتالًا شديدًا ببدنه، وكذلك أبو بكر الصديق، كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا، فحرضا، وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعًا بين المقامين الشريفين.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدوّ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأسًا[3].

التحام الفريقين:

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل»[4]، ورسول الله ﷺ في العريش، معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه[5].

---

(١) عَقروا: بفتح العين، كذا ضبط في النهاية لغريب الحديث (٣/ ٢٧٣)، وقال: العقر بفتحتين: أن تسلم الرجل قوائمه من الخوف، وقيل: هو أن يفجأه الروع فيدهش، ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر.

(٢) (٤/ ٤٨٦ - ٤٨٧) برقم (٢٧٦٢) ورجاله ثقات، رجال الصحيح، إلا يحيى بن سليم، وهو الطائفي، قد اختلف فيه الأئمة، فوثقه ابن معين، ومحمد بن سعد، وضعفه أحمد بن حنبل وأبو حاتم، والدارقطني، وقال الحافظ في التقريب ص٥٩١: صدوق سيئ الحفظ.

(٣) (٢/ ٨١) برقم (٦٥٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وأصله في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب، قال: كنا والله إذا احمرّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ.

(٤) سبق تخريجه ص٢٢٠.

(٥) السيرة النبوية (٢/ ٥٥٣).

الرسول ﷺ ينهى عن قتل أناس من المشركين:

إن معركة بدر لم تقم من أجل مصالح دنيوية، أو عداوات قبلية، وإنما قامت لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه.

والنبي ﷺ أمر أصحابه بعدم التعرض لبعض كفار قريش لأمرين اثنين:

الأول: علم الرسول ﷺ أنهم إنما خرجوا مكرهين، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ.

الثاني: ما لهم من يد عند المسلمين، لما قدموه من نصرة للإسلام في أول الدعوة، ولو غير مؤمنين بها. والنبي ﷺ حفظ لهم هذا، ثم إن النبي ﷺ لم يشمل عفوه ذلك بني عبد المطلب فحسب، وإنما شمل أيضًا أناسًا آخرين، منهم أبو البختري بن هشام[١].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عليّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب، فإنهم خرجوا كرهًا**»[٢].

وروى ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «**إني قد عرفت رجالًا من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهًا لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن الأسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرهًا**»، قال: فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وعشيرتنا، ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لأُلحِمنه السيف، قال ابن هشام: «ويقال لأُلجِمنّه»[٣] قال: فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب: «**يا أبا حفص**»، قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه

---

(١) انظر: مرويات غزوة بدر للعليمي ص٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢) (٢/ ٩٧) برقم ٦٧٦، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة.

(٣) لألحِمَنّه: أي لأقطعن لحمه بالسيف، ولأخالطنه به، وقول ابن هشام: لأُلجِمَنّه بالجيم أي لأضربن به في وجهه، واللجام سمة توسم، شرح السيرة النبوية ص١٥٨.

رسول الله ﷺ بأبي حفص: «**أيُضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟**» فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفًا إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا[(١)].

قال ابن هشام: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري، لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب، فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الأنصار، ثم من بني سالم بن عوف، فقال المجذر لأبي البختري: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك، ومع أبي البختري زميل له قد خرج معه من مكة، وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد، وجنادة رجل من بني ليث، واسم أبي البختري: العاص، قال: وزميلي؟ فقال له المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك، فقال: لا والله إذًا لأموتن أنا وهو جميعًا، لا تحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصًا على الحياة، فقال أبو البختري حين نازله المجذر: وأبى إلا القتال يرتجز [من الرجز]:

لَن يُسلِمَ ابنُ حُرةٍ زميلَهُ[(٢)] حتى يموتَ أو يَرى سَبيلَهُ

فاقتتلا، فقتله المجذر بن ذِياد.

وقال المجذر بن ذياد في قتله أبا البختري [من الرجز]:

إما جهلْتَ أو نَسيتَ نَسَبي فَأثْبِتِ النِّسْبَةَ إنّي مِنْ بَلِي

الطاعنينَ برِماحِ اليَزَني والضّاربينَ الكبشَ حتى يَنْحَني[(٣)]

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٠)، وفي سنده مجاهيل، لكن صرح بأسمائهم في رواية الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٧) عن العباس بن معبد عن أبيه عن ابن عباس وسنده لا بأس به.

(٢) الزميل: الصاحب الذي يركب معه على بعير واحد، شرح السيرة النبوية ص١٥٨.

(٣) الطاعنين برماح اليزني، وهي رماح منسوبة إلى ذي يزن، وهو ملك من ملوك اليمن، والكبش: رئيس القوم، شرح السيرة النبوية ص١٥٨.

بَشّر بيُتْم منْ أبيهِ البَخْتَري أو بَشّرَنْ بمِثلها منّي أبوه
أنَا الذي يُقالُ: أصْلي منْ بَلِي أطعنُ بالصَّعْدة حتّى تنثني[1]
وأعْبِطُ القِرْنَ بِعَضْبٍ مَشْرفي[2] أُرْزِمُ للموتِ كإرْزَام المَري[3]
فَلا ترى مُجَذَّرًا يَفْري فَري[4][5]

قال ابن إسحاق: «ثم إن المجذَّر أتى رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني فقاتلته، فقتلته»[6] قال ابن هشام: أبو البختري العاص بن هشام ابن الحرث بن أسد.

قتال الملائكة يوم بدر:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ

---

(١) الصعدة: عصا الرمح، ثم سمي الرمح صعدة، المصدر السابق ص١٥٨.
(٢) أعبط معناه: أقتل، والعبط القتل من غير سبب، المصدر السابق ص١٥٨، والقرن بالكسر الكُفء والتطير في الشجاعة والحرب، ويجمع على أقران، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٥٥)، والعضب: السيف القاطع، والمشرفي منسوب إلى المشارف، وهي قرى بالشام، شرح السيرة النبوية ص١٥٨.
(٣) قال أبو ذر الخشني: قال ابن أبي الخصال في حاشية كتابه: الإرزام الشدة، والمري: الناقة التي يستنزل لبنها بعسر. وقال ابن طريف: الإرزام رغاء الناقة بجنان، وفي كتاب العين المَري الناقة الغَزيرَة اللبن، المصدر السابق ص١٥٨.
(٤) يقال: فَرَى يفْرِي فريًا: إذا أتى بأمر عجيب، المصدر السابق ص١٥٨.
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢١).
(٦) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٢)، وقد ساقه ابن إسحاق بدون إسناد، وأخرجه ابن جرير (٢/ ٣٥).

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ٩ - ١٢].

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس، وجاء فيه قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم[١]، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه، وشُق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**»، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين[٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه وفيه: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يارسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح[٣] من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق[٤]، ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: «**اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم**»، فقال علي: فأسرنا من بني عبد المطلب العباس، وعقيلًا، ونوفل بن الحارث[٥].

وروى الأموي بسنده إلى ثعلبة بن صعير قال: خفق النبي ﷺ خفقة في العريش، ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل معتجر بعمامته، آخذ بعنان فرسه، يقوده على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعدته**»[٦].

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال

---

(١) سبق شرحه ص٥٩.
(٢) سبق تخريجه ص٦٠.
(٣) سبق شرحه ص٦٠.
(٤) سبق شرحه ص٦٠.
(٥) تقدم تخريجه ص٦٠.
(٦) البداية والنهاية (٥/ ١٢٦)، وقال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص٢٤٣: وهذا سند حسن، وسكت عليه ابن كثير.

يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب**»[1]، وروى أيضًا من حديث رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «**من أفضل المسلمين**» - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة[2].

وروى الحاكم في المستدرك من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير قال: «كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر»[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: «قيل لعلي، ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو قال: يشهد الصف»[4].

وروى ابن جرير في تفسيره من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز أن النبي ﷺ قال: «**ما رؤي إبليس يومًا هو فيه أصغر، ولا أحقر، ولا أدحر، ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب، إلا ما رأى جبريل يزع[5] الملائكة**»[6].

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث رفاعة بن رافع، وابن جرير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أمد الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بألف، فكان جبريل في خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة.. الحديث»[7].

وقد وردت أحاديث أخرى في قتال الملائكة يوم بدر، إلا أنها لا تسلم من الضعف.

قال ابن كثير رحمه الله: ولما تنزلت الملائكة للنصر، ورآهم رسول الله ﷺ حين أغفى إغفاءة، ثم استيقظ، وبشر بذلك أبا بكر، وقال: «**أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل**

---

(١) ص٧٥٩ برقم (٣٩٩٥)، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا.
(٢) سبق تخريجه ص٥٠.
(٣) (٣/٤٠٧)، وإسناده صحيح.
(٤) سبق تخريجه ص٦٤.
(٥) سبق شرحه ص٧٢.
(٦) سبق تخريجه ص٧٢.
(٧) سبق تخريجه ص٤٤.

يقود فرسه على ثناياه النقع»[(١)]، يعني من المعركة، ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش في الدرع، فجعل يحرّضُ على القتال، ويبشّرُ الناس بالجنّة، ويُشجعهم بنزول الملائكة، والناسُ بعدُ على مصافّهم لم يحملوا على عدوّهم، حصل لهم السكينة والطمأنينة، وقد حصل النّعاس الذي هو دليلٌ على الطمأنينة، والثبات والإيمان، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١][(٢)].

وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن، ولهذا قال ابن مسعود: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان[(٣)].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «وأما قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الأنفال: ١٢]، يقول: قووا عزمهم، وصححوا نياتهم في قتال عدوّهم من المشركين.

وقد قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم، وقيل: كان ذلك بأن الملكَ يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم - يعني المشركين - يقولون: «والله لئن حملوا علينا لننكشفنّ، فيحدث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك، فتقوى أنفسهم. قالوا: وذلك كان وحي الله إلى ملائكته»[(٤)].

ثم روى بسنده إلى مجاهد قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر[(٥)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾، قال: وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى وتقدّس وتبارك وتمجّد، أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن ثبتوا الذين آمنوا. وقال بعضهم: قاتلوا معهم، وقيل: كثّروا سوادهم[(٦)].. إلخ.

---

(١) سبق شرحه ص٧٢.
(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (٥/ ١٢١).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩١).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٩٦).
(٥) (٧/ ١٧٨٧) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح.اهـ، لكنه موقوف على مجاهد.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٢).

وقال القرطبي: «قوله: ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ أي: بشّروهم بالنصر أو القتال معهم، أو الحضور معهم من غير قتال، ثم قال: وقوله: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾، هذا أمر للملائكة، وقيل للمؤمنين»[(١)].اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يَتحدّث عن غزوة بدر: «واستنصر المسلمون الله، واستغاثوه، وأخلصوا له، وتضرعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]. وأوحى الله إلى رسوله: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. قُرئ بكسر الدال وفتحها[(٢)]، فقيل: المعنى أنهم ردف لكم، وقيل: يُردفُ بعضهم بعضًا أرسالًا لم يأتوا دُفعةً واحدة.

فإن قيل: ههنا ذكر أنه أمدّهم بألف، وفي سورة آل عمران قال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤ - ١٢٥]. فكيف الجمع بينهما؟

قيل: قد اختلف في هذا الإمداد الذي بثلاثة آلاف، والذي بالخمسة على قولين:

أحدهما: أنه كان يوم أحد، وكان إمدادًا معلقًا على شرط، فلما فات شرطه، فات الإمداد، وهذا قول الضحاك ومقاتل، وإحدى الروايتين عن عكرمة.

والثاني: أنه كان يوم بدر، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والرواية الأخرى عن عكرمة، اختاره جماعة من المفسرين.

وحجة هؤلاء أن السياق يدل على ذلك، فإنه سبحانه قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٨).

(٢) قال محققا زاد المعاد الشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ عبد القادر الأرناؤوط: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «مُردفين» بكسر الدال، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم «مردَفين» بفتح الدال، والحجة لمن كسر الدال أنه جعل الفعل للملائكة، فأتى باسم الفاعل من «أردف»، والحجة لمن فتح الدال أنه جعل الفعل لله عزوجل، فأتى باسم المفعول من «أردف»، والعرب تقول: أردفت الرجل: أركبته على عجز دابتي خلفي، وردفته: إذا ركبت خلفه، زاد المسير (٢/ ٣٢٦)، والحجة ص١٤٥ لابن خالويه.

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٥].

إلى أن قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي هذا الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾.

قال هؤلاء: فلما استغاثوا، أمدّهم بتمام ثلاثة آلاف، ثم أمدهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا، فكان هذا التدريج، ومتابعة الإمداد، أحسن موقعًا، وأقوى لنفوسهم، وأسرّ لها من أن يأتي به مرة واحدة، وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة.

وقالت الفرقة الأولى: القصة في سياق أُحُد، وإنما أدخل ذكر بدر اعتراضًا في أثنائها، فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢١ - ١٢٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، فذكرهم نعمته عليهم لما نصرهم ببدر، وهم أذلة، ثم عاد إلى قصة أُحُد، وأخبر عن قول رسوله لهم: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ثم وعدهم أنهم إن صبروا واتّقوا، أمدّهم بخمسة آلاف، فهذا من قول رسوله، والإمداد الذي ببدر من قوله تعالى، وهذا بخمسة آلاف، وإمداد بدر بألف، وهذا معلق على شرط، وذلك مطلق، والقصة في سورة آل عمران هي قصة أُحد مستوفاة مطولة، وبدر ذُكرت فيها اعتراضًا، والقصة في سورة الأنفال، قصة بدر مستوفاة مطولة، فالسياق في (آل عمران) غير السياق في الأنفال، يوضح هذا أن قوله: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٢٥]، قد قال مجاهد: إنه يوم أحد، وهذا يستلزم أن يكون الإمداد المذكور فيه، فلا يصح قوله: إن الإمداد بهذا العدد كان يوم بدر، وإتيانهم من فورهم هذا يوم أحد، والله أعلم»[1].

(١) زاد المعاد (٣/ ١٧٦ - ١٧٨).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: ويؤيد ما ذهب إليه الجمهور[(١)] ما رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند صحيح عن الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي مد المشركين، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، فبلغت كرزًا الهزيمة فلم يمد كرز المشركين، ولم يمد المسلمين بالخمسة[(٢)(٣)]، وقال في موضع آخر: هذا - أي القول - هو المعتمد[(٤)].

قال الشيخ البوطي: انطوت بدر على معجزة من أعظم معجزات التأييد والنصر للمسلمين الصادقين، فقد أمد الله المسلمين فيها بملائكة يقاتلون معهم، وهذه حقيقة ثبتت بدلالة صريحة من الكتاب والسنة الصحيحة، ومن أوضح الأدلة القاطعة على أن التعبير بالملائكة في بيان الله عَزَّوَجَلَّ ليس المقصود به ما يتوهمه بعضهم من المدد الروحي، أو القوة المعنوية، أو نحو ذلك.. أقول: من أوضح الأدلة القاطعة على بطلان هذا الوهم، ضبط البيان الإلهي الملائكة بعدد محدود، وهو الألف في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]. إذ العدد من مستلزمات الكم المنفصل في الأشياء، ولا يكون ذلك إلا في الأشياء المادية المحسوسة، ومن هنا نعلم أن تقييد البيان الإلهي الملائكة بعدد معين ينطوي على حكم باهرة، من أجلها قطع السبيل على من يريد أن يتناول الآية، ويفسر الملائكة بالمعنى الذي يروق له، وهو مجرد الدعم المعنوي، ثم إن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين، إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسيّة لشدّة استغاثتهم، اقتضاها أنهم يقفون مع أول تجربة قتال في سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم في العدة والعدد، وإلا فإن النصر من عند الله وحده، ومن أجل بيان هذه الحقيقة قال الله تعالى معللًا نزول الملائكة: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ

(١) يقصد القول الأول.
(٢) وهو مرسل، الشعبي لم يدرك زمن النبي ﷺ.
(٣) فتح الباري (٧/ ٢٨٥).
(٤) فتح الباري (٧/ ٢٨٦).

﴿إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠][1].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلتُ عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا، على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب وسننها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع، والله أعلم[2].اهـ.

شعار المسلمين في المعركة:

قال ابن إسحاق: وكان شعار[3] أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: «أحد، أحد»[4].

وروى النسائي في السنن الكبرى من حديث علي رضي الله عنه قال: «كان سيمانا يوم بدر الصوف الأبيض»[5].

* * *

(١) انظر: فقه السيرة للبوطي ص٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) (٧/ ٣١٣).

(٣) الشعار هنا العلامة في الحرب، شرح السيرة النبوية ص١٥٩.

(٤) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٥).

(٥) (٥/ ١٩٢) برقم (٨٦٤٠)، وسنده صحيح، وقد تكلم في رواية إسرائيل عن أبي إسحاق، ولكن في هذا السند واسطة بينهما، وهو يوسف بن أبي إسحاق.



المطلب الثالث

مشاهد وأحداث المعركة

أ- مقتل أبي جهل لعنه الله في بدر:

إن هذا المبحث يبين نهاية الظالمين المعتدين، النهاية المؤلمة التي ينتهي إليها كل معتد ظالم على طول التاريخ الإسلامي كله.

وأبو جهل عمرو بن هشام ما هو إلا حلقة من حلقات الظلم والطغيان ضد الحق، فمثله كثير.

إن فرعون موسى انتهى بالغرق، وقوم هود، وقوم لوط هلكوا، وكل ظالم متكبر، لا بد أن ينتهي تلك النهاية المؤلمة.

قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وانتهى أبو جهل، ورمي بالقليب بعد تلك الكبرياء التي أرادها للباطل على الحق، ولكن التاريخ البشري يشهد أن الحق هو الذي يبقى، وقديمًا قيل: «دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة»[١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرتُ عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما، تمنيتُ أن أكون بين أَضْلَعَ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ، هل تعرف أبا جهل؟ قلتُ: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال:

---

(١) انظر: مرويات غزوة بدر للعليمي ص٢٢٢.

أُخبرتُ أنّه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتّى يموت الأعجل منا، فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل يجولُ في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيّكما قتله؟**»، قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «**كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح**»، وكانا معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح[1].

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «**من ينظر ما صنع أبو جهل؟**»، فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء[2] حتى برد، قال: أأنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو رجل قتل قومه[3].

---

(١) ص٦٠١، برقم (٣١٤١)، كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب. ومسلم ص٧٢٧، برقم (١٧٥٢)، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل.

(٢) قال الحافظ في الفتح: هما معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء، وأن النبي ﷺ نظر في سيفيهما.. الحديث. وعفراء والدة معاذ، واسم أبيه الحارث، وأما ابن عمرو بن الجموح فليس اسم أمه عفراء، وإنما أطلق عليه تغليبًا، ويحتمل أن تكون أم معوذ أيضًا تُسمى عفراء، أو أنه لما كان لمعوذ أخ يُسمى معاذًا باسم الذي شركه في قتل أبي جهل ظنه الراوي أخاه، وقد أخرج الحاكم من طريق ابن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس، قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح: سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الحرجة: أبو جهل الحكم لا يُخلص إليه، فجعلته من شأني، فعمدت نحوه، فلما أمكنني.. الحديث. قال: ثم عاش معاذ إلى زمن عثمان. قال: ومر بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وبه رمق، ثم قاتل معوذ حتى قتل، فمر عبد الله بأبي جهل فوجده بآخر رمق، فذكر ما تقدم، فهذا الذي رواه ابن إسحاق يجمع بين الأحاديث، لكنه يخالف ما في الصحيح من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه رأى معاذًا ومعوذًا شدا عليه جميعًا حتى طرحاه، وابن إسحاق يقول: إن ابن عفراء هو معوذ، وهو بتشديد الواو، والذي في الصحيح معاذ، وهما أخوان، فيحتمل أن يكون معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو كما في الصحيح، وضربه بعد ذلك معوذ حتى أثبته، ثم حز رأسه ابن مسعود، فتجمع الأقوال كلها.اهـ فتح الباري (٧/ ٢٩٦).

(٣) ص٧٦٢ برقم (٤٠٢٠) كتاب المغازي، وصحيح مسلم ص٧٤٨ برقم (١٨٠٠)، كتاب الجهاد والسير، باب قتل أبي جهل.

قال: وقال أبو مجلز: قال أبو جهل: فلو غير أكار قتلني[1]، وفي رواية أخرى للبخاري: وهل أعمد[2] من رجل قتلتموه[3].

وقال أيضًا لابن مسعود: لقد ارتقيت مرتقىً صعبًا يا رويعي الغنم، وسأل قائلًا: لمن الدائرة اليوم؟ قال ابن مسعود: لله ولرسوله[4].

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: أتيت النبي ﷺ يوم بدر، فقلت: قتلت أبا جهل؟ قال: «**آلله الذي لا إله إلا هو؟**» قال: قلت: آلله الذي لا إله إلا هو، فرددها ثلاثًا، قال: «**الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق فأرنيه**» فانطلقنا فإذا به، فقال: «**هذا فرعون هذه الأمة**»[5].

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن أبي أوفى: أن رسول الله ﷺ صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين[6].

وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى الشعبي أن رجلًا قال لرسول الله ﷺ: إني مررت ببدر، فرأيت رجلًا يخرج من الأرض، فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الأرض، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك أبو جهل بن هشام، يُعذب إلى يوم القيامة**»[7].

---

(١) ص٧٦٢ برقم (٤٠٢٠)، كتاب المغازي، وأكار: زراع، قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٩٥): وعنى بذلك أن الأنصار أصحاب زرع، فأشار إلى تنقيص من قتله منهم بذلك.

(٢) أعمد: يريد أكبر من رجل قتلتموه، على سبيل التحقير منه لفعلهم به، قال الحافظ أبو ذر الخشني: وعميد القوم سيدهم، شرح السيرة النبوية ص١٦٠.

(٣) ص٧٥٣ برقم (٣٩٦١)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٧).

(٥) سبق تخريجه ص٧٣.

(٦) ص١٥٤ برقم (١٣٩١)، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، وقال البوصيري في تعليقه على السنن لابن ماجه ص١٥٤: هذا إسناد فيه مقال، شعثاء بنت عبد الله لم أر من تكلم فيها لا بجرح، ولا بتوثيق. وسلمة ابن رجاء لينه ابن معين، وقال ابن عدي: حدّث بأحاديث لا يتابع، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو زرعة: صدوق.

(٧) ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١٤٣)، وهو مرسل، الشعبي لم يدرك النبي ﷺ.

والذي يبرز لأول وهلة عند المقارنة بين فرعون مصر، وفرعون هذه الأمة أبي جهل، أن فرعون مصر أشد كفرًا وعتوًا من فرعون هذه الأمة أبي جهل، فقد قال فرعون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] ولم يقلها أبو جهل، وقال فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]. ولم يقلها أبو جهل.

والأغرب في فرعون الأمة إيمانه بالله كما يدعي، فها هو يستفتح يوم بدر: «اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحنه الغداة»، وهو الذي قال لإيماء بن رحضة الغفاري بعد أن أهداه بعض جزائر الإبل، وعرض عليه أن يمده بالسلاح والرجال، فقال له أبو جهل: «أن وصلتك رحم، وقد قضيت الذي عليك، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم، ولئن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة»(1).

فأبو جهل فرعون هذه الأمة ليس جاحدًا بالله، وليس ملحدًا، وليس مدعيًا الألوهية، بل هو يستغيث بالله رب السماوات والأرض له، حين يطلب العون، وهو يعرف بأن الله تعالى رب السماوات والأرض له من القدرة ما لا طاقة للبشر بحربه، ومع ذلك كله لم يجعله هذا الأمر يقرب خطوة واحدة من الإيمان، أو يُحسب في عداد المؤمنين، كما يريد اليوم المائعون أن يفعلوا في معسكر الإيمان ضد معسكر الإلحاد، ويستحيون من ذكر الإسلام حتى لا يُتهموا بالتعصب، ويضعون تحت لواء الإيمان كل كفرة الأرض، من أهل الكتاب والمجوس والبوذيين، ضد الإلحاد التي تقوده الشيوعية، وبهذا المقياس، وتحت هذا اللواء، يدخل أبو جهل على رأس المؤمنين بالله، وهو بالمفهوم الإسلامي فرعون هذه الأمة، ورأس أئمة الكفر.

ولعل هذه السمة هي سمة طواغيت هذه الأمة وفراعينها، فهم لا يجاهرون

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦١).

بالإلحاد، ولا يجاهرون بالجحود والكفر، لكنهم يصلون المؤمنين والمجاهدين نار العذاب والإيذاء والاستئصال، ويحاولون دفن الوجود الإسلامي في الأرض، ويحاربون تحكيم شريعة الله في الوجود، لكنهم يطلقون معسول الكلام عن الإسلام ومثاليته، وعن إيمانهم به، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به.

إنما يبدو عناد فرعون هذه الأمة إذا قورن بفرعون موسى من خلال المصير النهائي لكليهما، فعندما رأى فرعون موسى أنه لا مفر من الغرق، وفي اللحظة الأخيرة من حياته تراجع عن جحوده وإلحاده، وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. بينما رأينا أبا جهل وهو في الرمق الأخير يصر على كفره وعناده، ويقول: أأعمد من رجل قتلتموه؟ لقد ارتقيت مرتقىً صعبًا يا رويعي الغنم.

وتقع الأقدار العجيبة مع فرعون هذه الأمة أن يكون من الذين أسهموا بقتله غلامان من الأنصار في مقتبل الشباب حديثة أسنانهما، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان يسميه رويعي الغنم، ولم يقتله صناديد المسلمين، حمزة أو علي، أو أبطال الأنصار سعد بن معاذ أو أبو دجانة أو سعد بن عبادة، إنما كتب الله تعالى أجله على يد الغلامين من الأنصار، وعلى يد رويعي الغنم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الذي كان قصير القامة، نحيل البدن».

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِىَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ - ٦].

﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكۡنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧][١].

---

(١) انظر: المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية الجهادية، لمنير الغضبان ص١١٧ - ١١٨.

ب ـ عمير بن الحمام والتمرات:

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**»[1] فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**»، قال: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟**»، قال: لا والله يا رسولَ الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه[2]، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياةٌ طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[3].

ج ـ قتل رأس الكفر أمية بن خلف:

«انتهى الظلم والعدوان، ظلم وعدوان الجاهلية وكيدها على الحق والدين. انتهت تلك الأسطورة التي جعلت قريشًا تظن أنها بقوتها وجبروتها تستطيع أن تسحق الحق في نفوس أتباعه، ينتهي أمية بن خلف، السيد المطاع على يد الحق والعدل بيد بلال الحبشي الذي طالما عذبه بمكة، تلك الأنات التي يطلقها بلال: أحد، أحد، لم تذهب سدى، إنها سياط في وجه الظلم الكالح في كل زمان ومكان، ويثأر بلال، ولكن الثأر لم يكن لنفسه، وإنما هو للحق الذي يحمله بين جنبيه، وينتهي العدوان، ويرى أهله مصيرهم، والعاقبة للمتقين.

رحم الله بلالًا، فقد أعطى القدوة مرتين:

الأولى: لتحمله العذاب والقهر في دين الله، فكان أقوى من الحديد، وأشد من الفولاذ.

---

(١) أي قدامه، متقدمًا في ذلك الشيء؛ لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها.

(٢) قرنه: أي جعبته، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٥٥).

(٣) سبق تخريجه ص٦٠.

الثانية: إذاقتهُ لأعداء الله كأس المنية من يده، ليثبت للدنيا كلها، وللتاريخ البشري انتصار الحق والإيمان على الكفر والعدوان[1]».

قال الشاعر:

هنيئًا زَادَكَ الرّحْمنُ خيرًا ... لقدْ أدْركْتَ ثأرَكَ يا بِلالُ

ولقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بقتل أمية بن خلف، فكان كما قال[2].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كاتبتُ أمية بن خلف كتابًا، بأن يحفظني في صاغيتي بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرتُ الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبتُه: عبدَ عمرو، فلما كان في يوم بدر، خرجتُ إلى جبل لأحرزه[3] حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيتُ أن يلحقونا، خلّفتُ لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلًا ثقيلًا، فلما أدركونا قلت له: ابرُكْ، فبَرَك، فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه[4].

أما ابن إسحاق فقد روى قصة قتله بإسنادين فيهما من الزيادات ما ليس في الذي سبق.

فروى بسنده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف لي

---

(١) مرويات غزوة بدر ص٢٢٦.
(٢) انظر: تفصيل ذلك ص٥٨.
(٣) حرز: يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازًا إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن الأخذ، النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٦٦).
(٤) ص٤٣١ برقم (٢٣٠١)، كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربيًا في دار الحرب، أو في دار الإسلام جاز.

صديقًا بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، فكان يلقاني إذا نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماكه أبواك؟ قال: فأقول: نعم.

قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئًا أدعوك به، أما أنت فلا تجبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه. قال: فقلت: يا أبا علي، اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. قال: قلت: نعم، قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله، فأجيبه، فأتحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو آخذ بيده، قال: ومعي أدراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلما رآني قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك فيّ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟

قال: قلت: نعم ها الله إذن.

قال: فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما[1].

وفي رواية أخرى عند ابن إسحاق، وهي تتمة لهذه القصة، قال لي أمية بن خلف - وأنا بينه وبين ابنه آخذًا بأيديهما -: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟

قال: قلت حمزة، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذب بلالًا بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء[2] مكة إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا، أو تفارق دين محمد، فيقول بلال «أحد، أحد» قال: فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٢)، قلت: وإسناده صحيح.

(٢) الرمضاء: الرمل الحار من الشمس، شرح السيرة النبوية ص١٥٩.

خلف، لا نجوت إن نجا، قال: قلت أي بلال أبأسيري؟ قال: لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أتسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا، قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة[1]، وأنا أذب عنه، قال: فأخلف رجل السيف، فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط، قال: فقلت: انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئًا، قال: فهبروهما[2] بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالًا ذهبت أدراعي، وفجعني بأسيري[3].

والأسير كما قرره أهل العلم، أمره إلى الإمام، إن شاء قتل، وإن شاء أفدى، وإن شاء استرق، وإن شاء عفا عنه، وأما أسر أمية بن خلف فهو كغيره من سادات قريش الذين أُسروا، وقد أسره عبد الرحمن بن عوف بعد المعركة، كما ورد أنه أخرجه عندما أتى المساء، وأما بلال إنما أراد التعجيل به طمعًا في قطع رأس الكفر.

د- شجاعة الزبير بن العوام:

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير قال: قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة[4] فطعنته في عينه فمات. قال هشام: فأُخْبِرْت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطأت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها. قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ

(١) المسكة: أي جعلونا في حلقة كالسوار، وأحدقوا بنا، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٣١).

(٢) فهبروهما: معناه قطعوا لحمهما، يقال: هبرت اللحم إذا قطعته قطعًا كبارًا، شرح السيرة النبوية ص١٥٩.

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٣)، وسنده حسن، ويشهد له ما قبله.

(٤) العنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئًا، وفيها سنان مثل سنان الرمح، والعكازة قريب منها، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٠٨).

فأعطاه، فلما قُبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قُبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلماقتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل[1].

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، إحداهن في عاتقه، قال: إن كنت لأدخل أصابعي فيها، قال: ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة في اليرموك.

قال عروة: وقال لي عبد الملك بن مروان حين قتل عبد الله بن الزبير: يا عروة، هل تعرف سيف الزبير؟ قلت: نعم، قال: فما فيه؟ قلت: فيه فَلَّة[2] فلَّها يوم بدر، قال: صدقت، بهن فُلُول من قراع الكتائب[3]، ثم رده على عروة. قال هشام: فأقمناه بيننا ثلاثة آلاف، وأخذه بعضنا، ولوددت أني كنت أخذته[4]. قال الحافظ في الفتح: قوله: صدقت بهن فلول من قراع الكتائب هذا شطر من بيت مشهور من قصيدة مشهورة للنابغة الذبياني، وأولها:

كليني لِهَمٍّ يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وهو من المدح في معرض الذم، لأن الفل في السيف نقص حسي لكنه لما كان دليلًا على قوة ساعد صاحبه، كان من جملة كماله[5].

وفي رواية أخرى عن عروة قال: وكان سيف الزبير بن العوام

---

(١) ص٧٥٩ - ٧٦٠ برقم (٣٩٩٨) كتاب المغازي، باب.

(٢) الفلة: الثملة في السيف، وجمعها: فلول. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٧٢).

(٣) أي قتال الجيوش ومحاربتها.

(٤) ص٧٥٥ برقم (٣٩٧٣) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

(٥) فتح الباري (٧/ ٣٠٠).

محلى بفضة[(١)].

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدّ فنشدّ معك؟ فقال: إني إن شددتُ كذبتم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلًا، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذٍ، وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلًا[(٢)].

هـ- شجاعة سعد بن أبي وقاصٍ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

روى البزار في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود قال: كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل[(٣)].

وساق الواقدي بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم اكفني نوفل ابن خويلد**»، وأقبل نوفل يومئذٍ وهو مرعوب، قد رأى قتل أصحابه، وكان في أول ما التقوا هم والمسلمون، يصيح بصوت له زجل، رافعًا صوته: يا معشر قُريش، إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة! فلما رأى قريشًا قد انكسرت جعل يصيح بالأنصار: ما حاجتكم إلى دمائنا؟ أما ترون ما تقتلون؟ أما لكم في اللبن من حاجة؟ فأسره جبار بن صخر، فهو يسوقه أمامه، فجعل نوفل يقول لجبار - ورأى عليًا مقبلًا نحوه - قال: يا أخا الأنصار، من هذا؟ واللات والعزى، إني لأرى رجلًا، إنه ليريدني! قال: هذا عليّ بن أبي طالب، قال: ما رأيت كاليوم رجلًا أسرع في قومه منه. فيصمد له عليٌّ رضي الله عنه، فيضربه،

(١) ص٧٥٥ برقم (٣٩٧٣) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

(٢) ص٧٥٥ برقم (٣٩٧٥)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل.

(٣) (٢/ ٣١٥) برقم (١٧٦٨) (١٧٦٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٢): رواه البزار بإسنادين أحدهما متصل، والآخر مرسل، ورجالهما ثقات.اهـ، قلت: وفي سنده الأعمش، وهو مدلس، وقد عنعن.

فنشب سيف عليّ في حجفته ساعة، ثم نزعه، فيضرب ساقيه، ودرعه مشمَّرة، فقطعهما، ثم أجهز عليه فقتله. فقال رسول الله ﷺ: «**من له علم بنوفل بن خويلد؟**» فقال عليّ: أنا قتلته. قال: فكبّر رسول الله ﷺ وقال: «**الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه**»[(١)].

وأقبل العاص بن سعيد يحث للقتال، فالتقى هو وعليّ، فقتله عليّ. فكان عمر بن الخطاب يقول لابنه سعيد بن العاص: إني لأراك مُعرضًا، تظن أني قتلت أباك؟ في أصل ابن أبي حيّة، والله ما قتلتُ أباك، ولا أعتذر من قتل مشرك، ولقد قتلت خالي بيدي، العاص بن هشام ابن المغيرة، فقال سعيد: لو قتلته لكان على الباطل، وأنت على الحق. قال: قريشٌ أعظم الناس أحلامًا، وأعظمها أمانة، لا يبغيهم أحدٌ الغوائل إلا كبّه الله لفيه[(٢)].

و- شجاعة حمزة رضي الله عنه:

روى ابن إسحاق بسنده أن أمية بن خلف سأل عبد الرحمن بن عوف فقال: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره يوم بدر، قلت: ذلك عم رسول الله ﷺ، ذلك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل[(٣)].

وروى البخاري في صحيحه من حديث وحشي قال: إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار[(٤)] يوم بدر.

وقال عليّ رضي الله عنه: إني يومئذ بعدما ارتفع النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجت في أثر رجل منهم، فإذا رجل من

---

(١) المغازي (١/ ٩١ - ٩٢)، وقد سبق تخريجه ص٦٤.

(٢) مغازي الواقدي (١/ ٩٢).

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٣)، وسنده حسن، وقد سبق تخريجه في قصة قتل أمية بن خلف ص٢٤٥، وأخرجه البزار (١/ ٣) برقم (٢٢٧).

(٤) ص٧٥٢ برقم (٤٠٧٢)، كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب.

المشركين على كثيب رمل، وسعد بن خيثمة، وهما يقتتلان، حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة، والمشرك مُقَنّع في الحديد، وكان فارسًا، فاقتحم عن فرسه، فعرفني وهو مُعلم ولا أعرفه، فناداني هلم ابن أبي طالب للبراز! قال: فعطفت عليه فانحط إليّ مقبلًا، وكنت رجلًا قصيرًا، فانحططتُ راجعًا لكي ينزل إليّ، فكرهت أن يعلوني بالسيف، فقال: يا ابن أبي طالب، فررت؟ فقلت: قريبًا مَفرٌّ ابن الشتراء! قال: فلما استقرت قدماي وثبت أقبل، فلما دنا مني ضربني، فاتقيت بالدرقة[1]، فوقع سيفه فلحج - يعني لزم - فأضربه على عاتقه وهو دارع، فارتعش، ولقد فض[2] سيفي درعه، فظننت أن سيفي سيقتله، فإذا بريق سيف من ورائي، فطأطأتُ رأسي، ويقع السيف فأطن قِحف[3] رأسه بالبيضة، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب! فالتفت من ورائي، فإذا حمزة بن عبد المطلب[4][5].

ز- استشهاد حارثة بن سراقة:

روى البخاري في صحيحه من حديث حميد قال: سمعت أنسًا يقول: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «**ويحك.. أو هبلت؟! أو جنّةٌ واحدةٌ هي؟! إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**»[6].

ح- عوف بن الحارث وسؤاله: ما يضحك الرب من عبده؟

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، أن عوف بن مالك،

---

(١) الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب، المعجم الوسيط (١/ ٢٨١).

(٢) الفض: الكسر بالتفرقة، مختار الصحاح ص٢١٢.

(٣) قحف الرأس: وهو الذي فوق الدماغ، وقيل هو ما انفلق من جمجمته وانفصل، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧)، والبيضة هي الخوذة التي توضع لحماية الرأس من الضربات.

(٤) فإذا هو حمزة عمي، والمقتول طعيمة بن عدي. (٥) مغازي الواقدي (١/ ٩٢ - ٩٣).

(٦) ص٧٥٦ برقم (٣٩٨٢)، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا.

وهو الحارث بن عفراء قال: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ قال: غمسه يده في العدو حاسرًا. فنزع درعًا كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل[1].

هزيمة المشركين ومطاردتهم:

قال حكيم بن حزام: انهزمنا يوم بدر، فجعلت أسعى وأقول: قاتل الله ابن الحنظلية! يزعم أن النهار قد ذهب، والله إن النهار لكما هو! قال حكيم: وما ذاك بي إلا حُبًا أن يأتي الليل فيقصر عنا طلب القوم. فيُدرك حكيمًا عُبيد الله وعبد الرحمن ابنا العوام على جمل لهما، فقال عبد الرحمن لأخيه: انزل فاحمل أبا خالد. وكان عبيد الله رجلًا أعرج لا رُجلة به، فقال عبيد الله: إنه لا رجلة بي كما ترى. قال عبد الرحمن: والله إنّ منه بدّ، ألا نحمل رجلًا إن متنا كفانا ما خلفنا من عيالنا، وإن عشنا حمل كَلَّنا!؟ فنزل عبد الرحمن وأخوه وهو أعرج، فحملاه، فكانوا يتعاقبون الجمل، فلما دنا من مكة فكان بمر الظهران، قال: والله لقد رأيت ههنا أمرًا ما كان يخرج على مثله أحد له رأي، ولكنّه شؤم ابن الحنظلية! إنّ جزورًا نُحرت ههنا فلم يبق خباء إلا أصابه من دمها، فقالا: قد رأينا ذلك، ولكن رأيناك وقومنا مضيتم فمضينا معكم، فلم يكن لنا أمر معكم.

وقال مخلد بن خفاف عن أبيه: وكانت الدروع في قريش كثيرة، فلما انهزموا جعلوا يلقونها، وجعل المسلمون يتبعونهم ويلقطون ما طرحوا، ولقد رأيتني يومئذ ألتقط ثلاثة أدرع جئت بها أهلي، كانت عندنا بعد، فزعم لي رجل من قريش - ورأى درعًا منها عندنا فعرفها - فقال: هذه درع الحارث بن هشام.

وقال أبو عمرو بن أمية: أخبرني من انكشف يومئذٍ منهزمًا، وإنه ليقول في

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢١٨)، والطبري في تاريخه (٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩)، وصرح ابن إسحاق بالتحديث، لكن الحديث مرسل.

نفسه: ما رأيت مثل هذا الأمر، فرّ منه إلا النساء!

وكان قباث بن أشيم الكناني يقول: شهدتُ مع المشركين بدرًا، وإني لأنظر إلى قلة أصحاب محمد في عيني، وكثرة ما معنا من الخيل والرجال، فانهزمت فيمن انهزم، فلقد رأيتني وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه، وإني لأقول في نفسي: ما رأيت مثل هذا الأمر، فرّ منه إلا النساء! وصاحبني رجل، فبينا هو يسير معي إذ لحقنا من خلفنا، فقلت لصاحبي: أبك نهوض؟ قال: لا والله، ما هو بي. قال: وعقِر، وترفعت[1]، فلقد صبّحتُ غيْقة[2] - عن يسار السقيا بينها وبين الفُرع[3] ليلة، والمدينة ثمانية بُرُد - قبل الشمس، كنت هاديًا بالطريق ولم أسلك المحاجّ، وخفت من الطلب فتنكبتُ عنها، فلقيني رجلٌ من قومي بغيقة فقال: ما وراءك؟ قلت: لا شيء! قُتلنا وأُسرنا وانهزمنا، فهل عندك من حُملان؟ فقال: فحملني على بعير، وزوّدني زادًا حتى لقيتُ الطريق بالجُحفة، ثم مضيتُ حتى دخلت مكة، وإني لأنظر إلى الحيسمان ابن حابس الخزاعي بالغميم[4]، فعرفت أنه يقدم ينعى قريشًا بمكة، فلو أردتُ أن أسبقه لسبقته، فتنكبتُ عنه حتى سبقني ببعض النهار، فقدمت وقد انتهى إلى مكة خبرُ قتلاهم، وهم يلعنون الخزاعي، ويقولون: ما جاءنا بخير![5].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس، فهزم الله العدو، فانطلقت

---

(١) ترفعت: من رفع البعير في السير، أي بالغ، الصحاح، ص١٢٢١.

(٢) غيقة: بالفتح ثم السكون ثم قاف وهاء، موضع بساحل البحر قرب الجار، يصب فيها وادي ينبع ورضوى قاله عزام، وفاء الوفا (٤/ ١٢٧٩).

(٣) الفرع: بضم أوله وسكون ثانيه ثم عين مهملة، قال المجد: الفرع عن يسار السقيا على ثمانية برد من المدينة، وبها منبر، ونخل، ومياه كثيرة، وهي قرية غناء كبيرة، وأجل عيونها عينان غزيرتان إحداهما الربض، والأخرى النجف، يسقيان عشرين ألف نخلة، وهي كالكوزة فيها عدة قرى، وفاء الوفا (٤/ ١٢٨٢).

(٤) الغميم: بالفتح موضع بين رابغ والجحفة، وفاء الوفا (٤/ ١٢٧٩).

(٥) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٩٧).

طائفة في آثارهم يطاردون ويقتلون، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه.. الحديث[1].

جمع الغنائم:

لقد انتهت المعركة بنصر حاسم للمسلمين، فقد قتلوا سبعين من قادة قريش، وساداتهم، وأسروا سبعين، وحصلت في هذه المعركة المعجزات، والكرامات العظيمة التي أيد الله بها المؤمنين، وجاء دور الغنائم، فلقد خلفت قريش الكثير منها، وكانت النفوس متطلعة إليها، فمن هذه الغنائم أموال المهاجرين التي تركوها في مكة، وانتزعها المشركون منهم، وهذه الغنيمة التي حصلت للمسلمين هي فضل من الله يعطيه لأوليائه، إذ مكنهم من رقاب أعدائهم قتلًا وأسرًا، ومن أموالهم غنيمة طيبة للمؤمنين.

ولئن حدث خلاف بين الصحابة ﷺ، فإن هذا من طبيعة البشر، ولا يقدح فيهم، خاصة إذا علمنا أنه لم ينزل شيء في ذلك الوقت، بل إن الغنائم لم تحل لأحد من الأمم إلا أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩].

روى الطيالسي في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم، فأصابوها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم، وكان النبي ﷺ وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها، ونزلت نار فأكلتها**»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ [الأنفال: ٦٨] إلى آخر الآيتين[2].

لكن الصحابة بمجرد نزول الوحي بإرجاع ذلك إلى الله ورسوله سلموا لأمر الله، وانقادوا للحق، وأطاعوا الله ورسوله.

قال الشيخ الغزالي: «وبرغم ما سجله التاريخ من تجمل ومواساة بين الأنصار والمهاجرين، فإن متاعب العيلة، ومشكلات الفقر تفشت خلال

---

(١) سبق تخريجه ص٨٣.

(٢) سبق تخريجه ص٤٧.

المجتمع الجديد، إن سترها التعفف حينًا أبرزتها الحاجة حينًا آخر، والأزمات التي تصاحب تكوين دولة من العدم وسط أمم تكيدها، وتتربص بها الدوائر، يجب أن تتوقع، وأن توطن النفوس على احتمالها، وألا تكون حدة الشعور بها سببًا في ضعف السيرة، وعجز الهمة. وقد آخذ الله المسلمين - قبل معركة بدر وبعدها - بأمور بدرت منهم يحب لهم أن يتنزهوا عنها مهما بلغ من شدة الدوافع والمبررات لارتكابها، فهم يوم خرجوا من يثرب لملاقاة مشركي مكة تعلقت أمانيهم بإحراز العير، وما تحمل من ذخائر ونفائس.

حقًا إنهم أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، وضحوا في سبيل الله بأنفسهم وأولادهم، فليمضوا في طريق الفداء إلى المرحلة الأخيرة، ومهما عضهم الفقر بنابه، فليكن التنكيل بالكافرين أرجح في ميزانهم، من الاستيلاء على الغنيمة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧].

ومن هذا القبيل تسابقهم بعد النصر إلى حيازة الغنائم، ومحاولة كل فريق الاستئثار بها»[(١)].

المسلمون يكونون ثلاث جبهات:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت، قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يطاردون ويقتلون، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه. وأحدقت طائفة برسول الله لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها، وليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحق بها منا، نحن نجينا منها العدو وهزمناه، وقال الذين أحدقوا برسول الله:

(١) فقه السيرة ص٢٣٣ - ٢٣٤.

خفنا أن يصيب العدو منه غرة، فاشتغلنا به، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]. فقسمها رسول الله بين المسلمين[(١)].

ولما تصافّ المسلمون والمشركون قال رسول الله ﷺ: «**من قتل قتيلًا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا**»، فلما انهزموا كان الناس ثلاث فرق، فرقة قامت عند خيمة النبي ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه معه في الخيمة، وفرقة أغارت على النهب، وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا، فتكلم سعد بن معاذ، وكان ممن أقام على خيمة النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الأجر، ولا جبنٌ عن العدو، ولكن خفنا أن يعرى موضعك، فتميل عليك خيل من خيل المشركين، ورجالٌ من رجالهم، وقد أقام عند خيمتك وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ولم يشذ أحد منهم، والناس يا رسول الله كثير، ومتى تُعط هؤلاء لا يبقى لأصحابك، شيء، والأسرى والقتلى كثير، والغنيمة قليلة، فاختلفوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الأنفال: ١]. فرجع الناس وليس لهم من الغنيمة شيء، ثم أنزل الله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]. فقسمه رسول الله ﷺ بينهم[(٢)].

يدخل الليل وتنتهي المعركة:

وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس، فأقام رسول الله ﷺ ببدر، وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم، وحملها، وأمر رسول الله ﷺ نفرًا من أصحابه أن يعينوه، فصلى العصر ببدر، ثم راح فمر بالأُثَيل - الأُثَيل واد طوله ثلاثة أميال، وبينه وبين بدر ميلان، فكأنه بات على أربعة أميال من بدر - قبل غروب الشمس، فنزل به، وبات به وبأصحابه جراح، وليست بالكثيرة، وقال لأصحابه: «**من رجلٌ الليلة يحفظنا؟**» فأسكت القوم، فقام رجلٌ فقال: «من

---

(١) سبق تخريجه ص٨٣.

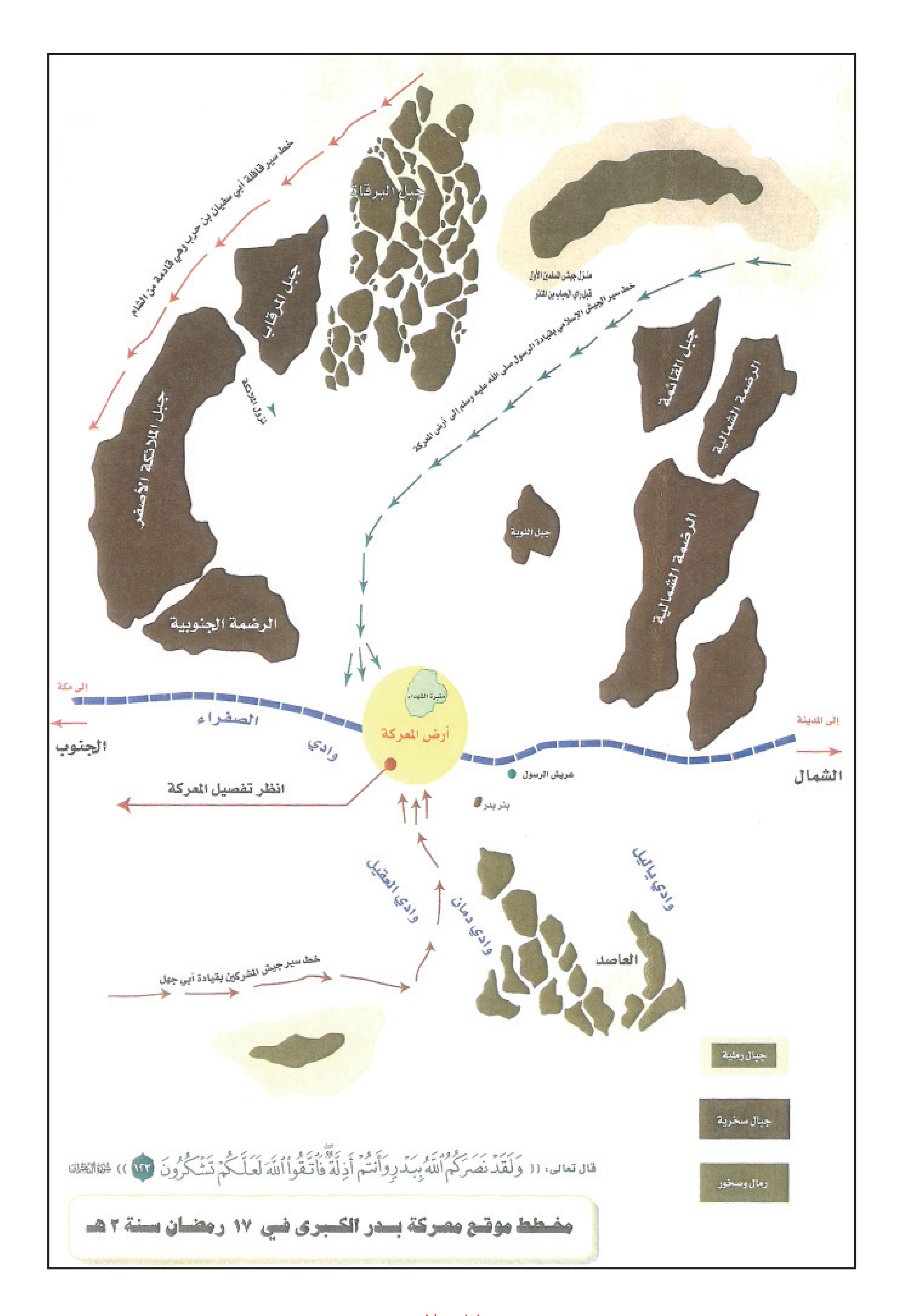
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٩٨)، ويشهد له ما قبله.

أنت؟» قال: ذكوان ابن عبد قيس. قال: «اجلس»، ثم عاد النبي ﷺ، فقام رجلٌ فقال: «من أنت؟» فقال: ابن عبد قيس. قال النبي ﷺ: «اجلس»، ثم مكث ساعة، ثم قام رجلٌ فقال: «من أنت؟» فقال: أبو سبع. ثم مكث ساعة وقال: «قوموا ثلاثتكم»، فقام ذكوان بن عبد قيس وحده، فقال النبي ﷺ: «فأين صاحباك؟» قال: يا رسول الله، أنا الذي أجبتك الليلة. قال رسول الله ﷺ: «فحفظك الله!» فكان يحرس المسلمين تلك الليلة، حتى كان آخر الليل فارتحل. قال: ويقال: صلى رسول الله ﷺ العصر بالأُثيل[1]، فلما صلى ركعة تبسم، فلما سلم سئل عن تبسمه؟ فقال: «مرّ بي ميكائيل وعلى جناحه النقع، فتبسم إليّ وقال: إني كنتُ في طلب القوم».

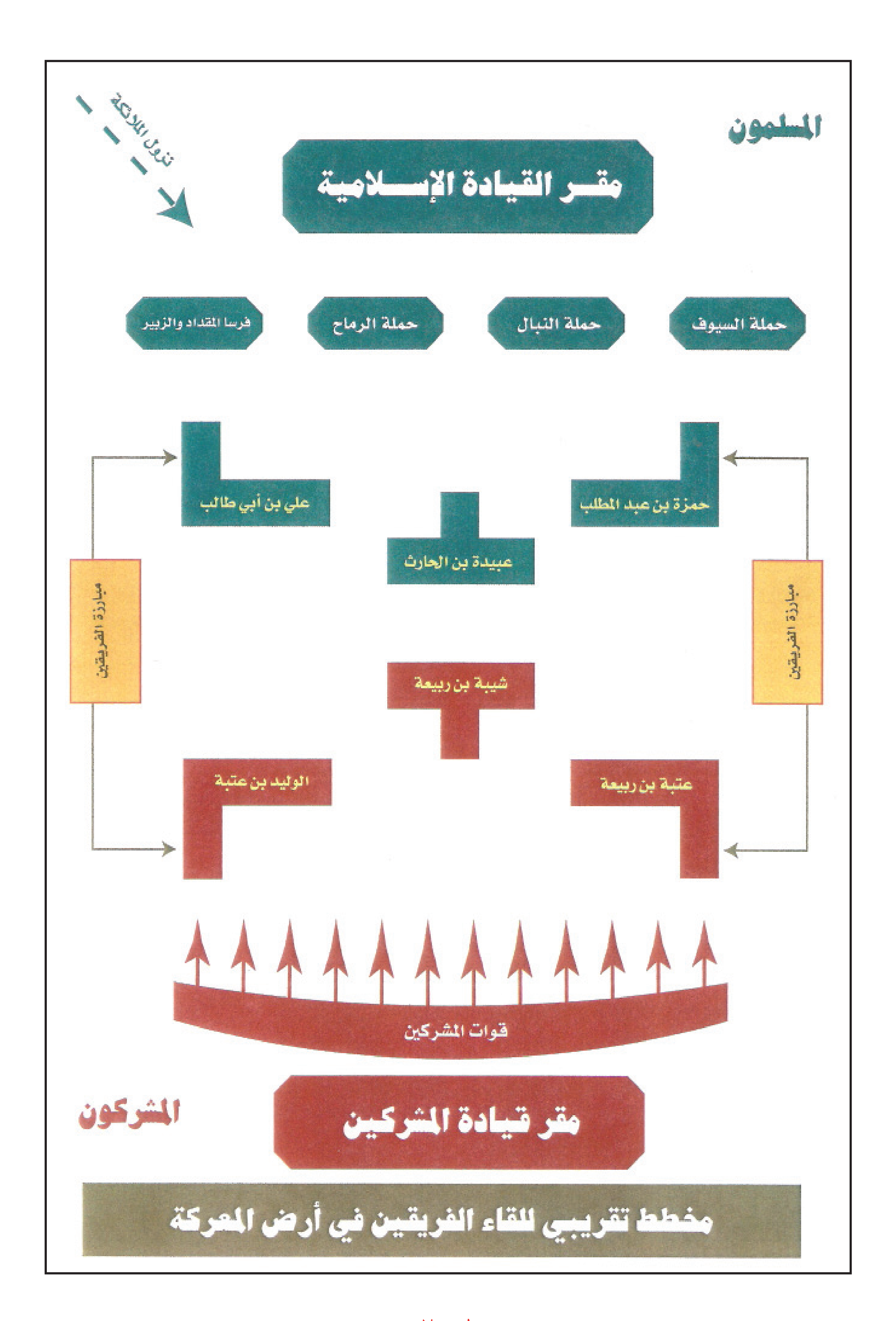
وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى، معقود الناصية، قد عصم ثنيته الغبار، فقال: يا محمد، إن ربي بعثني إليك، وأمرني ألا أفارقك حتى ترضى، فهل رضيت؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»[2].

(١) ويحتمل أن يكون مراد الواقدي أن ذلك في اليوم الثالث، فإن لم يكن، فرواية الصحيحين الآتية أنه إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام هي المقدمة.

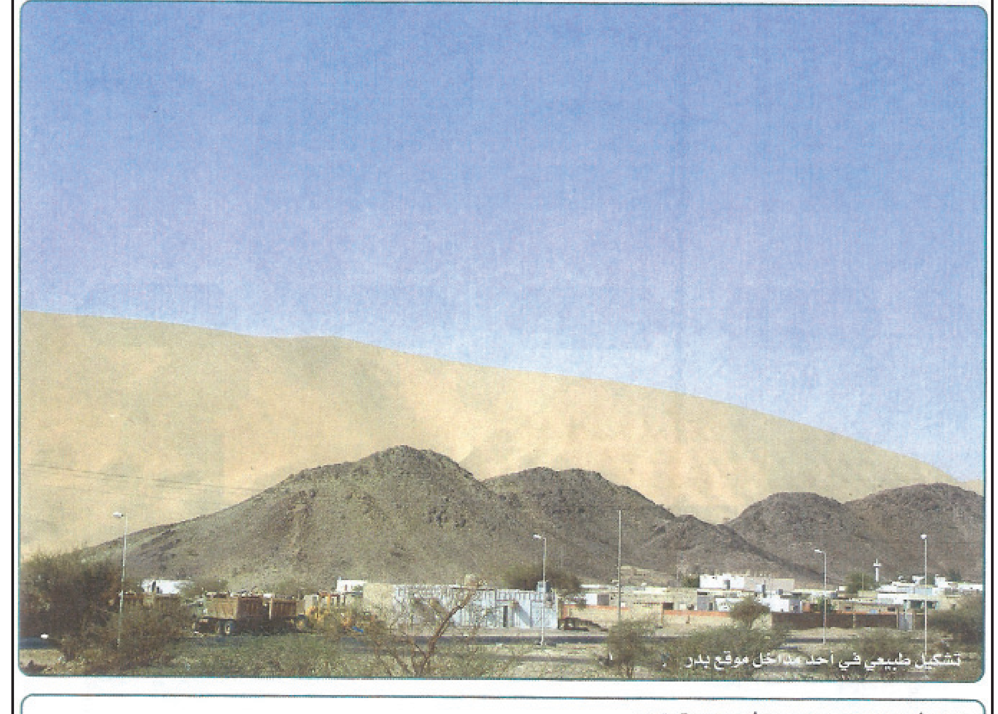
(٢) مغازي الواقدي (١/ ١١٢ - ١١٣).



مخطط موقع معركة بدر الكبرى في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ



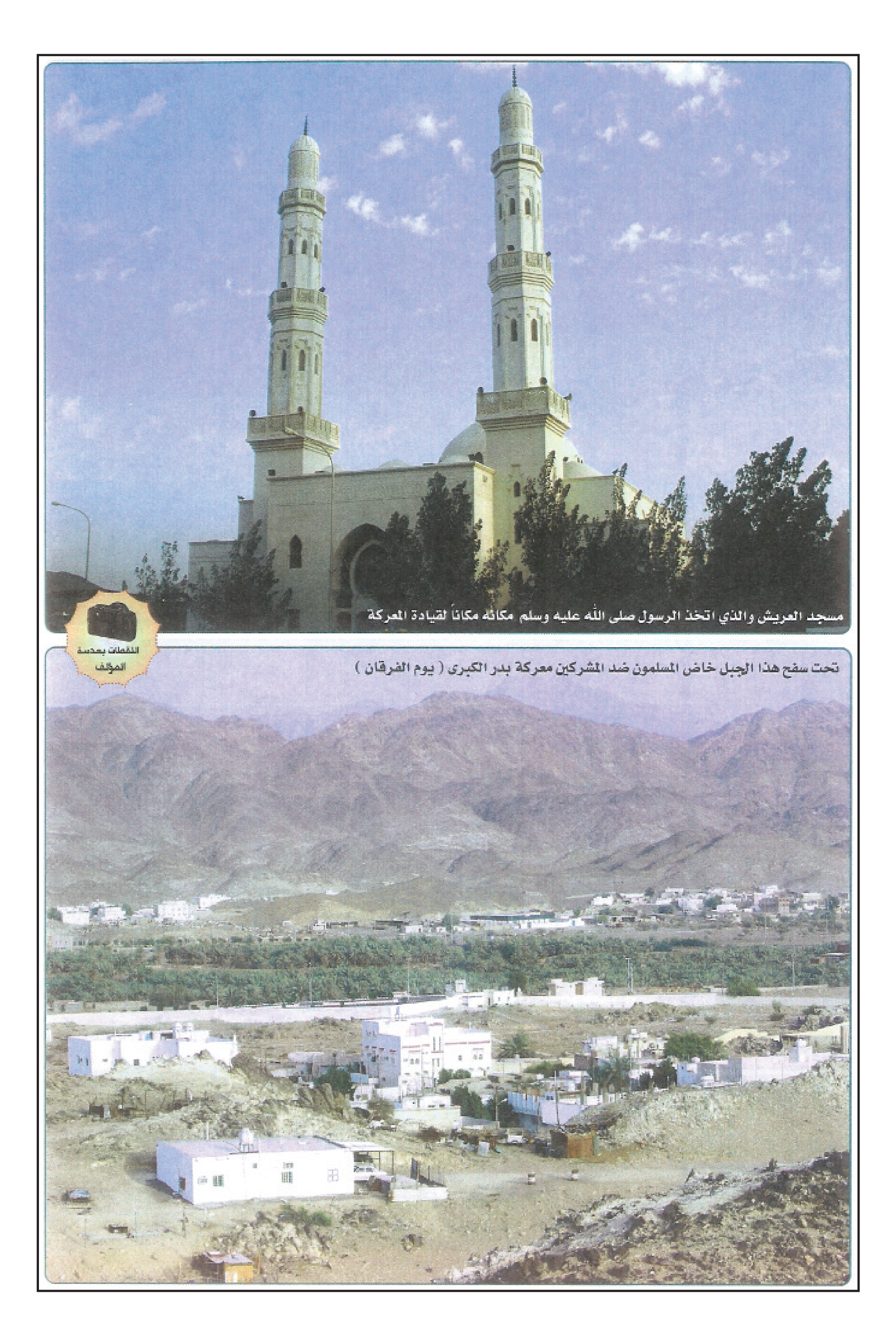
مخطط تقريبي للقاء الفريقين في أرض المعركة



تشكيل طبيعي في أحد مداخل موقع بدر

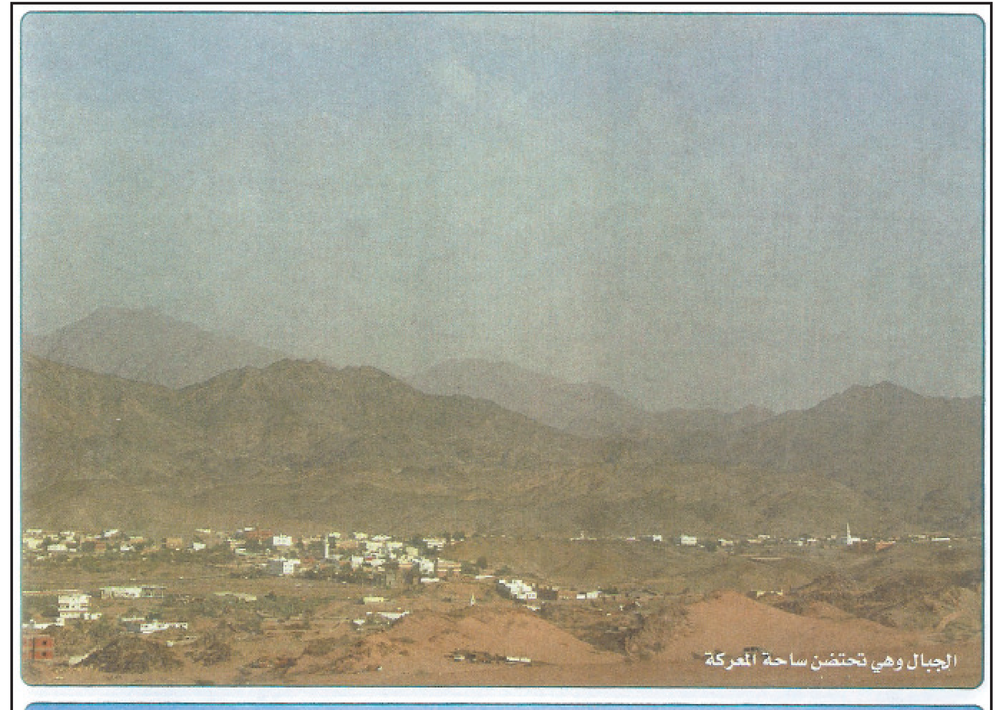
منازل أثرية بالقرب من مسرح أحداث موقعة بدر





مسجد العريش والذي اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم مكانه مكاناً لقيادة المعركة

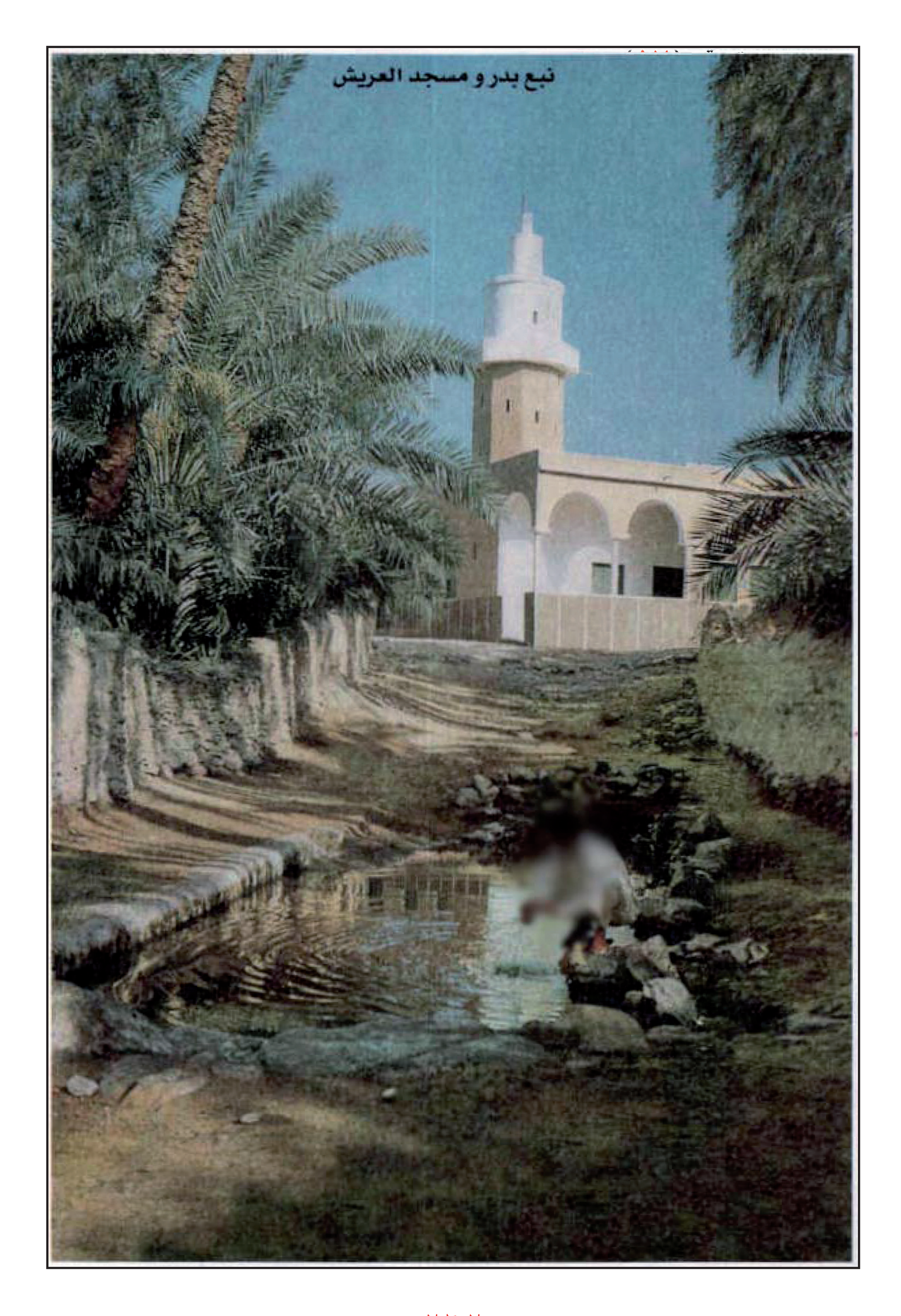
تحت سفح هذا الجبل خاض المسلمون ضد المشركين معركة بدر الكبرى (يوم الفرقان)

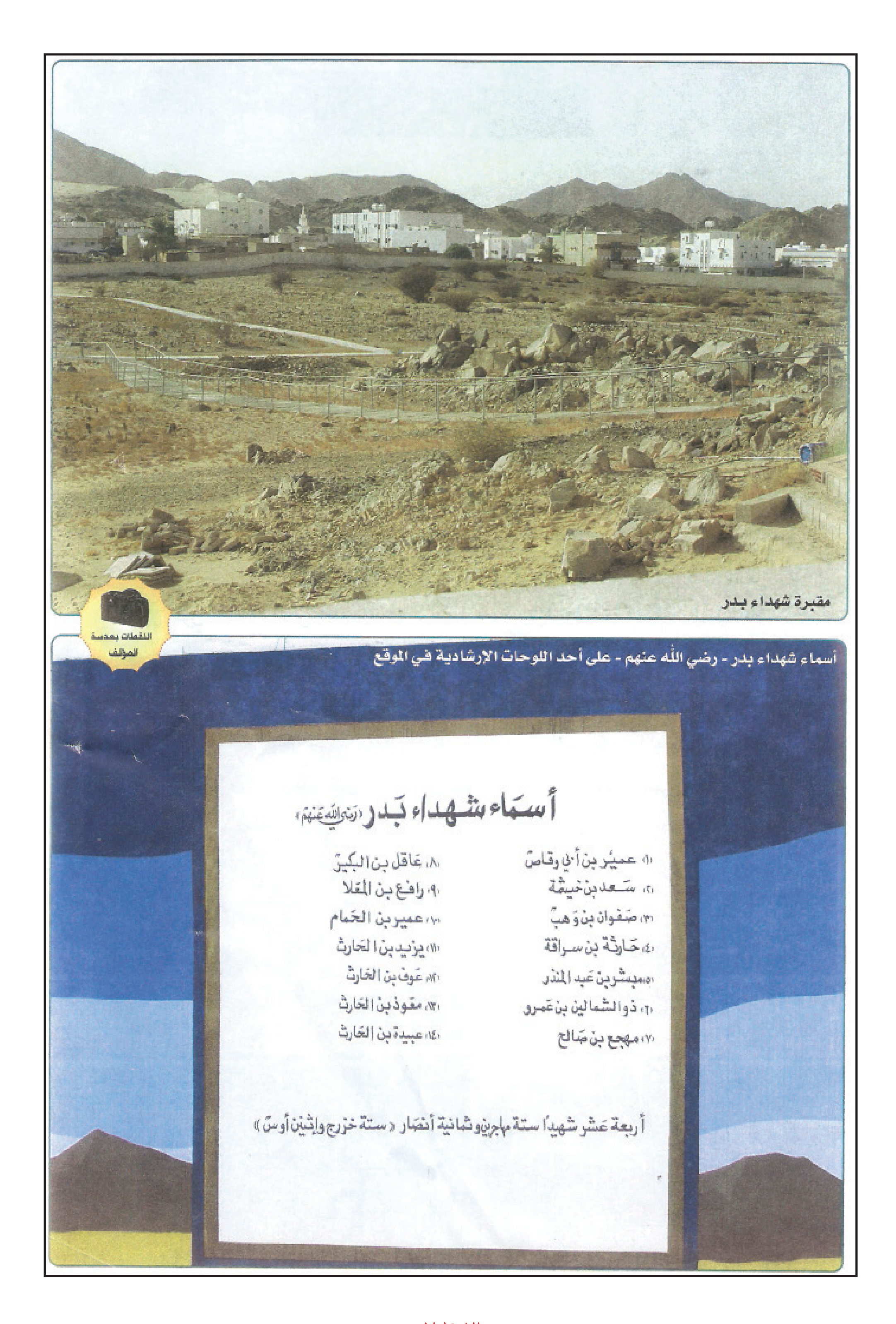


الجبال وهي تحتضن ساحة المعركة



مدينة بدر من خلال تصويرها من أحد العدوات


نبع بدر و مسجد العريش



مقبرة شهداء بدر

أسماء شهداء بدر - رضي الله عنهم - على أحد اللوحات الارشادية في الموقع



المبحث الثالث

بعد المعركة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أول يوم بعد المعركة.

المطلب الثاني: الغنائم وقسمتها.

المطلب الثالث: الأسارى وأحكامهم.

المطلب الرابع: قتلى المشركين.

المطلب الخامس: الرجوع إلى المدينة.



المطلب الأول

أول يوم بعد المعركة

انقضى يوم الجمعة، وبانقضائه انتهت معركة بدر عن نصر عظيم للإسلام وأهله، وهزيمة منكرة على الشرك وأهله، على ما سبق تفصيله في المبحث السابق، وسأتناول في هذا المبحث ماكان من الأمور التي وقعت في بدر، أو في طريقه ﷺ إلى المدينة، والآثار المترتبة على هذا النصر، فإلى التفاصيل:

الإقامة بالعرصة ثلاثة أيام، والسنة في ذلك:

لقد أقام النبي ﷺ في بدر بعد المعركة ثلاثًا كما هي سنته.

فروى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة[١] ثلاث ليالٍ[٢].

دفن الشهداء، والصلاة عليهم:

وبعد انتهاء المعركة أمر النبي ﷺ بدفن الشهداء في مصارعهم، وعددهم أربعة عشر شهيدًا، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار[٣].

روى ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال وهو يتحدث عن دفن النبي ﷺ: ثم دخل قبر النبي ﷺ العباس، وعلي، والفضل، وسوى

(١) العرصة: هي كل موضع واسع لا بناء فيه، قال ابن المهلب: حكمة الإقامة لإراحة الظهر، والنفس، وإظهار القوة عند الخصم، وغير ذلك من الحكم. النهاية في غريب الحديث (٣/٢٠٨)، والفتح (٦/١٨١).

(٢) ص٧٥٥، برقم (٣٩٧٦)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، وصحيح مسلم مختصرًا ص١١٥٢، برقم (٢٨٧٥)، كتاب الجنة، باب إثبات الحساب.

(٣) سيأتي ذكرهم بملحق خاص آخر الرسالة ص٣٥٩.

لحده رجل من الأنصار، وهو الذي سوى لحود الشهداء يوم بدر[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم، ولا ينقلوا إلى مكان آخر، فإن قومًا من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة - وهو يتحدث عن غزوة أحد - فنادى منادي رسول الله ﷺ بالأمر برد القتلى إلى مصارعهم[(٢)]، قال جابر: بينا أنا في النظارة إذ جاءت عمتي بأبي، وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة، لندفنهما في مقابرنا، وجاء رجل ينادي: ألا إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى، فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، قال: فرجعنا بهما، فدفناهما في القتلى حيث قتلا، فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر! والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا، فخرج طائفة منه، قال: فأتيته، فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء، قال: فواريته، فصارت سنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم[(٣)].

قال ابن تيمية في المنتقى بعد ذكره لحديث أنس: إن شهداء أحد لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم، ولم يصل عليهم، وقد رويت الصلاة عليهم بأسانيد لا تثبت[(٤)].اهـ.

قال الشوكاني: لم يرد في شيء من الأحاديث أنه ﷺ صلى على شهداء بدر، ولا أنه لم يصلِّ عليهم، وكذلك في شهداء سائر المشاهد النبوية، إلا ما ذكرناه في هذا البحث، ومنه ما روى النسائي في سننه عن شداد بن الهاد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به، واتبعه.. الحديث، وفيه، ولكني اتبعتك على أن أُرمى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت، فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**»، فلبثوا قليلًا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به

(١) (١٤/ ٦٠٠) برقم (٦٦٣٣)، وقال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد على شرط مسلم.
(٢) زاد المعاد (٣/ ٢١٤).
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٠٨ - ٣٩٨) وقال محققا زاد المعاد الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ عبد القادر الأرنؤوط (٣/ ٢١٥): إسناده صحيح.
(٤) (٤/ ٤٨).

النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم. قال: «**صدق الله فصدقه**»، ثم كفنه النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك، فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك**»[(١)]. وحمل البيهقي هذا على أنه لم يمت في المعركة[(٢)].

قال ابن القيم وهو يتحدث عن الصلاة على الشهداء: «والصواب في المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها، لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد، وهي الأليق بأصوله ومذهبه»[(٣)].

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: «لقد استشهد كثير من الصحابة في غزوة بدر وغيرها، ولم ينقل أن النبي ﷺ صلى عليهم، ولو فعل لنقلوه عنه، فدل ذلك أن الصلاة عليهم غير واجبة»[(٤)].

وقال في موضع آخر: «ولا شك أن الصلاة عليهم أفضل من الترك إذا تيسر لأنها دعاء وعبادة»[(٥)].

❊ ❊ ❊

(١) سنن النسائي ص٢٢١، برقم (١٩٥٣)، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي ص٣١٣ رقم (١٩٥٣).
(٢) انظر: نيل الأوطار (٤/ ٤٨ - ٥١).
(٣) تهذيب السنن (٤/ ٢٩٥).
(٤) أحكام الجنائز وبدعها ص١٠٨.
(٥) المصدر السابق ص١٠٨.



الغـنـائـم

لقد كان المستشرقون النصارى، وأعوانهم يتهمون المسلمين بأنهم لم يقاتلوا إلا للغنيمة والمال، وأنها كانت هي الهدف من وراء الحرب، ولذلك فسروا خروج الرسول ﷺ إلى بدر نوعًا من قطع الطريق، وإخافة السبيل، هكذا فهموا.

يقول أحدهم: وأخذ الغنائم نتيجة كل حرب، وهو مع التجارة وتربية المواشي مهنة العرب القومية.اهـ.

ويقول آخر:... وأخذت قريش تزحف من خلف العقنقل، فبدوا للمسلمين الذين أرادوا أن ينالوا نصرًا رخيصًا رابحًا، فخرجوا ليدهموا عيرًا قليلة الحرس، فأصبحوا الآن أمام عدو يفوقهم عددًا وعُدَدًا، فوجفت قلوب كثير منهم. فنفخ النبي ﷺ في نفوسهم العزم، وثبت أقدامهم مبلغًا وعد الله، وهذا إلى أن صار تفكير المسلمين في الرجوع أصبح بعد فوات الأوان.اهـ.

ثم يقرر ذلك ويقول: شعر القرشيون بأنهم غُلبوا، وأخذوا يفرون فكانت الهزيمة، فرموا تروسهم، وأسلحتهم، ودروعهم ليتمكنوا من الهرب بسرعة، وليحولوا بذلك دون مطاردة المسلمين لهم، وذلك لما لهذه العُدد من القيمة الكبيرة في بلاد العرب، ولما يهم الغالبين من أمر جمعها[(١)].اهـ.

إن هذه الشبهة التي أطلقها مستشرقون، ويطلقها تلامذتهم تدل على أنهم لم يفهموا أمورًا كثيرة منها:

---

(١) انظر: حياة محمد (ﷺ) لمؤلفه محمد حسنين هيكل ص٢١١ - ٢١٢، نقلاً عن رسالة مرويات غزوة بدر ص٥٩ - ٦٠.

طبيعة القتال في الإسلام، فقد ظنوها حربًا من تلك الحروب التي عرفوها في عالمهم المعاصر، الحروب التي أبادوا فيها شعوبًا لكي يحصلوا على خيرات بلادها، وليوسعوا نفوذهم على حسابها.

إن الجهاد في الإسلام يختلف اختلافًا كبيرًا عن ما عرفوه من الحروب الأخرى.

إن القتال في الإسلام ماجاء إلا لنشر العقيدة، وإزالة تلك الطواغيت التي تقف بين الناس، وبين هدى الله المنزل على رسول الله ﷺ، وذلك فوق أنهم مظلومون أُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠].

فإن خروج النبي ﷺ للقاء قافلة قريش كان الغرض منه أيضًا إنزال ضربة اقتصادية كبيرة بقريش، فلو وقعت تلك القافلة في أيدي المسلمين لكان فيها ضعف لقريش، وقوة للمسلمين.

والحرب الاقتصادية مبدأ من مبادئ الحرب العالمية اليوم.

وإذا كان المهاجمون أصحاب حق أخرجوا من ديارهم كما ذكرت الآية، فلماذا خرج الأنصار معهم؟

إن التاريخ لم يسجل أن الأنصار قد خرجوا يومًا ما في محاولة للقاء قافلة من القوافل التي تمر بهم على طول سنين عديدة، وكثيرة، فما الذي أخرجهم هذه المرة؟ فهل خرجوا للسلب والنهب كما يزعم المستشرقون؟ فإن كان كذلك فلماذا لم يحدث إلا في هذا الوقت؟ مع العلم أن أهل المدينة لم يكونوا أهل بادية، أو يعيشون على السلب، والنهب، وإنما كانوا أهل زراعة يحبون الاستقرار، ولا يمكن أن يخرجوا من ذلك الاستقرار إلا لتحقيق هدف أسمى وغاية نبيلة[١].

---

(١) انظر: حياة محمد ﷺ ص٢١٢. نقلاً عن رسالة مرويات غزوة بدر ص٦٢ - ٦٤.

إنه ليس المال، ولكنها الدعوة التي جاء بها رسول الله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

كميتها وأنواعها:

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء، نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية، يقال له «سير»[١] إلى سرحة[٢] به، فقسم هناك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، وجعل على النفل قبل ذلك عبد الله بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار[٣].

ولما جمعت الغنائم كان فيها إبل ومتاع وأنطاع وثياب، فقسمها الوالي فجعل يصيب الرجل البعير، ورثه معه[٤]، وآخر بعيران، وآخر أنطاع[٥].

وكانت السهمان على ثلاثمائة وسبعة عشر سهمًا، والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر، والخيل فرَسان لهما أربعة أسهم، وثمانية نفر لم يحضروا، فضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم. فكلهم مستحق في بدر، ثلاثة من المهاجرين لا اختلاف فيهم عندنا: عثمان بن عفان، خلفه رسول الله ﷺ على ابنته رقية، وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن

---

(١) سير: بفتح أوله، والمثناة التحتية كجبل، كثب بين المدينة وبدر، يقال إن قسمة غنائم بدر كانت به، قال المجد: وقال أبو بكر بن موسى: وقد يخالف في لفظه، وفاء الوفا (٤/ ١٢٤١).

(٢) سرحة: الشجرة العظيمة، وجمعها سرح، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٥٨).

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢٣٦).

(٤) الرثة: متاع البيت، النهاية (٢/ ١٩٥).

(٥) أنطاع: بساط من الجلد كثيرًا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل، يقال: عليّ بالسيف والنطع، وكسا بيت الله بالأنطاع، المعجم الوسيط (٢/ ٩٣٠).

نفيل، بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان العير، بلغا الحوراء - الحوراء وراء ذي المروة، بينها وبينها ليلتان على الساحل، وبين ذي المروة والمدينة ثمانية برد أو أكثر قليلًا -، ومن الأنصار أبو لبابة بن عبد المنذر، خلفه على المدينة، وعاصم بن عدي، خلفه على قباء[1]، وأهل العالية، والحارث بن حاطب، أمره بأمره في بني عمرو بن عوف، وخوات بن جبير، كسر بالروحاء، والحارث بن الصمة، كسر بالروحاء، فهؤلاء لا اختلاف فيهم عندنا، وقد روي أن سعد بن عبادة ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، وقال حين فرغ من القتال ببدر: «**لئن لم يكن شهدها سعد بن عبادة، لقد كان فيها راغبًا**»، وذلك أن سعد بن عبادة لما أخذ رسول الله ﷺ في الجهاد، كان يأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنهش في بعض تلك الأماكن، فمنعه ذلك من الخروج، فضرب له بسهمه وأجره. وضرب لسعد بن مالك الساعدي بسهمه وأجره، وكان تجهز إلى بدر، فمرض بالمدينة فمات خلافه، وأوصى إلى النبي ﷺ، وضرب لرجل من الأنصار، وضرب لرجل آخر. وهؤلاء الأربعة ليس بمجتمع عليهم كاجتماعهم على الثمانية[2].

وكانت الإبل التي أصابوا يومئذ مائة بعير، وخمسين بعيرًا، وكان معهم أدم كثير[3]، حملوه للتجارة، فغنمه المسلمون يومئذ، وكانت يومئذ فيما أصابوا قطيفة حمراء، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ** ﴾ [آل عمران: ١٦١]. في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ** ﴾ إلى آخر الآية[4].

وكانت الخيل فرسين: فرس للمقداد يقال لها سبحة، وفرس للزبير، ويقال

---

(١) قباء: قرية بعوالي المدينة، وفاء الوفا (٢/ ٣٥٧). قال السمهودي: تبعد قباء عن المسجد الحرام ميلان وخمسًا، سبع ميل على المعتمد من أن الميل ثلاثة آلاف ذراع (٤/ ٢٨٤).

(٢) انظر: مغازي الواقدي (١/ ١٠٠ - ١٠١).

(٣) الأدمُ بالضم ما يؤكل مع الخبز، أي شيء كان، النهاية في غريب الحديث (١/ ٣١)، وفي الحديث: «نِعْمَ الإدامُ الخل».

(٤) سبق تخريجه ص٨١.

لمرثد، فكان المقداد يقول: ضرب لي رسول الله ﷺ يومئذ بسهم، ولفرسي بسهم.

وقائل يقول: ضرب رسول الله ﷺ للفرس بسهمين، ولصاحبه بسهم، ولكن يشهد له ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم: سهمًا له، وسهمين لفرسه[(١)].

ورجع أبو بردة بن نيار بفرس قد غنمه يوم بدر، وكان لزمعة بن الأسود، صار في سهمه، وأصاب المسلمون من خيولهم عشرة أفراس، وأصابوا لهم سلاحًا وظهرًا[(٢)].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قد كان أهدى جمل أبي جهل الذي استلب يوم بدر، في رأسه بزة من فضة[(٣)]، عام الحديبية في هديه، وقال في موضع آخر: ليغيظ بذلك المشركين[(٤)].

وروى ابن ماجة في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: تنفل النبي ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر[(٥)].

وذكر الواقدي أن هذا السيف كان لمنبه بن الحجاج[(٦)]. قال ابن عباس: وهو الذي رآى فيه الرؤيا يوم أحد، فقال فيه، ورأيت أن سيفي ذا الفقار فل... الحديث[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري ص٥٥١ برقم (٢٨٦٣)، كتاب الجهاد والسير، باب سهام الفرس، وصحيح مسلم ص٧٣١ برقم (١٧٦٢)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد وكيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين.

(٢) انظر: مغازي الواقدي (١/ ١٠٢-١٠٣)، وفي سنده عبد الله بن مكنف، وهو مجهول، كما قال الحافظ في التقريب ص٣٢٥.

(٣) بزة من فضة: حلقة تجعل في لحم الأنف، وربما كانت من شعر، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢٢).

(٤) (٤/ ١٩٣) برقم (٢٣٦٢)، وقال محققوه: حسن لغيره. وقد صرح ابن إسحاق في هذا السند بالتحديث.

(٥) ص٣٠٦ برقم (٢٨٠٨) كتاب الجهاد، باب السلاح، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٣١) برقم (٢٢٦٦).

(٦) انظر: المغازي (١/ ١٠٣)، وقد قتل منبه بن الحجاج يوم بدر كافرًا.

(٧) سنن البيهقي (٧/ ٤١) برقم (١٣٠٦١).

قال سعيد بن المسيب: كانت درع رسول الله ﷺ ذات الفضول، أرسل بها سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ حين سار إلى بدر، وسيف له العضب فشهد بهما بدرًا حتى غنم سيفه ذا الفقار[1].

* * *

(١) مغازي الواقدي (١/ ١٠٣)، وهو مرسل.



المطلب الثالث

الأسارى

كان من نتائج معركة بدر الحاسمة سقوط عدد كبير من كفار قريش في قبضة المسلمين، يقدر عددهم بسبعين أسيرًا، وقد شاور النبي ﷺ أصحابه في الأسرى، فأشار عمر بن الخطاب، وسعد بن معاذ بقتلهم، وأشار أبو بكر، وغيره بأخذ الفداء منهم، فمال النبي ﷺ إلى رأي أبي بكر:

«أن الوقوع في الأسر لا يعني صدور عفو عام عن الجرائم التي اقترفها الأسرى أيام حريتهم، وهؤلاء الطغمة من كبراء مكة لهم ماض شنيع في إيذاء الله ورسوله، وقد أبطرتهم منازلهم فساقوا عامة أهل مكة إلى حرب ما كان لها من داع، فكيف يتركون بعد أن استمكنت الأيدي من خناقهم، أذلك لأن لهم ثروة يفتدون بها؟

ما كان يليق أن ينظر المؤمنون إلى هذه الأعراض التافهة متناسين ما فرط من أولئك الكفار في جنب الله، إنهم مجرمو حرب - بالاصطلاح الحديث - لا أسرى حرب، وقد ندد القرآن بخيانتهم لقومهم بعد كفرهم بنعمة الله عليهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩]، وهناك نصوص توصي برعاية الأسرى وإطعامهم، وتشرع القوانين الرحيمة في معاملتهم، وهذا ينطبق على جماهير الأسرى من الأتباع، والعامة، أما الذين تاجروا بالحروب لإشباع مطامعهم الخاصة، فيجب استئصال شأفتهم، وذلك هو الإثخان في الأرض. إن الحياة كما تتقدم بالرجال الأخيار، فإنها تتأخر بالعناصر الخبيثة، وإذا كان من حق الشجرة لكي تنمو أن تقلم، فمن حق الحياة لكي تصلح أن تنقى من السفهاء، والعتاة، والآثمين، ولن

يقوم عوض أبدًا عن هذا الحق، ولو كان القناطير المقنطرة.

وقد أسمع الله نبيه، وصحابته هذا الدرس، حتى إذا وعوه وتدبروه عفا عنهم، ثم أباح لهم من رحمته بهم الانتفاع بما أخذوه من فداء»[1]. قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨ - ٦٩].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس، وذكر رجلًا عن الحسن[2] قال: استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر، فقال: «**إن الله ﷻ قد أمكنكم منهم**» قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، قال: فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس**» قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق، فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء، قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم، وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨][3].

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قلت: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو

(١) فقه السيرة للغزالي ص٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) قال محققوه: في نسخة على هامش (س) قالا على اعتبار أن الحديث مروي عن أنس موصولاً، وعن الحسن مرسلًا.

(٣) (٢١/ ١٨٠ - ١٨١)، برقم (١٣٥٥٥)، وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب، وهو ضعيف، ولكن الحديث له شواهد.

بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وصناديدها فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله، وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ -. وأنزل الله ﷻ: قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]. فأحل الله الغنيمة لهم[(١)].

قال ابن إسحاق: فلما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشحًا السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرة العدو، ورأى رسول الله - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لم يصنع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟**» قال: أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان[(٢)] في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال[(٣)].

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم لعل الله يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك، فاضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة:

(١) ص٧٣٢ برقم (١٧٦٣)، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٢) الإثخان: كثرة القتل، شرح السيرة النبوية ص١٥٨.

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣٤)، والسيرة النبوية (٢/ ٢١٩)، وهو مرسل.

يا رسول الله انظر واديًا كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم نارًا، قال: فقال له العباس: قطعت رحمك. قال فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئًا. قال: فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. قال: فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، **ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، **وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، **وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال:** ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، **أنتم عالة فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء، أو ضربة عنق**»، قال عبد الله: فقلت يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام. قال: فسكت. قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال: إلا سهيل بن بيضاء. قال: فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٨][1].

وروى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن جبرائيل هبط عليه، فقال له: خيرهم** - يعني أصحابك - **في أسارى بدر: القتل أو الفداء، على أن يقتل منهم قابلًا مثلهم**»، قالوا: الفداء، ويقتل منا[2].

---

(١) (٦/ ١٣٨ - ١٤٢) برقم (٣٦٣٢)، وإسناده ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة هو ابن عبد الله ابن مسعود لم يسمع من أبيه.

(٢) ص٢٧٥ برقم (١٥٦٧)، كتاب السير، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء، قال أبوعيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب، من حديث الثوري، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في الإرواء (٥/ ٤٨ - ٤٩). قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٢٦): ورواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري، وهذا حديث غريب جدًا.اهـ.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب، فقال بعضهم: كان رأي أبي بكر لأنه وافق ما قدر الله في نفس الأمر، ولما استقر الأمر عليه، ولدخول كثير منهم في الإسلام، إما بنفسه، وإما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة؛ ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب، كما ثبت ذلك عن الله في حق من كُتب له الرحمة. وأما العتاب على الأخذ ففيه إشارة إلى ذم من آثر شيئًا من الدنيا على الآخرة ولو قلّ.اهـ[1].

روى الحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قُدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب.

قالت سودة: فوالله إني لعندهم إذ أتينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أُتي بهم، فرجعت إلى بيتي، ورسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو يزيد سهيل ابن عمرو في ناحية الحجرة، ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كرامًا» فما انتهيت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: «**يا سودة، على الله وعلى رسوله؟**»، فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت[2].

قال الخرقي: «وإذا سبى الإمام فهو مخير إن رأى قتلهم، وإن رأى منّ عليهم وأطلقهم بلا عوض، وإن رأى أطلقهم على مال يأخذه منهم، وإن رأى فادى بهم، وإن رأى استرقهم، أي ذلك رأى فيه نكاية للعدو، وحظًا للمسلمين، فعل»[3].

قال ابن قدامة: «وجملته أن من أُسر من أهل الحرب على ثلاثة أضرب: **أحدها**: النساء والصبيان، فلا يجوز قتلهم، ويصيرون رقيقًا للمسلمين بنفس

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٢٥).

(٢) (٣/ ٢٤) برقم (٤٣٠٥) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، قلت: إسناده حسن.

(٣) المغني لابن قدامة (١٣/ ٤٤).

السبي؛ لأن النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عبد الله: «نهى عن قتل النساء والولدان»[(١)]. وكان عليه الصلاة والسلام يسترقّهم إذا سباهم. **الثاني**: الرجال من أهل الكتاب، والمجوس، الذين يقرون بالجزية، فيتخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء: القتل، والمن بغير عوض، والمفاداة بهم، واسترقاقهم. **الثالث**: الرجال من عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقر بالجزية، فيتخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء: القتل، أو المن، والمفاداة، ولا يجوز استرقاقهم، وعن أحمد جواز استرقاقهم، وهو مذهب الشافعي، وبما ذكرنا في أهل الكتاب، إلى أن قال: ولنا على جواز المن والفداء قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]. وأن النبي ﷺ منّ على ثمامة بن أثال[(٢)]، وأبي عزة الشاعر[(٣)]، وأبي العاص بن الربيع[(٤)]. وقال في أسارى بدر: «**لو كان مطعم بن عدي حيًا، ثم سألني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له**»[(٥)]، وفادى أسارى بدر ثلاثة وسبعين رجلًا، كل رجل منهم بأربعمائة دينار[(٦)].

فأما القتل فلأن النبي ﷺ قتل رجال بني قريظة، وهم بين الستمائة والسبعمائة[(٧)]، وقتل يوم بدر النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط صبرًا[(٨)]، وقتل أبا عزة يوم أحد[(٩)]، وهذه قصص عمت، واشتهرت، وفعلها النبي ﷺ مرات، وهو دليل على جوازها، ولأن كل خصلة من هذه الخصال قد تكون أصلح في بعض الأسرى، فإن منهم من له قوة، ونكاية في المسلمين، وبقاؤه ضرر عليهم، فقتله أصلح، ومنهم الضعيف الذي له مال كثير، ففداؤه أصلح، ومنهم حسن الرأي في

---

(١) ص٥٧٧ برقم (٣٠١٤)، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، وصحيح مسلم ص٧٢٣ برقم (١٧٤٤)، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

(٢) صحيح البخاري ص١٠٩، برقم (٤٦١)، كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، وصحيح مسلم ص٧٣٢، برقم (١٧٦٤)، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٥٣).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٥٢).

(٥) صحيح البخاري ص٦٠١، برقم (٣١٣٩)، كتاب فرض الخمس، باب ما منّ النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس.

(٦) سنن أبي داود ص٣٠٤، برقم (٢٦٩١)، كتاب الجهاد، باب وسيأتي الكلام عليه ص٢٨٣.

(٧) مغازي الواقدي (٢/ ٥١٨).

(٨) سيأتي تخريجه ص٢٩٧.

(٩) مغازي الواقدي (١/ ١١١).

المسلمين، يرجى إسلامه بالمن عليه، أو معونته للمسلمين بتخليص أسراهم، والدفع عنهم، فالمن عليه أصلح، ومنهم من ينتفع بخدمته، ويؤمن شره، فاسترقاقه أصلح كالنساء، والصبيان، والإمام أعلم بالمصلحة فينبغي أن يفوض ذلك إليه»[1].

عددهم:

روى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب ﭬ قال: جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ، وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرًا، وسبعين قتيلًا[2]، ورواه مسلم أيضًا[3].

معاملتهم:

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨ - ٩]. قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه، وقال: «**استوصوا بالأسارى خيرًا**». وحكى أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير - وهو بين رهط من آسريه الأنصار -: أن آسريه كانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم، خصوه بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بالأسرى، حتى ما تقع في يد أحدهم خبزة إلا ناوله إياها، فيستحي، فيردها على أحدهم، فيردها عليه ما يمسها[4].

وكانوا يسمعون القرآن من النبي ﷺ، فيؤثر ذلك فيهم.

روى البخاري في صحيحه من حديث جبير بن المطعم - وكان في أسارى بدر - قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور[5].

---

(١) انظر: المغني لابن قدامه (١٣/ ٤٥ - ٤٧).

(٢) ص٧٥٧ برقم (٣٩٨٦)، كتاب المغازي، باب.

(٣) ص٧٣٢ برقم (١٧٦٣)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٤) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع، سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨ - ٢٣٩)، ورواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٩٣) برقم (٩٧٧)، وقال محققه الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي: وذكر الحافظ في الإصابة واسطة مجهولة بين نبيه بن وهب، وأبي عزيز من طريق ابن إسحاق فالحديث ضعيف.

(٥) ص٥٨٤ برقم (٣٠٥٠) كتاب الجهاد والسير، باب فداء المشركين.

وكما أحسن الصحابة لأسراهم بالطعام، فقد أحسنوا باللباس.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر ﵁ قال: لما كان يوم بدر أُتي بأسارى، وأتي بالعباس، ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصًا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه، قال ابن عيينة: كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه[(١)].

وأسلم كثير من هؤلاء الأسرى على فترات مختلفة قبل فتح مكة، وبعدها، منهم العباس، عقيل بن أبي طالب، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، خالد بن هشام، عبد الله بن السائب، المطلب بن حنطب بن الحارث، أبو وداعة بن ضبيرة بن سعيد، الحجاج بن عدي بن قيس، عبد الله بن أبي بن خلف، وهب بن عمير، سهيل بن عمرو، عبد بن زمعة، قيس بن السائب، نسطاس مولى أمية بن خلف.

فداؤهم:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقد تباين فداء الأسرى، فمن كان ذا مال فداؤه أربعة آلاف درهم، وممن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة،، وأخذوا من العباس مائة أوقية، ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، دفعها عنه العباس، وأخذوا من آخرين أربعين أوقية فقط.

وأطلق رسول الله ﷺ سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلقوا سراح سعد بن النعمان بن أكال، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر، ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة جعل فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، كما سيأتي قريبًا.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس ﵄: أن النبي ﷺ جعل فداء

---

(١) ص٥٧٦ برقم (٣٠٠٨)، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، ومسلم ص١١١٧ برقم (٢٧٧٣)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة[١].

قال ابن إسحاق: وكان في الأسرى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي، فقال رسول الله ﷺ: «**إن له بمكة ابنًا كيسًا تاجرًا ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه**» فلما قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يأرب[٢] عليكم محمد وأصحابه. قال المطلب بن أبي وداعة: وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى: صدقتم، لا تعجلوا، وانسل من الليل، وقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به[٣].

قال ابن كثير: وكان هذا أول أسير فدي، ثم بعثت قريش في فداء أسراهم، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف»[٥].

قال ابن هشام: «وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر، بعد النضر بن

---

(١) ص٣٠٤ برقم (٢٦٩١) في كتاب الجهاد، باب فداء الأسير بالمال، ورجاله ثقات إلا أبا عنبس، وهو مقبول كما في التقريب ص٦٦٢. قال الألباني: صحيح دون الأربعمائة، كما في سنن أبي داود (٢/ ٥١٢).

(٢) لا يأرب: أي لا يشتد، انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٢).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٢)، ورواه الإمام أحمد في مسنده من طريق ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلامًا للعباس بن عبد المطلب، فذكره وحسين بن عبد الله متروك، ثم هو منقطع، فإن عكرمة وهو مولى ابن عباس لم يدرك أبا رافع، وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٤٥) من طريق جرير بن حازم عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن الزبير، وذكر قصة أبي وداعة بن ضبيرة السهمي، وهذا السند رجاله ثقات.

(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٠١).

(٥) معجم الطبراني الكبير (١١/ ٤٠٦) برقم (١٢١٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٩): رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، قلت: في سنده عثمان الجزري ضعفه الحافظ ابن حجر في التقريب ص٣٨٦.

الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم، ففدته بها»[(١)].

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء يومًا غلام يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي. قال: الخبيث يطلب بَذحْل[(٢)] (بفتح الذال، وسكون الحاء) بدر والله لا تأتيه أبدًا[(٣)].

ومما يدل على أنه كان بالإمكان إطلاق سراحهم جميعًا بدون فداء قول الرسول ﷺ: «**لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له**»[(٤)]، وذلك لما قام به من حماية للرسول ﷺ عندما عاد من هجرته إلى الطائف، ودوره في تمزيقه صحيفة المقاطعة.

أسماء الأسارى الذين مَنَّ عليهم رسول الله ﷺ:

وممن سُمي من الأسارى، ممن منّ عليه من غير فداء، من بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، منّ

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٣٩)، وقد سبق الكلام عليه ص٢٨٣.

(٢) الذحل: قال في النهاية (٢/ ١٥٥): الوتر، وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح، ونحو ذلك، وهو العداوة أيضًا كما في حديث عامر بن الملوح: ما كان رجلًا ليقتل هذا الغلام بذحله إلا قد استوفى.اهـ.

(٣) (٤/ ٩٢) وقال محققوه: حسن، علي بن عاصم، شيخ الإمام أحمد، وإن كان فيه ضعف - قد توبع - ومن فوقه ثقات من رجال الصحيح - داود هو ابن أبي هند - وأخرجه البيهقي (٦/ ٣٢٢) من طريق علي بن عاصم، وخالد بن عبد الله كلاهما عن داود بن أبي هند بهذا الإسناد. وروى ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٢) من طرق عن عامر الشعبي قال: كان فداء أسارى بدر أربعة آلاف إلى مادون ذلك فمن لم يكن عنده شيء، أُمِر أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة، وهذا مرسل.اهـ.

(٤) صحيح البخاري ص٧٦٣ برقم (٤٠٢٤)، كتاب المغازي، باب.

عليه رسول الله ﷺ بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه[1]، ومن بني مخزوم بن يقظة المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وكان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله، فلحق بقومه.

قال ابن هشام: أسره خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري أخو بني النجار، قال ابن إسحاق: «وصيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ترك في أيدي أصحابه، فلّما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه: ليبعثّن إليهم بفدائه، فخلوا سبيله، فلم يف لهم بشيء، قال حسان بن ثابت في ذلك [من الطويل]:

وما كان صيفي ليوفي ذمة ... قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد[2]

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهيب بن حذافة بن جمح، وكان محتاجًا ذا بنات، فكلم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد عرفت مالي من مال، وإني لذو حاجة، وذو عيال، فامنن علي، فمن عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه ألا يظاهر[3] عليه أحدًا، فقال أبو عزة في ذلك: يمدح رسول الله ﷺ، ويذكر فضله في قومه [من الطويل]:

من مبلغ عني الرسول محمدًا ... بأنك حق والمليك حميد؟

وأنت امرؤٌ تدعو إلى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهيد

وأنت امرؤٌ بوئت[4] فينا مباءةً ... لها درجات سهلة وصعود

فإنك من حاربته لمحارب ... شقي ومن سالمته لسعيد

---

(١) سيأتي الكلام على هذا ص٢٨٧.

(٢) ينظر: ديوانه ص٢٠١، والبداية والنهاية (٣/ ٣٨٠).

(٣) ألا يظاهر عليه أحدًا: معناه ألا يعين عليه أحدًا، والمظاهر في اللغة هو المعين، شرح السيرة النبوية ص١٦٧.

(٤) بوئت: أي نُزّلت فينا منزلة، قال الله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨]، المصدر السابق ص١٦٧.

ولكن إذا ذُكّرت بدرًا وأهله تأوب[1] ما بي حسرة وقعود[2]

قال ابن كثير: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله، فرجع إليهم، فلما كان يوم أحد أُسر أيضًا، فسأل النبي ﷺ أن يمن عليه أيضًا، فقال النبي ﷺ: «**لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمدًا مرتين**»، ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه[3].

ويقال: فيه قال رسول الله ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»[4]، وهذا من الأمثال التي لم تُسمع إلا منه عليه الصلاة والسلام[5].

زينب وفداؤها لزوجها:

روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، قالت فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها**»، فقالوا: نعم، وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، ورجلًا من الأنصار، فقال: «**كونا ببطن يأجج[6] حتى**

---

(١) تأوّب: رجع إلي، والأوب: الرجوع، المصدر السابق ص١٦٧.

(٢) السيرة النبوية (٢/ ٢٥٣)، وقد ذكره ابن إسحاق بدون سند، وقد أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٠)، وهو مرسل.

(٣) وقد ذكر هذا الواقدي في مغازيه، وساق بسنده إلى سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين، يا عاصم بن ثابت، قدّمه فاضرب عنقه»، فقدمه عاصم فضرب عنقه (١/ ١١١)، وهو مرسل.

(٤) أخرجه البخاري ص١١٨٢ برقم (٦١٣٣)، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. وصحيح مسلم ص١١٩٩ برقم (٢٩٩٨)، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ من جحر مرتين.

(٥) البداية والنهاية (٥/ ٢٧-٢٠٨).

(٦) يأجَجُ: بالهمزة وجيمين، علم مرتجل لاسم مكان من مكة، على ثمانية أميال، وكان من منازل عبد الله بن الزبير، فلما قتله الحجاج أنزله المجذمين، ففيها المجذمون، قال الأزهري: وقد رأيتهم فيه، معجم البلدان (٨/ ٤٩٢).

تمر بكما زينب، فتصاحباها حتى تأتيا بها»[1].

«فالرسول ﷺ مع وفائه الشديد لزوجته خديجة رق عندما رآى أثرًا من آثارها، تلك المرأة التي كانت خير عون له عند المحن في أول الطريق، تلك التي ماكان لينساها؛ لأنها قاسمته أيام الضراء في بدء دعوته، رأى أثرًا ذكّره بها في غمرة الأحداث فما كان له أن يتصرف تصرفًا لا يرضاه المسلمون، وله الحق، وهو القائد - بل شاورهم كما ورد في الرواية - إنه المثل الأعلى في كل شيء ﷺ»[2].

العباس وقصته في الفداء:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠].

قال أبو جعفر في تفسيره: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبي قل لمن في يديك، وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ يقول: إن يعلم الله في قلوبكم إسلامًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم من الفداء، ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ يقول: ويصفح لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه، بقتالكم نبي الله وأصحابه، وكفركم بالله، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: لذنوب عباده إذا تابوا، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة.

وذكر ابن جرير أن العباس بن عبد المطلب كان يقول: فيَّ نزلت هذه الآية[3].

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن رجالًا من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه. قال: «والله لا تذرون منه درهمًا»[4].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل والحكمة في ذلك أنه خشي أن يكون في ذلك

---

(١) ص٣٠٤ برقم (٢٦٩٢) كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، وحسنه الألباني في سنن أبي داود (٢/ ٥١٢) برقم (٢٣٤١).

(٢) مرويات غزوة بدر للعليمي ص٣٣٥.

(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٩٢).

(٤) ص٧٦٢ برقم (٤٠١٨) كتاب المغازي، باب.

محاباة له لكونه عمه، لا لكونه قريبهم من النساء فقط، وفيه إشارة إلى أن القريب لا ينبغي له أن يتظاهر بما يؤذي قريبه، وإن كان في الباطن يكره ما يؤذيه، ففي ترك قبول ما يتبرع له الأنصار به من الفداء تأديبًا لمن يقع له مثل ذلك[(١)]».اهـ.

وقال في موضع آخر: «أم العباس ليست من الأنصار، بل جدته أم عبد المطلب هي الأنصارية، فأطلقوا على جدة العباس أختًا لكونها منهم، وعلى العباس ابنها لكونها جدته، وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد من بني عدي بن النجار ثم من بني الخزرج، وأما أم العباس فهي نتيلة بنت جناب من ولد تيم اللات بن النمر بن قاسط، ووهم الكرماني فقال: أم العباس بن عبد المطلب كانت من الأنصار، وأخذ ذلك من ظاهر قول الأنصار ابن أختنا، وليس كما فهمه، بل فيه تجوز كما بينته[(٢)]».اهـ.

وساق محمد بن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عباس، قال: لما أمسى القوم من يوم بدر، والأسارى محبوسون في الوثاق، بات رسول الله ﷺ ساهرًا أول ليلة، فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام! فقال: «**سمعت تضور العباس في وثاقه**»، قال: فقاموا إلى العباس فأطلقوه، فنام رسول الله ﷺ[(٣)].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن عباس ﴿قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠]، حتى بلغ ﴿أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ قال: كان العباس يقول: فيّ والله أنزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ عن إسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي وجد معي، فأبى أن يحاسبني بها، فأعطاني الله بالعشرين أوقية عشرين عبدًا كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى[(٤)].

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٢٣).
(٢) فتح الباري (٧/ ٣٢٢).
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٤٠) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٤١) كلهم عن ابن إسحاق به، وفي السند مجهول.
(٤) الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٧١) برقم (١١٣٩٨)، وقال ابن حجر في المطالب العالية برقم (٤٣٠٠): هذا إسناد صحيح.

قال ابن إسحاق: وكان رجلًا موسرًا ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب[(١)].

قال ابن كثير: وهذه المائة كانت عن نفسه، وعن ابني أخويه عقيل ونوفل، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «**أما ظاهرك فكان علينا، والله أعلم بإسلامك، وسيجزيك**»، فادعى أنه لا مال عنده، قال: «**فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل، وقلت لها: إن أُصبت في سفري فهذا لبنيَّ: الفضل، وعبد الله، وقثم؟**» فقال: والله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل[(٢)].

وروى أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث ابن عباس قال: لما كان يوم بدر أسر سبعون، فجعل عليهم النبي ﷺ أربعين أوقية ذهبًا، وجعل على عمه العباس مائة، وعلى عقيل ثمانين، فقال العباس: أللقرابة صنعت بي هذا؟ والذي يحلف به العباس، لقد تركتني فقير قريش ما بقيت. قال: «**كيف تكون فقير قريش، وقد استودعت أم الفضل بنادق الذهب ثم أقبلت إلي، وقلت لها إن قتلت تركتك غنية ما بقيت، وإن رجعت فلا يهمنك شيء**». فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، ما أخبرك بهذا إلا الله تعالى، فأنزل الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [الأنفال: ٧٠].

فقال حين نزلت: يا نبي الله! لوددت أنك كنت أخذت مني أضعافها فآتاني الله خيرًا منه[(٣)].

---

(١) البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٤١) عن ابن إسحاق، وقد ساقه بدون سند، والبداية والنهاية (٥/ ١٦٩).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ١٦٩ - ١٧٠)، وقال: رواه ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس. اهـ، قلت: وروى الحديث البيهقي في الدلائل (٣/ ١٤٣) عن ابن إسحاق به، وابن إسحاق لم يصرح هنا بالسماع.

(٣) ص٤١١ قال الحافظ في فتح الباري (٧/ ٣٢٢): إسناده حسن. قلت: وفي سنده محمد ابن حميد الرازي. قال عنه الحافظ في التقريب ص٤٧٥: حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، لكن يشهد له ما قبله.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس أن النبي ﷺ أُتي بمال من البحرين فقال: «**انثروه في المسجد**»، فكان أكثر مالٍ أُتي به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس. فقال: يا رسول الله أعطني، إني فاديت نفسي، وفاديت عقيلًا. قال: «**خذ**»، فحثا في ثوبه ثم ذهب يُقله فلم يستطع، فقال: أمِّر بعضهم يرفعه إلي. قال: «**لا**». قال: فارفعه أنت علي. قال: «**لا**». فنثر منه ثم ذهب يُقله فلم يستطع. فقال: فمُر بعضهم يرفعه علي. قال: «**لا**» فنثر منه، ثم احتمله على كاهله ثم انطلق، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا، عجبًا من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم[(١)].

* * *

(١) ص١٠٢ برقم (٣١٦٥)، كتاب الجزية والموادعة، باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين.



المطلب الرابع

قتلى المشركين

إلقاء القتلى في القليب ومخاطبة النبي ﷺ لهم:

عندما رأى النبي ﷺ بقية المشركين وهم يلقون في البئر، قال: «**بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس**»[(١)].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي طلحة أن النبي ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقذفوا في طوي[(٢)] من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم، أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشدت عليها رحلها، ثم مشى، واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي[(٣)] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟**» قال: فقال عمر: يا

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٣١) عن ابن إسحاق قال: حدثني بعض أهل العلم. قال الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص٢٣٢: وهذا إسناد معضل، وقد رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٧٠) من طريق إبراهيم عن عائشة مرفوعًا بلفظ: «جزاكم الله شرًا من قوم نبي، ما كان أسوأ الطرد وأشد التكذيب»، ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين إبراهيم النخعي وعائشة رضي الله عنها.

(٢) الإطواء: قال ابن حجر في الفتح: جمع طوى، وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار، ويجمع بين الروايتين بأنها كانت مطوية فانهدمت فصارت كالركي، الفتح (٧/ ٣٠٢).

(٣) الركي: قال في الفتح (٧/ ٣٠٢): طرف البئر (وهو بفتح الراء، وكسر الكاف، وتشديد آخره) البئر قبل أن تطوى، وفي النهاية (٢/ ٢٦١) هي البئر وضبطها بما سبق.اهـ.

رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا، ونقيمة، وحسرة وندمًا[(١)].

وفي رواية للنسائي من حديث أنس بن مالك قال: سمع المسلمون من الليل ببئر بدر، ورسول الله ﷺ قائم ينادي «**يا أبا جهل بن هشام، ويا شيبة بن ربيعة...**» الحديث[(٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي رواية حميد عن أنس: فنادى يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام. أخرجه ابن إسحاق، وأحمد، وغيرهما. وكذا وقع عند أحمد ومسلم من طريق ثابت عن أنس فسمى الأربعة، لكن قدم وأخر، وسياقه أتم، قال في أوله: تركهم ثلاثة أيام حتى جيفوا، فذكره، وفيه من الزيادة: فسمع عمر صوته، فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث، وهل يسمعون؟، ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل: ٨٠]. فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم لكن لا يستطيعون أن يجيبوا. وفي بعضه نظر، لأن أمية بن خلف لم يكن في القليب لأنه كان ضخمًا فانتفخ، فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه. وقد أخرج ذلك ابن إسحاق من حديث عائشة، لكن يجمع بينهما بأنه كان قريبًا من القليب، فنودي فيمن نودي، لكونه كان من جملة رؤسائهم»[(٣)].

وقد رجح الحافظان ابن كثير وابن حجر أن الله أحياهم حتى سمعوا كلامه توبيخًا وتصغيرًا وحسرة وندمًا[(٤)].

---

(١) ص٧٥٥ برقم (٣٩٧٦) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، وصحيح مسلم ص١١٥٢ برقم (٢٨٧٥) كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه.

(٢) ص٢٣١ برقم (٢٠٧٥) كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين. وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن النسائي ص٤٤٦ برقم ١٩٦٢.

(٣) فتح الباري (٧/ ٣٠٢).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٨)، وفتح الباري (٧/ ٣٠٣- ٣٠٤).

دعاء النبي ﷺ لأبي حذيفة بن عتبة:

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يُلقوا في القليب أخذ عتبة بن ربيعة، فسُحب إلى القليب، فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة، فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال: «**يا أبا حذيفة، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟**» أو كما قال ﷺ، فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيًا وحلمًا وفضلًا، فكنتُ أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرًا[1].

* * *

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٣٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٩) برقم (٤٩٩٥)، والطبري في تاريخه (٢/ ٣٧)، بسنديهما إلى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على فقه السيرة النبوية للغزالي ص٢٣١: حديث ضعيف رواه ابن هشام (٢/ ٢٣٢) عن ابن إسحاق بلاغًا، انظر: صحيح ابن حبان (٩/ ١٠٨ - ١٠٩).



المطلب الخامس

العودة إلى المدينة

رجوع النبي ﷺ إلى المدينة والمواضع التي نزل بها:

تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة، وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام، وكان رحيله منها يوم الإثنين، فركب ناقته، ووقف على قليب بدر، ثم انصرف قافلًا إلى المدينة[1].

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلًا إلى المدينة، ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عقبة، والنضر بن الحارث، واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن نجار، فقال راجز من المسلمين، قال ابن هشام: يقال إنه عدي بن أبي الزغباء:

أقم لها صدورها يا بسبس	ليس بذي الطلح لها معرس
ولا بصحراء غُميز محبس[2]	إن مطايا القوم لا تخيس
فحملها على الطريق أكيس	قد نصر الله وفر الأخنس

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية، يقال له سير، إلى سرحة به، فقسم هنالك النفل الذي

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ١٨٢).

(٢) لا بصحراء غُميز محبس: يروى هنا بالغين والعين، وغميز معجمة هو المشهور فيه، شرح السيرة النبوية ص١٦٢.

أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء، لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه، ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة - كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان -: ما الذي تهنئوننا به؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعًا كالبدن[1] المعقلة فنحرناها، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «**أي ابن أخي أولئك الملأ**»[2].

قال ابن هشام: الملأ: الأشراف والرؤساء.

وقوله عليه الصلاة والسلام لهذا الصحابي الجليل: «**يا ابن أخي أولئك الملأ**» يذكره بأن المعركة كانت مع عتاة طغاة قريش، وجبابرتها، وليست مع العجائز المهازيل، وأنه لو كان كما ذكر لم تكن نصرًا ولا كان لها فضلًا.

أحداث في الطريق:

«ثم مضى النبي ﷺ، حتى إذا كان بالأُثيل[3]، عُرض عليه الأسرى، فنظر إلى النضر بن الحارث فأبدَّه البصر، فقال لرجل إلى جنبه: محمد والله قاتلي، لقد نظر إليّ بعينين فيهما الموت! فقال الذي إلى جنبه: والله ما هذا منك إلا رعب. فقال النضر لمصعب بن عمير: يا مصعب، أنت أقرب من ههنا بي رحمًا، كلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي، هو والله قاتلي إن لم تفعل. قال مصعب: إنك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا، [وتقول في نبيه كذا وكذا] قال: يا مصعب، فليجعلني كأحد أصحابي، إن قُتلوا قُتلت، وإن منّ عليهم منّ عليّ. قال مصعب: إنّك كنت تعذّب أصحابه. قال: أما والله لو أسرتك قريش ما قُتلت أبدًا وأنا حيّ. قال مصعب: والله إني لأراك صادقًا، ولكن لست مثلك، قطع الإسلام العهود! فقال المقداد: أسيري، قال النبي ﷺ: «**اضرب عنقه، اللهم أغن**

(١) البدن: الإبل التي تهدى إلى مكة، شرح السيرة النبوية ص١٦٢.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٦) وقد رواه ابن إسحاق بدون إسناد.

(٣) الأثيل: موضع بين بدر والصفراء، وفاء الوفا (٢/ ٢٤٢)، قال الواقدي: الأثيل واد طوله ثلاثة أميال، وبينه وبين بدر ميلان، مغازي الواقدي (١/ ١١٣).

المقداد من فضلك». فقتله علي بن أبي طالب ﷺ ضربًا بالسيف بالأُثيل»[1].

ثم خرج عليه الصلاة والسلام حتى إذا كان بعرق الظبية، أمر بقتل عقبة بن أبي معيط، وكان الذي أسره عبد الله بن سلمة، أحد بني العجلان، فقال عقبة حين أمر النبي ﷺ بقتله، فمن للصبية يا محمد؟ قال: «النار»، وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف[2].

وفي رواية الواقدي: «أنه لما أقبل إليه عاصم بن ثابت ليقتله قال: يا معشر قريش، علام أُقتلُ من بين من ههنا؟ قال: لعداوتك لله ولرسوله، فأمر به فضربت عنقه. فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الرجل كنت والله ما علمتُ، كافرًا بالله وبرسوله وبكتابه مؤذيًا لنبيه، فأحمد الله الذي هو قتلك، وأقر عيني منك**»»[3]!

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة، قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: «**نعم، أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي، وغمزها، فما رفع حتى ظننت أن عيني ستندران[4]، وجاء مرة أخرى بسلا[5] شاة، فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي**»[6]، قال ابن هشام: ويقال: بل قتله علي بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم.اهـ[7].

والذي يظهر أن الذي قتله عاصم بن ثابت، فقد جاء في صحيح البخاري

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ١٠٦ - ١٠٧).

(٢) السيرة النبوية (٢/ ٢٣٦) وأخرجه ابن جرير (٢/ ٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٢٣)، وأخرجه أبو داود ص٣٠٣، حديث رقم (٢٦٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ﷺ برقم (٢٣٣٦).

(٣) مغازي الواقدي (١/ ١١٤). (٤) ستندران: تسقطان.

(٥) سلا: السلى الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه، وقيل هو في الماشية السلى، وفي الناس المشيمة، والأول أشبه؛ لأن المشيمة تخرج بعد الولد، ولا يكون الولد فيها حين يخرج، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٩٦).

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي، جزء المغازي ص٦٠، وهو مرسل، الشعبي لم يدرك النبي ﷺ.

(٧) السيرة النبوية (٢/ ٢٣٧).

في قصة بئر معونة أن عاصم بن ثابت كان قد قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر.

قال الحافظ في الفتح: لعل العظيم المذكور هو عقبة بن أبي معيط، فإن عاصمًا قتله بأمر النبي ﷺ[1].

قال ابن كثير: كان هذان الرجلان من شر عباد الله، وأكثرهم كفرًا، وعنادًا، وبغيًا، وحسدًا، وهجاءً للإسلام وأهله لعنهما الله، وقد فعل[2].

وأذكر بعضًا من مواقف هذين الرجلين، التي تدل على حقدهما وبغضهما للنبي ﷺ وللإسلام وأهله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[3].

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ ساجد، وحوله ناس من قريش، إذ جاءه عقبة بن أبي معيط بسلا جزور، فقذفه على ظهر رسول الله ﷺ، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على من صنع ذلك، فقال: «**اللهم عليك الملأ من قريش: أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، أو أبيّ ابن خلف**» - شعبة الشاك - قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر، غير أن أمية أو أُبيًا تقطعت أوصاله، فلم يلق في البئر[4].

وأما النضر بن الحارث فقد قال عنه ابن إسحاق: وكان من شياطين

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٨٤).
(٢) البداية والنهاية (٥/ ١٨٩).

(٣) البخاري ص٧٠٢ رقم (٣٦٧٨)، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا..**».

(٤) ص٧٤٦ برقم (١٧٩٤)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، وصحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر ولا يؤخذ لهم ثمن.

قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا، فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه، فهلم إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار[1]، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني؟ قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله، قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٥]. وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن[2].

وقد تقدم أنه كان حامل لواء المشركين في غزوة بدر.

نبأ النصر والهزيمة وأثره على الفريقين:

وقد بعث عليه الصلاة و السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح، والنصر، والظفر على من أشرك بالله وحده وبه كفر، أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة[3].

والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة[4].

روى البيهقي من حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ خلف عثمان، وأسامة بن زيد على بنت[5] رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ

(١) هما حكيمان من حكماء الفرس.
(٢) السيرة النبوية (١/ ٣٢٦).
(٣) العالية: أي عوالي المدينة، ولا زالت إلى اليوم تحمل هذا الاسم العوالي.
(٤) البداية والنهاية (٥/ ١٨٢ - ١٨٣). والسافلة تقابل العالية، وأدنى العالية كما سيأتي فيها السنح على ميل من المسجد، فما نزل عنه فهو السافلة، ويحتمل أن يكون بينهما واسطة، وربما أومأ إليه ما سبق في زهرة أنها بين الحرة والسافلة، والناس اليوم يطلقونها على ما كان في شامي المدينة، والعالية على ما كان في قبلتها، وفاء الوفا (٤/ ١٢٣١).
(٥) هي رقية.

بالبشارة، قال أسامة فسمعت الهيعة[(١)]، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة[(٢)].

وفي رواية الحاكم، فهو يقول قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري العاص بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، قال: قلت يا أبت أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بني[(٣)].

ومع هذا الفرح والسرور الذي عاشه أهل المدينة بانتصار المسلمين في غزوة بدر إلا أن هناك بعضًا من النساء كن يبكين على آبائهن من الشهداء.

روى البخاري في صحيحه من حديث الربيع بنت معوذ قالت: دخل علي النبي ﷺ غداة بُني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم مافي غد، فقال النبي ﷺ: «**لا تقولي هكذا، وقولي ماكنت تقولين**»[(٤)].

وهذا الحديث يدل على حرصه عليه الصلاة والسلام على حفظ جناب التوحيد، والنهي عن رفعه فوق منزلته.

أما قريش فإنها عندما تهيأت للحرب كانت تظن أن هذه نهاية محمد، وأصحابه، وأرادت أن تفخر بذلك أمام العرب قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وإذا بها تتلقى الهزيمة والخزي على أيدي المسلمين، تلقت مكة النبأ وهي لا تكاد تصدق لأنه فوق ما كانت تتصور، وتعتقد، فقد قتل الأشياخ والقادة، وأسر

---

(١) الهيعة: الصوت الذي تفزع منه، وتخافه من عدو، وقد هاع يهيع هيوعًا إذا جبن، النهاية (٥/ ٢٨٨).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٣٠ - ١٣١)، وفي سنده عمرو بن عاصم قال الحافظ في التقريب: صدوق في حفظه شيء.

(٣) المستدرك (٣/ ٢٤٠) برقم (٤٩٥٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وهو مرسل، أسعد وهو أبو أمامة بن سهل بن حنيف، ولد في حياة النبي ﷺ، انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٥٢٥)، ولكن يشهد له ما قبله.

(٤) ص٧٥٩ برقم (٤٠٠١) كتاب المغازي، باب.

الرجال، وأخذت الأموال، وكما استبعد أهل مكة الهزيمة على أنفسهم حتى جوبهوا بعارها، استبعد مشركو المدينة، ويهودها ما قرع آذانهم من بشريات الفوز، وذهب بعضهم إلى حد اتهام المسلمين بأن ما يذاع عن نصرهم محض اختلاق، وظلوا يكابرون حتى رأوا الأسرى مقرنين في الأصفاد فسقط في أيديهم.

وقد اختلفت مسالك الأحزاب الكافرة بإزاء المسلمين بعد هذا الغلب الذي مكن للإسلام وأهله، وجعل سلطانهم مهيبًا في المدينة وما حولها، ومد نفوذهم على طريق القوافل في شمال الجزيرة، فأصبح لا يمر بها أحد إلا بإذنهم، فأما أهل مكة فقد انطووا على أنفسهم يداوون جراحهم، ويستعيدون قواهم، ويستعدون لنيل ثأرهم، ويعلنون أن يوم الانتقام قريب، ولم تزدهم الهزيمة إلا كرهًا للإسلام، ونقمة على محمد وصحبه، واضطهادًا لمن يدخل في دينه، فكان من ينشرح صدره للإسلام يختفي به، أو يعيش ذليلًا مستضعفًا، ذلك في مكة، حيث كانت الدولة للكفر، أما في المدينة حيث المسلمين كثرة مكينة ظاهرة، فقد اتخذت العداوة للإسلام طريقة الدس والنفاق والمخاتلة، فأسلم فريق من المشركين واليهود ظاهرًا، وقلوبهم تغلي حقدًا وكفرًا، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن أُبي.

روى ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث أسامة بن زيد قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب - كما أمرهم الله تعالى - ويصبرون على الأذى، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فكان النبي ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله به حتى أذن فيهم بالقتل[١].

فلما غزا بدرًا، وقتل الله من قتل من صناديد قريش، وقفل رسول الله ﷺ وأصحابه منصورين غانمين، معهم أساراهم. قال عبد الله بن أُبيّ ومن معه كما

---

(١) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص٢٣٨: إسناده صحيح كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٥٣).

سبق: «هذا أمر قد توجه»، على أن هذا الخداع لاذ به فريق من الكفار في الوقت الذي عالن فيه فريق آخر من اليهود بسخطهم على محمد، وألمهم للهزيمة التي أصابت قريشًا في «بدر»، بل إن كعب بن الأشرف - من رجالات اليهود - أرسل القصائد في رثاء قتلاهم، والمطالبة بثأرهم، ولقد اتسعت شقة العداوة بين المسلمين واليهود إثر هذا الموقف النابي، ثم حاول اليهود أن يحقروا من شأن النصر الذي حظي به الإسلام، مما مهد للأحداث العنيفة التي وقعت بعد، ودفع اليهود من أجلها دمهم أفرادًا وجماعات[1].

قال ابن إسحاق: «وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة ابن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام.. فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا، فسلوه عني. فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالسٌ في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

قال موسى بن عقبة: ولما وصل الخبر إلى أهل مكة، وتحققوه قطعت النساء شعورهن، وعُقرت خيول كثيرة ورواحل[2].

وساق ابن إسحاق بسنده إلى أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلامًا للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلًا، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله[3] وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزًا.

---

(١) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص٢٣٨ - ٢٣٩.
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩)، وسنده إلى ابن إسحاق ضعيف، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٣٩).
(٣) كبته الله: أي غاظه وأذله وأخزاه، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٧٢).

قال: وكنت رجلًا ضعيفًا، وكنت أعمل الأقداح[1] أنحتها[2] في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة[3]، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المغيرة - قد قدم، قال: فقال له أبو لهب: هلم إليّ، فعندك لعمري الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالًا بيضا على خيل بلق ما بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئًا[4]، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال وثاورته[5] فاحتملني فضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني، وكنت رجلاً ضعيفًا، فقامت أم الفضل إلى عمود[6] من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة فلعت[7] في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته إن غاب عنه سيده، فقام موليًا ذليلًا، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة[8] فقتلته[9].

(١) الأقداح: جمع قدح، يريد أنه كان يصنع الأقداح من الخشب، شرح السيرة النبوية ص١٦٢.
(٢) أنحتها أي: أنجرها وأصنعها، قال الله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، المصدر السابق ص١٦٢.
(٣) طُنب الحجرة: أي طرفها، وطنب الخباء: حباله التي يُشد بها، المصدر السابق ص١٦٢.
(٤) ما تليق شيئًا معناه: ما تبقي شيئًا، المصدر السابق ص١٦٢.
(٥) ثاورته: وثبت إليه، المصدر السابق ص١٦٢.
(٦) العمود هنا: عودٌ من أعواد الخباء، المصدر السابق ص١٦٢.
(٧) فلعت بالغين والعين: معناه شقّت، المصدر السابق ص١٦٢.
(٨) العدسة: بثرة تشبه العدسة، تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون، تقتل صاحبها غالبًا، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٩٠).
(٩) السيرة النبوية (٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠)، وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣٩ - ٤٠)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٤٥ - ١٤٦) بسنديهما إلى ابن إسحاق به. وفيه حسين بن عبد الله، وذكره الهيثمي في المجمع =

وساق ابن إسحاق بسنده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمدًا وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا[1] بهم، لا يأرب[2] عليكم محمد وأصحابه في الفداء.

قال: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه، قال: فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره: انظر هل أُحلّ النَّحْب[3]؟ هل بكت قريشٌ على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة، يعني: زمعة، فإن جوفي قد احترق، قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته، قال: فذاك حين يقول الأسود:

أتبكي أن يضلَّ لها بعيرٌ	ويمنعها من النّومِ السُّهُودُ[4]
فلا تبكي على بكر ولكن	على بدرٍ تقاصرت الجدودُ[5]
على بدر سَراةَ بني هُصيص	ومخزومٍ ورهطُ أبي الوليد[6]
وبَكّي إن بكيتِ على عقيل	وبكّي حارثًا أسد الأسودِ

= (٦/ ٩١ - ٩٢) وقال: رواه الطبراني والبزار، وفي إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.اهـ. قلت: وحسين بن عبد الله هذا ضعيف كما قال الحافظ في التقريب ص١٦٧. قال أحمد: له أشياء منكرة، وقال البخاري: قال علي: تركت حديثه، وقال أبو زرعة وغيره: ليس بقوي. وانظر ترجمته في: الميزان (١/ ٥٣٧ - ٥٣٨) رقم (٢٠١٢).

(١) حتى تستأنوا بهم معناه: تؤخرون فداءهم، شرح السيرة النبوية ص١٦٢.

(٢) لا يأرب معناه: لا يشتد، يقال: تأرب إذا تعسّر فاشتد، المصدر السابق ص١٦٢.

(٣) النحب: البكاء، والنّحبُ والنَّحيبُ والانتحابُ البكاء بصوت طويل ومر، النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٧).

(٤) السهود: السُّهْدُ بالضم الأرق، والسُّهُدُ: الكثير السهاد، يقال: رجل سُهُدٌ، وامرأةٌ سُهُد، وعين سُهُد، ويقال: فلان سُهُد: يقظ حذر، انظر: القاموس المحيط ص٢٩١، والمعجم الوسيط (١/ ٤٥٨).

(٥) البَكْر: بالفتح الفتيّ من الإبل، والأنثى بكرة، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٤٩)، الجدود: جمع جد، وهو هنا: الحظ والسعادة، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٤).

(٦) سراة القوم: خيارهم وأشرافهم، شرح السيرة النبوية ص١٦٣.

وبكّيهم ولا تَسَمِي جميعًا   وما لأبي حكيمة من نديدِ[1][2]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت، وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين[3].اهـ.

ولكن قريشًا قررت الأخذ بالثأر، وأرادت أن تبل حزنها بضرب المسلمين ضربة قوية موجهة إلى رسول الله ﷺ، فكانت محاولتها لقتله.

محاولة قريش قتل النبي ﷺ:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: جلس عُمَيْر بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناءً[4] وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر[5]. قال: فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاءٌ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قِبلهُم علّة، ابني أسير في أيديهم، فاغتنمها صفوان وقال: علي دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أُواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم عني شأني وشأنك، قال: أفعل. ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذ له[6] وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم به المدينة، فبينا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما

---

(١) لا تَسمي، أراد: لا تسأمي، فنقل حركة الهمزة ثم حذفها، ومعناه: لا تملي، والنديد: الشبيه والمثل، المصدر السابق ص١٦٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٤١) وهو مرسل. (٣) البداية والنهاية (٥/ ١٩٩).

(٤) عناء: أي شدة ومشقة، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٣٠).

(٥) وهب بن عمير ذكر ابن هشام أن الذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق، السيرة النبوية (٢/ ٢٥٤).

(٦) فشحذ له، معناه: أحدّهُ، يقال: شحذتُ السيف والسّكين: إذا أحددتهما، شرح السيرة النبوية ص١٦٧.

أكرمهم الله به، وما أراهم به من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحًا السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا[(١)] وحزرنا[(٢)] للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه. قال: «**فأدخله عليّ**»، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه بها، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: «**أرسله يا عمر، ادن يا عمير**»، فدنا، ثم قال: أنعموا صباحًا - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ: «**قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة**» فقال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، قال: «**فما جاء بك يا عمير؟**» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: «**فما بال السيف في عنقك؟**»، قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا؟ قال: «**اصدقني، ما الذي جئت له؟**»، قال: ما جئت إلا لذلك. قال: «**بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك؛ على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك**».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «**فقهوا أخاكم**

---

(١) حرّش بيننا، أي: أفسد، والتحريش: الإفساد بين الناس، وإغراء بعضهم ببعض. النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٦٨).

(٢) حزَرَنا، معناه: قدّر عددنا، يقال: هم محزرة ألف أي: تقدير ألف، انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٧٠).

في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره». ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله ﷻ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام؛ لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم. فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة، وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بواقعة تأتيكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف ألا يكلمه أبدًا، ولا ينفعه بنفع أبدًا.

قال ابن إسحاق: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديدًا، فأسلم على يديه ناس كثير[1].

إن فشل محاولة صفوان التخفيف من أسى قريش، وحزنها لم تفلح، فالنفوس متألمة، والقلوب دامية، لذا لم تجد قريش فرصة للنيل من المسلمين إلا سلكتها، فقد اشترت أسرى من المسلمين لتقتلهم، ولتأخذ الثأر منهم.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: بعث النبي ﷺ سرية عينًا[2]، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلًا نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتتبعوا آثارهم،

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٥٤ - ٢٥٥)، وأخرجه الطبراني (١٧/ ٥٦ - ٥٧) رقم (١١٧) عن عروة مرسلاً، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٨٦)، وهو مرسل، وإسناده حسن.اهـ. قلت: فيه ابن لهيعة أيضًا، والراوي عنه من غير العبادلة، ورواه الطبراني أيضًا (١٧/ ٥٨) رقم (١١٨). قال ابن حجر في الإصابة (٥/ ٣٦ - ٣٧)، ورواه ابن مندة موصولًا من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره، وقال ابن مندة: غريب لا نعرفه عن أبي عمران إلا من هذا الوجه.اهـ. قلت: وإسناده حسن.

(٢) العين: هو الذي يرصد أخبار العدو ويتحسسها، ويسمى الجاسوس، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٣١).

حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه، لجؤوا إلى فدفد[(١)]، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلًا، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد، ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل فقتلوه[(٢)]، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا.

وفي آخر الحديث: وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر[(٣)]، فبعث الله عليه مثل الظلة[(٤)]، من الدبر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء[(٥)].

* * *

(١) فدفد: بفاءين مفتوحتين ومهملتين، الأولى ساكنة، وهي الرابية المشرفة، ووقع عند أبي داود إلى قردد بقاف وراء ودالين، قال ابن الأثير: الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع، ويقال الأرض المستوية، والأول أصح، فتح الباري (٧/ ٣٨١)، النهاية (٣/ ٤٢٠).

(٢) هو عبد الله بن طارق في رواية ابن إسحاق، ذكره في الفتح (٧/ ٣٨١)، أما زيد بن الدثنة فقال في الفتح (٧/ ٣٨١) في رواية ابن إسحاق وابن سعد: فأما زيد فابتاعه صفوان ابن أمية، فقتله بأبيه.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٨٤): لعل العظيم المذكور هو عقبة بن أبي معيط، فإن عاصمًا قتله صبرًا بأمر النبي ﷺ، بعد أن انصرفوا من بدر.

(٤) الظلة (بضم العجمة) السحابة، الدبر (بفتح المهملة، وسكون الموحدة) الزنابير، قيل: ذكور النحل، ولا واحد له من لفظه، فتح الباري (٧/ ٣٨٤)، وانظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٦٩).

(٥) ص٧٧٦ - ٧٧٧ برقم (٤٠٨٦)، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة.

الفصل الثاني

الفوائد والعبر المستفادة من غزوة بدر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدروس العسكرية.

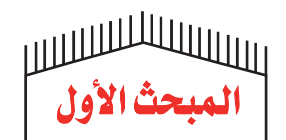
المبحث الثاني: الدروس الفقهية.

المبحث الثالث: الدروس العامة.

١ - خاتمة الرسالة، وأهم النتائج.

٢ - فهارس الرسالة.

إن غزوة بدر من معارك الإسلام الفاصلة في التاريخ الإسلامي التي يقف المرء عندها طويلًا لما ملئت به من الدروس، والعبر، والفوائد، والأحكام مما يحتاجه المسلمون في مجالات حياتهم الاجتماعية، والعلمية، والثقافية، ومما تحتاجه الدولة الإسلامية في تعاملها مع الدول المحيطة بها من الكفار، ومما يحتاجه المسلمون في طريق الدعوة إلى الله، وغير ذلك من المجالات الكثيرة، وقد قسمت هذه الدروس إلى أقسام: عسكرية، وفقهية، وعامة.



الدروس العسكرية

أولًا: أن الجهاد بالسيف لم يفرضه الله إلا بعد أن توفرت أسبابه، وانتفت موانعه، والذي يتبين من النصوص وحال النبي ﷺ وأصحابه أن الدعوة إلى الله تعالى في المجتمعات التي تكون الشوكة فيها بيد من يحارب الحق وأهله، وينصر الباطل وأهله، أنها لا بد أن تمر بثلاث مراحل:

الأولى: بيان الحق والدعوة إليه بحكمة ورفق.

الثانية: الابتلاء والامتحان في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، والصبر على ذلك.

الثالثة: التميز عن أهل الباطل.

وحينئذٍ يُشرع القتال، وهذه المراحل الثلاث هي التي مرت بها دعوة النبي ﷺ وأصحابه، كما يتضح ذلك من سيرته، وقد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠].

ثانيًا: استحباب مشورة الإمام رعيته، وجيشه استخراجًا لوجه الرأي، واستطابةً لنفوسهم، وأمنًا لعتبهم، وتعرفًا لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، وامتثالاً لأمر الرب في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثالثًا: الأصل أن يبذل المسلمون كافة جهودهم في الإعداد لمجابهة العدو، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الآية [الأنفال: ٦٠].

فإذا ما فعلوا ذلك أعانهم ونصرهم وأمدهم بملائكته وجنوده، كما وقع للمسلمين في بدر.

رابعًا: في قصة سواد مع النبي ﷺ دليل واضح على أن الناس في أخذ الحق منهم وإعطائهم سواء، وهذا هو العدل الذي جاءت به شريعة الإسلام، وأقامه نبي الإسلام ﷺ على نفسه وأقاربه والناس جميعًا.

وقد بين ﷺ أن الأمم تضل وتهلك حين تتنكب هذا الطريق، وقال: «**أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»[1].

خامسًا: القتال على طريقة الصفوف إحدى الطرق التي يستعملها المقاتلون في حروبهم، وهذا ما فعله النبي ﷺ في بدر، وقد ذكر الله ﷻ هذه الطريقة، وأثنى على أهلها، حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وهناك طرق أخرى، وللقائد أن يختار الطريقة حسب ما يقتضيه الحال.

سادسًا: أن الأسرى الذين حاربوا الدعوة ووقفوا في طريقها، واشتد أذاهم على أهلها لا ينبغي استبقاؤهم؛ لأنهم عناصر خبيثة يجب إزالتها، ومثل هؤلاء يطلق عليهم بالاصطلاح الحديث: «مجرمو حرب»، ومن هذا القبيل ما فعله النبي ﷺ من قتل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وغيرهم.

سابعًا: التركيز على قتل قادة العدو، وزعمائهم مما يضعف شوكة العدو، ويعجل بهزيمتهم، وهذا ما حصل في غزوة بدر، فقتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف،، وأبو جهل بن هشام، وغيرهم، مما أضعف من عزيمة قريش، وعجل بهزيمتهم.

ثامنًا: اختيار المقاتلين المشهورين بالشجاعة، والفروسية ليكونوا في مقدمة جيش المسلمين، وأيضًا اختيارهم لمبارزة العدو، مما يقوي شوكة المسلمين،

---

(١) صحيح البخاري ص١٢٩٥ برقم (٦٧٨٨)، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، وصحيح مسلم ص٧٠١ برقم (١٦٨٨)، كتاب الحدود، باب حد الزنى.

ويعجل بنصرهم، وهذا ما حدث في غزوة بدر عندما طلب عتبة بن ربيعة، ومن معه مبارزة المسلمين، فاختار لهم النبي ﷺ خيرة المقاتلين، حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وانتهت المبارزة لصالح المسلمين مما كان سببًا في قوة شوكة المسلمين، وإقدامهم لدحر العدو.

تاسعًا: بعث العيون لاستكشاف حال العدو، وهذا ما فعله النبي ﷺ عندما أرسل عديًا بن أبي الزغباء، وبسبس بن عمرو، وتعرفا مكان القافلة، وعدد حراسها.

عاشرًا: جمع المعلومات عن جيش العدو، واستجواب الأسرى الذين وقعوا في أيدي المسلمين مما يهيِّئ وضع الخطط المناسبة لهزيمة العدو، وكسر شوكته، وهذا ما حدث في بدر عندما أسر أصحاب النبي ﷺ مولى عقبة بن أبي معيط، وسأله النبي ﷺ عن عدد المشركين، ومن فيهم من القادة.

الحادي عشر: من سنن الجهاد التحريض على القتال عند لقاء العدو، والتذكير بما أعد الله للمجاهدين من الفضل العظيم، وتلاوة آيات الجهاد؛ لتقوية النفوس، وتنشيطها، وهذا ما فعله النبي ﷺ في غزوة بدر وغيرها، واقتدى به المجاهدون من بعده.

الثاني عشر: المحافظة على السلاح، والاستفادة منه في أكبر قدر ممكن، وهذا ما حدث في غزوة بدر فإن النبي ﷺ لم يأمر أصحابه بأن يرموا المشركين حتى يقربوا منهم، فإن الرامي من بعيد قد يخطئ في إصابة الهدف، فيضيع السهم في غير فائدة، وهذا ما أشار إليه بعض شراح الحديث.

الثالث عشر: شجاعة القائد، وثباته في القتال مما يقوي عزيمة جنوده، ويشد من أزرهم لقتال العدو، وهذا ما حدث في غزوة بدر فإن الصحابة لشجاعة النبي ﷺ وقوته في القتال، كانوا يتقون به عند اشتداد الكرب والتحام الصفوف، كما ذكر ذلك علي رضي الله عنه.

الرابع عشر: حامل لواء الجيش في المعركة ينبغي أن يكون من الفرسان

الشجعان، فإن سقوط اللواء قد يكون سببًا لهزيمة الجيش، ولذلك اختار النبي ﷺ عليًا ليكون حامل لواء المسلمين في بدر.

الخامس عشر: المقاتلون الذين يحيطون بالقائد في أي معركة ينبغي أن يكونوا من خيرة الفرسان الشجعان، حتى يقوموا بحماية القائد من أي خطر يتعرض له، وهذا ما حدث في غزوة بدر فإن المحيطين بالنبي ﷺ هم علي، وأبو بكر، وسعد، وغيرهم من فرسان الصحابة.

السادس عشر: إن كثرة الذكر، والدعاء عند التحام الصفوف، واشتداد الكرب مما يقوي عزيمة المقاتل، ويشد من أزره، وهذا ما حدث في غزوة بدر، فإن النبي ﷺ وأصحابه عندما التحم الفريقان، وحمي الكرب لجؤوا إلى الله، وأكثروا من الدعاء، والذكر، وسألوه الثبات، والنصر، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وكان من دعائه ﷺ في غزواته: «**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»[(١)].

السابع عشر: علَّمَ الله المجاهدين مواضع الإثخان من العدو، وذلك بضرب الرقاب، وقطع الأطراف، فقال تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

الثامن عشر: من الطرق التي يستعملها الفرسان في الحروب أن يستدرج خصمه، وذلك بأن يولي وكأنه منهزم، ثم يكر عليه فيقتله، وقد أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦].

التاسع عشر: أن الفرار عند قتال العدو من أكبر الأسباب التي تؤدي

---

(١) صحيح البخاري ص٥٦٢ - ٥٦٣، برقم (٢٩٣٣)، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة. وصحيح مسلم (٣/ ١٣٦٣)، برقم (١٧٤٢)، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء.

إلى الهزيمة، ولذلك حرمه الله، وجعله النبي ﷺ من السبع الموبقات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥].

العشرون: أن الثبات والصبر عند لقاء العدو من أعظم أسباب النصر، ولذلك كان النبي ﷺ في بدر يحث أصحابه على الصبر والثبات، وقال: «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**».. الحديث[1].

الحادي والعشرون: أن الشجاعة والإقدام عند لقاء العدو، لا تقدم الأجل، وأن الإحجام لا يؤخره، فلكل أجل كتاب، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

ومن الأمثلة على ذلك إقدام النبي ﷺ وأصحابه على قلة عددهم وعدتهم على جيش قريش في غزوة بدر. وقصة حكيم عندما شرب من حوض المسلمين في معركة بدر، فما شرب منه أحد من المشركين يومئذ إلا قتل، إلا حكيم، وكان يحلف ويقول: لا والذي نجاني يوم بدر.

الثاني والعشرون: مشروعية الإمداد في المعارك، وأنه من الخطط العسكرية الناجحة، لقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

ولذلك أمثلة، منها ما حدث في غزوة مؤتة لخالد بن الوليد، عندما تظاهر بالمدد، وأرسل بعض الجند ليقوموا بهذه المهمة.

الثالث والعشرون: أن الدولة الإسلامية في بداية تأسيسها ينبغي أن تُشعر أعداءها ومن حولها بقوتها، وقد يتطلب ذلك إرسال السرايا والبعوث العسكرية لضرب الأعداء في عقر دارهم، وهذا ما فعله النبي ﷺ بعد وصوله إلى المدينة بعدة أشهر.

الرابع والعشرون: المحافظة على السرّية التامة، عند وضع الخطط،

---

(١) سبق تخريجه ص٣٠.

وإرسال البعوث العسكرية، ويلاحظ هذا في سرية عبد الله بن جحش عندما أرسله النبي ﷺ إلى نخلة، وأعطاه كتابًا، وأمره ألا يفتحه إلا بعد ليلتين من السير بعيدًا عن المدينة، حتى لا يعلم أحد أين الاتجاه.

الخامس والعشرون: تواضع القائد، وتحمله للمشقة والصعاب، مثل جنوده سواء بسواء، مما يقوي عزيمة الجنود، ويرفع من معنوياتهم، ويشعرهم بالمساواة والعدل، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع أصحابه عند خروجه لغزوة بدر، فقد كان يعتقب بعيرًا هو وعلي وأبو لبابة، فلما جاءت عقبة رسول الله ﷺ قالا له: نحن نمسك عنك. فقال: «ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[1].

السادس والعشرون: أن قلة عدد جيش المسلمين أمام عدوهم لا يعني ضعفهم وهزيمتهم، ففي الآية الكريمة يقول ﷻ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. بل إن الجيش الكثير إذا أعجب بنفسه، كان ذلك سببًا لهزيمته، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

السابع والعشرون: غناء الخيل في المعارك، وعظيم بركتها، ولذلك ضرب لها رسول الله ﷺ سهمين، وفي الحديث قال ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»[2]، ولا زال المسلمون في بعض الدول يستخدمون الخيل في حروبهم مع الكفار، وقد نفع الله بها نفعًا عظيمًا.

الثامن والعشرون: من الخطط العسكرية إضعاف العدو مع الإبقاء عليه، لقوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧]، وبهذا يترك له فرصة الرجوع إلى الحق.

---

(١) سبق تخريجه ص١٦٣.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٣)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٦٣٢)، برقم (٣٣٥٤).

التاسع والعشرون: ينبغي اختيار مكان المعركة حسب ما تقتضيه أحوال الحروب، لقوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

فالحروب التي يكون القتال فيها بالسيف والرمح على الخيل والأقدام، لا يصلح ذلك إلا على أرض قوية تثبت عليها القدم، غير وعرة تحفى منها الأرجل.

الثلاثون: في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦] بيان أن الفارس إذا تراجع إلى الصف، فإن ذلك لا يعد هزيمة، ولا يدخل في النهي.

الحادي والثلاثون: شدة مقت الله للجبناء، وعظم عقوبته لهم حيث قال: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

ومن أسباب ذلك أن المقاتل قد ينهزم، فينهزم بانهزامه الجيش كله، أو بعضه، وقد اتخذ بعض القادة هذه الخطة لهزم جيش العدو، حيث يتواطأ مع بعض فرسانه أنه متى التحم الفريقان، انهزم ذلك الفارس، وحينئذ يتبعه بعض الجيش، أو كله.

الثاني والثلاثون: قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]. يؤخذ من هذا إعداد ما أمكن من وسائل الإرهاب للعدو، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الثالث والثلاثون: علّم الله المؤمنين كيفية قتال الأعداء، قال تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

الرابع والثلاثون: قوله: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣].

أ - فيها أن الفشل، والتنازع قد يقع في صفوف المسلمين.

ب - أنه يجب إزالة أسباب النزاع بين المجاهدين؛ لأن النزاع من أسباب الهزيمة، فالقائد المحنك هو الذي يحرص على نقل النزاع إلى صف العدو،

كما فعل النبي ﷺ في قصة نعيم، وغيرها.

الخامس والثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ الآية [الأنفال: ٤٣] هذه السلامة حصلت بسبب الرؤيا، ولو شاء سبحانه لكتب السلامة بلا سبب، ولكنه فعل ذلك مراعاة لطبيعة حال البشرية، ولذلك قال: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

السادس والثلاثون: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [الأنفال: ٤٣] فيه أنه من أسباب النصر تصوير جيش العدو بما يدل على ضعفه وإن لم يكن ذلك واقعًا، وهذا ليس دائمًا، بل لكل حال ما يناسبه، والقائد الحكيم هو الذي يراعي اختلاف الأحوال[1].

السابع والثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤]. هذه الرؤيا رؤية يقظة لا منام فهي تصديق لرؤيا النبي ﷺ، وقد بين فيها تعالى أن رؤيتهم لهم قليلًا أن ذلك في نظر العين لا في واقع الحال ليشجع قلوبهم، ويجرئهم على الإقدام عليهم ففيه اتخاذ الأسباب التي تتقوى بها قلوب المقاتلين.

الثامن والثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ أراد بذلك ربنا ﷻ أن لا يكون للكفار عذر في ترك اللقاء لو أرادوا، ولذا قال: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهذا الأمر الذي أراده، وأحبه هو ما بينه بقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧].

قال الرازي: واعلم أنه تعالى قلل عدد المشركين، وقلل أيضًا عدد المؤمنين في أعين المشركين، والحكمة في التقليل الأول تصديق رؤيا الرسول ﷺ، وأيضًا لتقوى قلوبهم، وتزداد جرأتهم عليهم، والحكمة في التقليل الثاني أن المشركين لما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد، والتأهب والحذر، فصار ذلك سببًا لاستيلاء المؤمنين عليهم.

---

(١) في تبوك اختلف الحال.

التاسع والثلاثون: قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. في هذه الآية والتي قبلها بيان للأمور التي إذا فعلها الجيش تحقق له النصر، وهي:

أ - الثبات عند اللقاء.

ب - كثرة ذكر الله عز وجل.

ج - فعل الطاعات.

د - اجتناب المعاصي حالًا، والتوبة عما سبق منها.

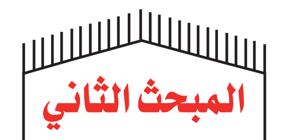
هـ - طاعة القائد، لأن الرسول ﷺ هنا هو القائد لهم في المعارك.

و - الاتفاق، والتطاوع، وترك الاختلاف، والتنازع.

ز - التخلي عن دواعي الهوى، لأنه أكبر أسباب وقوع التنازع.

ي - الصبر على تطبيق هذه الأمور، واستشعار معية الله لمن قام بها.

* * *



الدروس الفقهية

أولًا: جواز المبارزة بإذن الأمير. قال ابن قدامة: وتجوز بإذن الأمير في قول عامة أهل العلم إلا الحسن، فإنه لم يعرفها، وكرهها، ولنا أن حمزة، وعليًا، وعبيدة بن الحارث بارزوا يوم بدر بإذن النبي ﷺ، وبارز علي عمرو ابن عبدِ وُدّ في غزوة الخندق، فقتله، ولم يزل أصحاب النبي ﷺ يبارزون في عصر النبي ﷺ وبعده، ولم ينكر منكر، فكان ذلك إجماعًا، وقال أبو قتادة: بارزت رجلًا يوم حنين فقتلته. إذا ثبت هذا فإنه ينبغي أن يستأذن الأمير في المبارزة إذا أمكن، وبه قال الثوري، وإسحاق، ورخص فيها مالك، والشافعي، وابن المنذر لخبر أبي قتادة، فإنه لم يعلم أنه استأذن النبي ﷺ.

وكذلك أكثر من حكينا عنهم المبارزة، لم يعلم منهم استئذان، ولنا: أن الإمام أعلم بفرسانه وفرسان العدو، ومتى برز الإنسان إلى من لا يطيقه، كان معرضًا نفسه للهلاك، فيكسر قلوب المسلمين، فينبغي أن يفوض ذلك إلى الإمام ليختار للمبارزة من يرضاه لها، فيكون أقرب إلى الظفر وجبر قلوب المسلمين، وكسر قلوب المشركين[1].اهـ.

ثانيًا: لا يجوز الاستعانة بالمشركين في قتال العدو، ومن أجاز ذلك شرط له شروطًا يجب مراعاتها، وقد تقدم تفصيل ذلك.

ثالثًا: كان عدد المشركين في غزوة بدر ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، والحكم الشرعي أن لا يفر المسلم من اثنين، قال ابن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما معرفة العدد الذي لا يجوز الفرار عنهم، فهم الضعف، وذلك مجمع عليه، لقوله تعالى:

(١) المغني (١٣/ ٣٨-٣٩).

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وذهب ابن الماجشون، ورواه عن مالك أن الضعف إنما يعتبر في القوة، لا في العدد، وأنه يجوز أن يفر الواحد عن واحد إذا كان أعتق جوادًا منه، وأجود سلاحًا، وأشد قوة[١].اهـ.

روى البخاري في صحيحه من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥] شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

قال: فلما خفف الله عنهم من العدة، نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم[٢].

رابعًا: جواز فداء الأسارى أو المن عليهم، أو قتلهم حسب ما تقتضيه مصلحة المسلمين، وقد تقدم الكلام على ذلك.

خامسًا: أن من قتل قتيلًا فله سلبه، وقد قضى الرسول ﷺ بسلب أبي جهل لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وقال: «**من قتل قتيلًا فله سلبه**»[٣].

قال ابن قدامة: إنه إنما يستحق السلب بشروط أربعة: أحدها: أن يكون المقتول من المقاتلة الذين يجوز قتلهم، فأما إن قتل امرأة أو صبيًا، أو شيخًا فانيًا، أو ضعيفًا مهينًا، ونحوهم ممن لا يقاتل، لم يستحق سلبه. لا نعلم فيه خلافًا. الثاني: أن يكون المقتول فيه منعة، غير مثخن بالجراح، فإن كان مثخنًا بالجراح فليس لقاتله شيء من سلبه، وبهذا قال مكحول، وحريز بن عثمان، والشافعي؛

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢/ ١٨٨).

(٢) ص٨٨٦ برقم (٤٦٥٣)، كتاب التفسير، باب سورة التوبة.

(٣) صحيح البخاري ص٦٠٢ برقم (٣١٤٢)، كتاب فرض الخمس، باب من لم يُخمّس الأسلاب.

لأن معاذ بن عمرو بن الجموح أثبت أبا جهل، وذفف عليه ابن مسعود، فقضى النبي ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، ولم يعط ابن مسعود شيئًا. الثالث: أن يقتله أو يثخنه بجراح تجعله في حكم المقتول. الرابع: أن يغرر بنفسه في قتله، فأما إن رماه بسهم في صف المسلمين فقتله فلا سلب.

وإن اشترك اثنان في ضربه، وكان أحدهما أبلغ في قتله من الآخر، فالسلب له؛ لأن أبا جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء، وأتيا النبي ﷺ فأخبراه، فقال: «**كلاكما قتله**». وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح[(١)][(٢)].

سادسًا: جواز قتل الأسير قبل أن يصل إلى يد الإمام، كما فعل بلال ومن معه من الأنصار عندما قتلوا أمية بن خلف وهو في أسر عبد الرحمن بن عوف، ما لم يصدر عن الإمام نهي عن ذلك.

سابعًا: دلت قضية الأسرى على أن الرسول ﷺ كان له أن يجتهد، والذين ذهبوا إلى هذا وهم جمهور علماء الأصول استدلوا على ذلك بمسألة أسرى بدر، وإذا صح للرسول ﷺ أن يجتهد، صح منه بناء على ذلك أن يخطئ في الاجتهاد ويصيب، غير أن الخطأ لا يستمر، بل لا بد من أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده، فإذا لم تنزل آية فهو دليل على صحة اجتهاده ﷺ.

ثامنًا: أن من سنة الرسول ﷺ أنه إذا انتصر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام.

تاسعًا: السنة في الشهداء أن يدفنوا في مضاجعهم، كما حدث لشهداء بدر وأحد، ولم يُذكر أنه ﷺ صلى على شهداء بدر، وقد تقدم بيان ذلك.

عاشرًا: أن عامة ممتلكات الحربيين تعد بالنسبة للمسلمين أموالًا غير محترمة، فلهم أن يستولوا عليها، ويأخذوا منها ما امتدت إليه أيديهم، وما وقع تحت يدهم من ذلك اعتبر ملكًا لهم، إلا ما استثني منهم بعهد خاص، وهذا الحكم متفق عليه عند عامة الفقهاء، على أن المهاجرين الذين أُخرجوا من

---

(١) سبق تخريجه ص٢٣٩.

(٢) المغني (١٣/ ٦٦-٦٨).

ديارهم وأبنائهم في مكة عذرٌ آخر في القصد إلى أخذ عير قريش، والاستيلاء عليها، وهو محاولة التعويض عن ممتلكاتهم التي بقيت في مكة، واستولى عليها المشركون من ورائهم[١].

الحادي عشر: خضوع حالات الغزو والمعاهدات والصلح بين المسلمين وغيرهم لما يسمى بالسياسة الشرعية، وبيان ذلك أن مشروعية فرض الجهاد من حيث الأصل، حكم تبليغي لا يخضع لأي نسخ أو تبديل، كما أن أصل مشروعية الصلح والمعاهدات ثابت لا يجوز إبطاله، أو اجتثاثه من أحكام الشريعة الإسلامية، غير أن جزئيات الصور التطبيقية المختلفة لذلك تخضع لظروف الزمان والمكان، وحالة المسلمين، وحالة أعدائهم، والميزان الحكم في ذلك إنما هو بصيرة الإمام المتدين العادل، وسياسة الحاكم المتبحر في أحكام الدين مع إخلاص في الدين وتجرد في القصد، إلى جانب اعتماد دائم على مشاورة المسلمين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم المختلفة، فإذا رأى الحاكم أن من الخير للمسلمين، أن لا يجابهوا أعداءهم بالحرب والقوة، وتثبت من صلاحية رأيه بالتشاور والمذاكرة في ذلك، فله أن يجنح إلى سلم معهم لا يصادم نصًا من النصوص الشرعية الثابتة، ريثما يأتي الظرف المناسب والملائم للقتال والجهاد، وله أن يحمل رعيته على القتال والدفع إذا ما رأى المصلحة والسياسة الشرعية السليمة في ذلك الجانب. هذا ما اتفق عليه عامة الفقهاء، ودلت عليه مشاهد كثيرة من سيرته ﷺ، اللهم إلا إذا دهم العدو المسلمين في عقر دارهم وبلادهم، فإن عليهم دفعه بالقوة مهما كانت الوسيلة، والظروف، ويعم الواجب في ذلك المسلمين والمسلمات كافة، بشرط الحاجة وتوفر مقومات التكليف[٢].

الثاني عشر: ذهب جماهير علماء المسلمين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]. يدل على أن أربعة أخماس الغنيمة للغزاة الذين

(١) انظر: فقه السيرة للبوطي ص٢١٨.
(٢) انظر: فقه السيرة للبوطي ص٢١٩.

غنموها، وليس للإمام أن يجعل تلك الغنيمة لغيرهم، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿غَنِمْتُم﴾، فهو يدل على أنها غنيمة لهم، ويدل عليه أيضًا أنه لما قال: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ علمنا أن الأخماس الأربعة الباقية لهم لا لغيرهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد من العلماء، وممن حكى إجماع المسلمين عليه ابن المنذر، وابن عبد البر، والداودي، والمازري، وغيرهم[(١)].

الثالث عشر: دل خروج النبي ﷺ ليلقى عير قريش على جواز النفير للغنيمة؛ لأنها كسب حلال، وهو يرد ما كرهه مالك من ذلك، إذ قال: ذلك قتال على الدنيا، وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة، يراد به إذا كان قصده وحده، وليس للدين فيه حظ.

الرابع عشر: اتفق العلماء على أن الكافر الحربي إذا أسلم فلا خلاف في إسقاط ما فعله في حال كفره في دار الحرب، ولذلك لم يؤاخذ النبي ﷺ الكفار الذين أسلموا بعد غزوة بدر وغيرها بما فعلوه حال كفرهم.

الخامس عشر: جواز استعمال المعاريض[(٢)] للتخلص من الكذب.

السادس عشر: أن الإمام لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين، بل يردهم إذا خرجوا، كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر، والبراء، وغيرهم.

السابع عشر: جواز الانغماس في العدو، كما انغمس عوف بن مالك حاسرًا في العدو.

روى أبو داود في سننه من حديث أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر

---

(١) انظر: أضواء البيان (١/ ٤٤٢).

(٢) والمعاريض أن يقصد بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبة إليه، وإن كان كاذبًا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، رياض الصالحين للنووي بشرح الشيخ ابن عثيمين (٤/ ١٣٤).

الأنصار، لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقيم في أموالنا، ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية[(١)].

الثامن عشر: جواز إمامة الأعمى للمصلين، كما عين النبي ﷺ عند خروجه عبد الله بن أم مكتوم ليصلي بالناس في المدينة.

التاسع عشر: مشروعية استخلاف الإمام من ينوب عنه في إدارة شؤون الرعية، وإمامتهم في الصلاة.

العشرون: جواز الإسهام لبعض المقاتلين الذين لم يشهدوا المعركة، لمصلحة المسلمين، كما أسهم النبي ﷺ لعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد، وغيرهم.

الحادي والعشرون: أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن[(٢)].

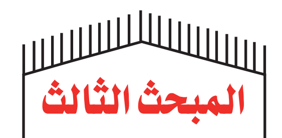
الثاني والعشرون: الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله[(٣)].

الثالث والعشرون: الدعاء على المشركين بالعموم، والصلاة عند القتل، وفي الحديث أن خبيب بن عدي أول من سن صلاة الركعتين عند القتل[(٤)].

* * *

---

(١) ص٢٨٥ برقم (٢٥١٢) كتاب الجهاد، باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.
(٢) فتح الباري (٧/ ٣٨٤).
(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٨٤).
(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٨٤)، وقد تقدم تخريج الحديث ص٣٠٨.



الدروس العامة

أولًا: صدق الصحابة في موالاتهم للمؤمنين، ومعاداتهم للكافرين، وقد ظهر ذلك في غزوة بدر، عندما قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة، ولم يلتفت إلى قرابته منه، وهمّ أبو بكر بقتل ابنه عبد الرحمن، وقتل حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث أبناء عمهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وذلك في المبارزة، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ثانيًا: نبه الله المؤمنين إلى حقيقة هامة، وهي أن لا يجعلوا حب المال يسيطر عليهم عند النظر في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظرة الدينية وحدها، مهما كانت الحال والظروف، ولذا عالج الله تجربة رؤية الغنائم مع الحاجة والفقر، واختلافهم فيها، ومسألة الأسرى بوسائل تربوية دقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

ثالثًا: أن الدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به كلما نزل به كرب أو شدة، كما حدث في غزوة بدر.

رابعًا: أن الإيمان والعمل الصالح من أعظم أسباب النصر؛ ولذلك وعد الله المؤمنين الصالحين بالنصر في غير آية من كتاب الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١].

خامسًا: أن التوكل على الله من أعظم أسباب النصر، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وهذا ما حصل في غزوة بدر، فإن الصحابة على قلة عددهم وعُددهم مقابل عدوهم إلا أنهم توكلوا على الله، وقاتلوا فنصرهم الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

سادسًا: أن الجهاد من أفضل الأعمال، وهو ذروة سنام الدين، لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، وقمع الظالمين والمنافقين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد.

سابعًا: أن لزوم طاعة الله ورسوله، والابتعاد عن المعاصي وترك التنازع من أعظم أسباب النصر، ولذلك كان النبي ﷺ يوجه أصحابه بأن لا يفعلوا أمرًا حتى يخبروه بذلك، كما في حديث عمير بن الحمام: «**لا يقدمن أحدكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**»[1]، وكان الصحابة يمتثلون أوامر النبي ﷺ، وينفذونها بكل دقة.

ثامنًا: أن لزوم طاعة الأمير أو القائد، وعدم الاختلاف عليه من أعظم أسباب النصر، وهذا ما حدث في غزوة بدر، فإن محمدًا ﷺ هو الرسول، وهو

---

(١) سبق تخريجه ص٦٠.

القائد، وكانوا يطيعونه فيما يأمرهم به كما تقدم.

تاسعًا: أن الاختلاف والتنازع من أسباب الفشل والهزيمة أمام العدو، وهذا ما حدث في غزوة بدر، فإن المشركين قبل بدء القتال حصل بين قادتهم خلاف كان سببًا لضعف العزائم والهمم، وبالتالي إلى الهزيمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

عاشرًا: أن العداوة والإحن التي كانت بين الأنصار من الأوس والخزرج قد زالت بوصول النبي ﷺ المدينة، فصاروا رضي الله عنهم يدًا واحدة ضد المشركين واليهود، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

الحادي عشر: إن الإخلاص والصدق من أسباب النصر على الأعداء، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1].

وهذا ما حدث في غزوة بدر، فإن المؤمنين لما صدقوا مع الله، وأخلصوا له كان النصر حليفهم.

الثاني عشر: في وقوف رسول الله ﷺ على فم القليب ينادي قتلى المشركين، ويكلمهم بعدما ماتوا، وفيما قاله لعمر رضي الله عنه إذ ذاك دليل واضح على أن للميت حياة روحية خاصة به، فقد ثبت بالكتاب والسنة عذاب القبر ونعيمه، وأن الميت إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، أنه يسمع قرع نعالهم، غير أن

(١) سبق تخريجه ص٣٣.

ذلك كله إنما يخضع لموازين لا تنضبط بعقولنا، وإدراكنا الدنيوية هذه، إذ هو ما يسمى بعالم الغيب البعيد عن مشاهداتنا، وتجاربنا العقلية والمادية، فطريق الإيمان بها إنما هو التسليم لها بعد أن وصلتنا بطريق ثابت صحيح[١].

الثالث عشر: أن الله تعالى قد يعين المؤمنين في قتال أعدائهم ببعض الكرامات، إذا صدقوا معه، كما حدث في غزوة بدر من نزول الملائكة، وحدوث النعاس، وإنزال المطر، وقذف الرعب في قلوب عدوهم، وغيرها من المعجزات والكرامات.

الرابع عشر: أن الكرامات التي حصلت لبعض الصحابة في غزوة بدر، كأبي بكر، وعلي، وعمر، وغيرهم، إنما هو دليل على فضلهم ومكانتهم عند الله تعالى.

الخامس عشر: على القائد أن يكون قريبًا من جنوده، يحثهم ويشجعهم على القتال، ويكثر من الصلاة والدعاء لهم بالنصر، ويقاتل معهم كأحد الجنود، وهذا هو حال النبي ﷺ في غزوة بدر.

السادس عشر: أن الله تعالى يجيب دعوة المؤمنين إذا استغاثوا به، وهم في كرب مع عدوهم، فإن الله تعالى أمدهم بالملائكة، وأنزل عليهم النعاس، وغير ذلك كما حدث في غزوة بدر. قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

السابع عشر: أن الله تعالى يقدر الأمور وييسرها من غير ترتيب مسبق بين المؤمنين وأعدائهم، وهذا كله من أجل نصرة دينه، وخذلان أعدائه بالقتل والأسر، وهذا ما حدث في غزوة بدر، فإن الله تعالى جمع المؤمنين بأعدائهم الكافرين من غير موعدٍ لذلك، ليهلك من هلك من الكافرين عن بينة وحجة، ويعيش من يعيش منهم وقد أقيمت عليه الحجة.

الثامن عشر: أن الشيطان يُحسن للإنسان المعاصي، ويزينها له، فإذا وقع

(١) فقه السيرة للبوطي ص٢٢٤.

فيما يريد تخلى عنه، وهذا ما حدث في غزوة بدر، فإن الشيطان زين لكفرة قريش الخروج لحرب النبي ﷺ، ثم تولى عنهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

التاسع عشر: أن المنافقين في كل زمان ومكان يكيدون للإسلام وأهله، ويدبرون المكائد، ويسخرون من المؤمنين، ويستهزئون بدينهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

العشرون: أن الله تعالى يعوض المؤمن ويخلف عليه في ماله، إذا علم منه الصدق وحب الخير، فهذا ما حدث في قضية العباس ومن معه من الأسرى في غزوة بدر، فإن الله أخلف على العباس فيما دفعه من الفداء كما تقدم، ووعدهم سبحانه بالمغفرة في الآخرة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

الحادي والعشرون: أن الكفر والمعاصي سبب لزوال النعم، وحصول النقم، فإن قريشًا لما كفروا نعمة الله بإرسال هذا النبي الكريم إليهم فكذبوه وعادوه، عاقبهم الله في غزوة بدر بالقتل والأسر، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: «﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، قال: هم والله كفار قريش، قال عمرو: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله، ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ قال: النار، يوم بدر»[1].

الثاني والعشرون: أن قريشًا قد أصيبت بعقوبات كثيرة قبل غزوة بدر،

(١) سبق تخريجه ص٩٥.

فأصابهم قحط، وجهد، حتى أكلوا العظام، لكن ذلك لم يُجد فيهم شيئًا، فاستمروا على شركهم وضلالهم، حتى كانت وقعة بدر، فبطش الله بهم البطشة الكبرى.

الثالث والعشرون: أن أعداء الإسلام من المشركين والمنافقين وغيرهم، لا يألون جهدًا في قتال المسلمين وسحقهم، ووضع الخطط والمكائد لضرب الإسلام وأهله، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله: قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

الرابع والعشرون: أن الصحابة ﵃، قدموا أنفسهم وأموالهم فداء لهذا الدين، ولا أدل على ذلك من المهاجرين الذين تركوا أموالهم في مكة، وهاجروا بدينهم إلى المدينة، وبذلوا نفوسهم رخيصة في معركة بدر، بل إن النبي ﷺ عندما رأى حالة فقرهم الشديدة قال: «**اللهم إنهم جياع فأطعمهم، وعراة فاكسُهُم، وحفاة فاحملهم**.. الحديث»[1].

وصدق الله إذ يقول: قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

الخامس والعشرون: الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، وقد حث الله ورسوله عليهما، وقد ضرب النبي ﷺ مثلًا لأصحابه عندما قال حذيفة ابن اليمان وأبوه للنبي ﷺ: أخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[2].

السادس والعشرون: حرص الكفار على الحياة، وحبهم لها، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

ولذلك لما أخبر النبي ﷺ بقتل بعض الكفار في غزوة بدر، كأمية ابن

---

(١) سبق تخريجه ص١٦٥.

(٢) سبق تخريجه ص١٨٤.

خلف، وعقبة بن أبي معيط، خافوا على أنفسهم من القتل، فلم يخرجوا إلا بحيلة من أصحابهم.

السابع والعشرون: أن بعض الكفار لهم مواقف عظيمة نصروا فيها الإسلام والمسلمين، كحال البختري بن هشام، فإنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام بنقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم، وبني المطلب. وكحال المطعم بن عدي، فإن النبي ﷺ دخل بجواره عند رجوعه من الطائف.

الثامن والعشرون: إرسال البشير ليخبر بالخبر السار، فإن النبي ﷺ بعد انتصاره في غزوة بدر أرسل عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة ليبشران الناس بالنصر.

التاسع والعشرون: أن من حكمة الله تعالى أنه قد يذل الكفار بالقتل أو الأسر على أيدي المسلمين، وذلك ما حصل في غزوة بدر، فقد قتل سبعون من المشركين، وأسر سبعون، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

الثلاثون: أن الغدر والخيانة من صفات الكفار، وذلك كما جاء في قصة بئر معونة، فإن هؤلاء الكفار أعطوا الأمان للصحابة رضي الله عنهم، فلما تمكنوا منهم غدروا بهم، وباعوا زيدًا وخبيبًا؛ لأنهما قتلا بعضًا من قادة قريش في غزوة بدر.

الحادي والثلاثون: أن الهداية بيد الله، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، فقد هدى الله كثيرًا من كفار قريش الذين وقفوا في طريق الدعوة إلى الله، وآذوا المسلمين، وقاتلوهم في غزوة بدر، بل إن بعضهم أصبح من قادة المسلمين الذين شاركوا في معارك فاصلة، ضد الكفار، مثل عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وغيرهم.

الثاني والثلاثون: أن الله تعالى أمر بإعداد القوة للأعداء، ولو شاء لهزمهم بالكلام، والتفل في وجوههم، وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ، ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض، بعلمه السابق، وقضائه النافذ.

الثالث والثلاثون: إن غزوة بدر كانت البوابة الأولى لغزوات متتابعة، أدت في النهاية للفتح الكبير، وهو فتح مكة، واندحار الكفر، ورفعة الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

الرابع والثلاثون: أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم هذه المعركة ليصلوا إليها.

الخامس والثلاثون: أن المؤمن قد يكره الشيء ويكون خيرًا له، وهذا ما حدث في هذه الغزوة، عندما كره فريق من المؤمنين، انفلات العير، والمواجهة مع المشركين في معركة حاسمة، لم يتهيأوا لها، لا بالعدد ولا بالعدة، وقد جعل فيها خيرًا كثيرًا، فقتل سبعون من المشركين، وأسر سبعون، وكانت ضربة قاصمة لقريش.

السادس والثلاثون: أن النصر بيد الله، يمنحه من يشاء، وهو الذي نصر المؤمنين ببدر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

السابع والثلاثون: فضل بدر، إذ سماها الله في القرآن باسمها، فقال: ﴿بِبَدْرٍ﴾.

الثامن والثلاثون: أن الذليل، وهو الذي يكون عنده نقص في العدد والعدة، قد ينصره الله إذا عوض هذا النقص بالتقوى والصبر، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

التاسع والثلاثون: أن تقوى الله ﷻ من شكره، لقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

الأربعون: أنه يجب على العبد شكر الله على كل حال، ولكنه يتعين ذلك عند تجدد النعم، كالنصر على الأعداء، وغير ذلك، لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

الحادي والأربعون: شهادة الله ﷻ لمن حضر بدرًا بالإيمان، لقوله تعالى:

﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

الثاني والأربعون: أن الله نصر المؤمنين بالملائكة ببدر لقوله: ﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

الثالث والأربعون: أن ذكر عدد الملائكة له فوائد منها ما ذكره الشيخ محمد البوطي:

أ - من أن تقييد البيان الإلهي الملائكة بعدد معين ينطوي على حكم باهرة من أجَلّها قطع السبيل على من يريد أن يتناول الآية، ويفسر الملائكة بالمعنى الذي يروق له، وهو مجرد الدعم المعنوي.

ب - أن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين، إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسية لشدة استعانتهم اقتضاها أنهم يقفون مع أول تجربة قتال في سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم في العدد والعدة، وإلا فإن النصر من عند الله وحده، وليس للملائكة أي تأثير ذاتي في ذلك، ومن أجل بيان هذه الحقيقة[1] قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠].

الرابع والأربعون: أن النصر بالملائكة ليس خاصًا بأهل بدر، ولكنه عام لكل من جمع هذه الشروط الثلاثة، وهي الإيمان والصبر والتقوى، لقوله: ﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

ولقوله: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

الخامس والأربعون: أن زيادة الكرب سبب للفرج، لقوله تعالى:

---

(١) فقه السيرة ص٢٢٣ - ٢٢٤.

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٢٥]. ولذلك أدلة كثيرة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦].

السادس والأربعون: مشروعية التبشير، والنهي عن التخذيل، وخاصة في الحروب لقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

السابع والأربعون: مشروعية فعل كل ما يكون سببًا لاطمئنان قلب المجاهد.

الثامن والأربعون: أن الأسباب المادية إنما يؤخذ بها إذا دعا الشرع إليها، وإلا فالواجب الأول هو التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، والثقة بنصره، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

التاسع والأربعون: أن الله تعالى عزيز، ومن عزته نصره من يشاء، وهزيمته لمن يشاء، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

الخمسون: أن من حكمته ألا يستأصل جميع الكفار، فإن في ذلك تعطيل لسوق الجهاد، لقوله تعالى ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧].

الحادي والخمسون: مشروعية النظر إلى حال الكفار والعصاة، ليعرف المؤمن الطائع قدر نعمة الله عليه، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

الثاني والخمسون: أن الأصل في النعم إنما أراد الله بها أن تكون شكرًا لله، لقوله تعالى: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

الثالث والخمسون: أن كفر النعم سبب للنقم، لقوله تعالى: ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

الرابع والخمسون: أن الأحكام القدرية منوطة بقادة الأمم والشعوب، لقوله: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

الخامس والخمسون: أن اتباع الرؤساء وطاعتهم في الباطل لا تكون عذرًا،

لقوله تعالى: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] وفيه آيات أخر[1].

السادس والخمسون: أن الأمم قد تدفع دماءها وأموالها ومقدراتها ثمنًا لأخطاء رؤسائها، لقوله: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. فعلى الشعوب أخذ الحذر.

السابع والخمسون: أن من قتل ببدر سواء من الرؤساء أو من الأتباع، مصيرهم النار، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

الثامن والخمسون: أن من قتل ببدر، أبو جهل وغيره، فإن منزلهم شر منزل، وطعامهم وشرابهم شر الطعام والشراب، وليس كما زعم أبو جهل، أنهم يتزقمون التمر والزبد، قال تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩].

التاسع والخمسون: أن من قُتل كافرًا فجزاؤه الخلود في نار جهنم، لقوله تعالى: ﴿ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩]. وهو حكم جميع الكفار.

الستون: الاختلاف شيء طبعي للبشر، غير أن المتقين لا يستمرون عليه، بل يحرصون على إصلاحه.

الحادي والستون: الاختلاف فساد، وضده الإصلاح، وبه أمر الله ﷻ عباده، فقال: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ١].

الثاني والستون: أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن، وإن زعم. لقوله

---

(١) قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

الثالث والستون: من هدي القرآن تخويف القلوب من الله.

الرابع والستون: من فضائل القرآن أن تلاوته تزيد الإيمان، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

الخامس والستون: أن من لم يزده سماع القرآن إيمانًا، زاده بعدًا، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥].

السادس والستون: التوكل من خصال الإيمان العظام، لقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

السابع والستون: أن من خصال الإيمان القلبية الخوف من الله.

الثامن والستون: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢ - ٣].

فأركان الإيمان ثلاثة، وهي: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، وقد جمعت هاتان الآيتان ذلك كله. فعمل القلب ما تقدم، وعمل باللسان ذكر الله وتلاوة القرآن، وعمل الجوارح قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣].

التاسع والستون: الصلاة والصدقة في كتاب الله قرينتان، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

السبعون: قال: يقيمون الصلاة، ولم يقل: يصلون، إشارة إلى الإتمام وحسن الأداء.

الحادي والسبعون: كل رزق يؤتاه عبد فإنما هو من الله لقوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾.

الثاني والسبعون: لطف الله بعباده حيث ذكرهم بأن ما ينفقونه إنما هو من رزقه الذي أعطاهم، فكيف يبخلون بعد هذا؟

الثالث والسبعون: قد يكون بالناس من يدعي الإيمان، ولكن المؤمنين حقًا هم الذين اجتمعت فيهم تلك الصفات لقوله تعالى بعد ذكر صفاتهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ [الأنفال: ٤].

الرابع والسبعون: منازل المؤمنين درجات بعضها فوق بعض، ومنازل الكافرين دركات بعضها تحت بعض لقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

الخامس والسبعون: ثواب المؤمنين يتفاوت بحسب الإيمان لأن الدرجات متفاوتة.

السادس والسبعون: من فضل ثواب المؤمنين قربهم من الله لقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

السابع والسبعون: أن المؤمنين قبل دخول الجنة يطهرون من النقائص، والذنوب لقوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ ﴾.

الثامن والسبعون: رزق المؤمنين في الجنة لا تبعة فيه مع سعته، وحسنه، ودوامه لقوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

التاسع والسبعون: خروج النبي ﷺ، وأصحابه وقع بأمر الله، وتقديره لقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ [الأنفال: ٥].

الثمانون: خروج النبي ﷺ وأصحابه من المدينة كان بالحق، وخروج المشركين من مكة كان بالباطل، ففي الأولين قال: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنفال: ٥]، وفي الآخرين قال: ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال: ٤٧]. فشتان ما بين الفريقين.

الحادي والثمانون: مع علمه ﷺ بأن خروجه كان بأمر ربه إلا أنه كان يستشير أصحابه مراعاة منه ﷺ «للطبيعة البشرية» فلينتبه دعاة الإسلام لهذا، وليقدموه للناس لينًا سهلًا.

الثاني والثمانون: في المؤمنين من هو كامل الإيمان يقدم الأوامر الشرعية ولا يبالي بما يخالفها، ومنهم من هو دون ذلك، له نظرة للأسباب المادية، وهذا

الفريق لا ينبغي أن يُضْرَب بالأوامر الشرعية بل يؤخذ بالمجادلة الحسنة حتى ينقاد إلى الحق بطيب نفس، ورغبة، يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾

الثالث والثمانون: أن اللفظ قد يطلق، ويراد به بعض معانيه، فالذين كرهو لقاء العدو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال: ٥]، ولم يكن ذلك جبنًا، ولا كراهية للموت، ولكنهم لم يكونوا يرون الدخول في معركة لم يستعدوا لها، ولم يحسبوا حسابها، وربما كانت النتائج أسوأ مما لو عادوا في هذه الحال، فلما تبين لهم الحق بعد المجادلة انساقوا إليه مسرعين.

الرابع والثمانون: فضل أصحاب بدر، وكمال إيمانهم حيث انقادوا للنبي ﷺ لخوض المعركة مع قريش مع أن ذلك بالحسابات المادية والخطط العسكرية هو الإقدام على الموت قال تعالى وهو يصور ذلك أحسن، وأبلغ تصوير: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٦].

الخامس والثمانون: الوعد بالخير ممن طبيعته الوفاء من أخلاق القرآن لما في ذلك من راحة القلب، واطمئنانه، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: ٧].

السادس والثمانون: وعد الله أصحاب بدر إحدى الطائفتين، ولم يعين مع علمه بما سيكون ليكشف خفايا النفس البشرية، وذلك من مقتضيات حكمته جل وعلا.

السابع والثمانون: بذل جهد أكبر لتحصيل مقصود أعظم أولى من عكسه قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

الثامن والثمانون: المقارنة بين المصالح والمفاسد، والموازنة بين الأمور مع بعد النظر يتبين بها حقيقة الأشياء، وهذا ما جعل النبي ﷺ، وأصحابه يقررون اللقاء مع العدو ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، وهي مصلحة، غير أن هذه المصلحة تتلاشى عند النظر إلى ما في اللقاء من المصالح، وإن كلف جهدًا إذ أن إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإذلال الكفر مصالح عظيمة لا يعدلها

شيء، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧ - ٨].

التاسع والثمانون: يجب على المؤمنين أن يقدموا ما يريده الله على ما يريدون، فإنهم متى فعلوا ذلك أعطاهم ما يتمنون، وبلغهم ما لم يكونوا يحتسبون، وهذا ما وقع لأهل بدر، لما قدموا ما يريده الله على ما يريدون.

التسعون: من الجرائم العظيمة أن يكره الإنسان ظهور الحق، أو سقوط الباطل، قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨].

الحادي والتسعون: عظمة البارئ وقدرته، إذ أن ما يريده يقع منه بكلمة، قال تعالى:: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنفال: ٧].

وهذه الكلمة هي ما ذكره الله بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

الثاني والتسعون: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩ - ١٠].

فيها من الفوائد:

أ - بيان حال أصحاب بدر المؤمنين، وأنهم قطعوا علائقهم بغير الله تعالى، وهذا من أسباب نصرهم.

ب - أن الاستغاثة من العبادات التي لا تصرف إلا لله تعالى، وفيه تفصيل.

ج - من مواطن الدعاء حال وقوع الكرب، وخصوصًا عند لقاء العدو.

د - قوله تعالى في صفة مدد الملائكة: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ يفيد اتصال الإمدادات، وهو ما يستعمله القادة الحكماء في حروبهم.

هـ - مشروعية تبشير المجاهدين، وذكر ما تطمئن به قلوبهم، وإبعاد المرجفين والمخذلين، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠].

الثالث والتسعون: أن الشجاعة هي ثبات القلب واطمئنانه حين يخفق قلب الجبان.

الرابع والتسعون: الشجعان أعظم الناس إيمانًا بالقدر، ولهذا تطمئن قلوبهم عند لقاء العدو.

الخامس والتسعون: حقيقة يختص بمعرفتها والانتفاع بها المؤمنون، وهي أن النصر من عند الله وحده، وهي خاصة بالمؤمنين وحدهم.

السادس والتسعون: النعاس في الحرب رحمة من الله، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١].

ومنه أخذ بعضهم استحباب النوم عند كثرة الهموم، وتعاظم الكروب، فإنه دواء مجرب لتخفيفها.

السابع والتسعون: من علامات شجاعة الرجل أنه في الحرب يستطيع أن ينام، بخلاف الجبان، فإنه يطير قلبه فرقًا، وقد حُكي عن شبيب الخارجي، أنه كان يخفق على فرسه وعدوه محيط به، وكان من أشجع الناس.

ويقول أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مرارًا، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه[(١)].

الثامن والتسعون: قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الأنفال: ١١].

قال مجاهد: أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس، فأطفأ بالمطر الغبار، وتلبدت به الأرض، وطابت نفوسهم، وثبتت به أقدامهم[(٢)].اهـ.

وطهرهم الله به من الحدث الأصغر والأكبر، وهو تطهير الظاهر، وأذهب عنهم رجز الشيطان، وهو وسوسته وخواطره، وهو تطهير الباطن.

---

(١) صحيح البخاري ص٧٢٢ برقم (٤٠٦٨)، كتاب المغازي، باب ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ ﴾.
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩١).

التاسع والتسعون: ألزم الله المؤمنين بالشجاعة، ونهاهم عن الجبن، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥].

المائة: قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]. وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠].

وغيرها ألفاظ شتى، تنصب في معنى واحد، وهو أن الله يريد من عباده المؤمنين أن يعلموا أن الأمور كلها بيده ﷻ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

مائة وواحد: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، مع الحديث المفسر لها بيان واضح أن الأسباب مهما كانت ضعيفة أو قليلة في نظر الناس، فإنها قد تكون عظيمة في النتائج والتأثير إذا أراد الله لها ذلك، فليفهم ذلك أهل الماديات.

مائة واثنان: كرامة المؤمنين على ربهم، يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾.

مائة وثلاثة: من نعم الله الخفية على المؤمنين أنه أوحى إلى الملائكة بتثبيت المؤمنين، قيل: آزروهم، وقيل قاتلوا معهم، وقيل: كثروا سوادهم، وقيل غير ذلك.

مائة وأربعة: قوله: ﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، فيه استعمال الأسباب والوسائل المعينة على تثبيت المجاهدين، وإبعاد عكسها.

مائة وخمسة: قوله: ﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، أن التثبيت بالملائكة خاص بالمؤمنين.

مائة وستة: قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]. من أعظم جنود الله التي ينصر بها المؤمنون إلقاء الرعب في قلوب أعدائه. وهو من خصائص هذه الأمة، كما في حديث جابر في الصحيحين، أن

النبي ﷺ قال: «**أُعطيتُ خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي**.. وذكر منها: **نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر**»[1].

مائة وسبعة: من رحمة الله ﷻ، وحكمته، أنه بعدما أمر المؤمنين بضرب رقاب الكافرين، بين سبب ذلك، لقطع الشبهة أولًا، وليكون ذلك حكمًا عامًا، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

مائة وثمانية: أن المشاقة للرسول ﷺ كالمشاقة لله سواء، والعكس كذلك، فإن طاعة الرسول طاعة لله، وهو صريح قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠].

فليحذر كل الحذر من التفريق بين الله ورسله، فمن صفات المؤمنين ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن صفات المنافقين ما جاء في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

مائة وتسعة: قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ [الأنفال: ١٤] توبيخ من الرب لمن عصاه وعانده.

مائة وعشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ بيان واضح بأن عقوبة الكافر في الدنيا لا تكفي عن عقوبة الآخرة، أما المؤمن فبالعكس من ذلك.

---

(١) ص١٥ برقم (٤٣٨)، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» وصحيح مسلم ص٢١١ برقم (٥٢١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب.

مائة وأحد عشر: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥].

فيها من الفوائد ما يلي:

أ - أن هذا النهي خاص بالمؤمنين.

ب - أن النهي إنما يكون بعد اللقاء.

ج - أن النهي هو عندما يكون العدو كافرًا، أما إذا كان العدو من البغاة، ونحوهم، فلا يشمله النهي.

د - أن النهي إنما يكون حال الزحف، ولذا جاء في الحديث: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منها «**التولي يوم الزحف**»[1].

مائة واثنا عشر: قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩].

والقصة المفسرة لها أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحنه الغداة، فكان المستفتح[2].

وفيها من الفوائد ما يلي:

أ - أن المشركين قد يخلصون الدعاء في بعض الأحيان، ولكن ذلك الإخلاص لا ينفعهم في النجاة من النار، إذ أن شرط النجاة منها أن يكون الإيمان خالصًا لا يخالطه شرك، ولا يناقضه كفر، وأن يستمر عليه حتى الممات.

ب - أراد أبو جهل بهذا الاستفتاح، بعدما جرى من أحداث، أن يظهر أمام الملأ بأنه مريد للخير، والواقع أنه إنما أراد بذلك الستر على عناده، وكبريائه، وهذا موقف يتكرر كثيرًا ممن لم يحالفه التوفيق فلينتبه لهذا.

(١) سبق تخريجه ص٨٩.

(٢) سبق تخريجه ص٤٣.

مائة وثلاثة عشر: قرب رحمة الله حيث يقول لهؤلاء الكافرين: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾ [الأنفال: ١٩]. ونتيجة ذلك أنه سيغفر لهم، ويقبل توبتهم، فله الحمد ما أرحمه، وله الشكر ما أحلمه، ولقد جرت العادة أن الإنسان إذا خاف شيئًا فر منه، أما الله تعالى فإن الطريق الصحيح هو أنه إذا خيف منه أن يفر إليه، ففي ذلك الاطمئنان، والسلامة التامة من جميع الشرور. قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: ٥٠].

مائة وأربعة عشر: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ﴾ [الأنفال: ١٩]. فيه بيان خسارة المعاندين، وأن الله لهم بالمرصاد، وصدق القائل: «وليغلبن مغالب الغلاب».

مائة وخمسة عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] فيها تنبيه لمن يغتر بالكثرة، وأن الاعتبار ينبغي أن يكون بغير ذلك، وفي غزوة بدر أكبر معتبر قال ﷻ: قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وفي العموم جاء قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾ [المائدة: ١٠٠].

مائة وستة عشر: أن الله مع المؤمنين حتى في حساباتهم المادية فإنه مهما كانت كثرة العدو فإن الطائفة التي يكون الله معها لا بد أن تكون أكثر، وأقوى، وأعظم.

مائة وسبعة عشر: افتتح ربنا سورة الأنفال بقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ فأجابهم الله جوابًا مجملًا بقوله: ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الأنفال: ١] وبعد أربعين آية جاء الجواب مفصلًا في قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ الآية [الأنفال: ٤١] وهذه الطريقة ترد في القرآن كثيرًا، يجمل سبحانه ثم يفصل، أو يفصل أولًا ثم يذكر الخلاصة بعد ذلك، وقد يكون بين الإجمال والتفصيل فصولًا كثيرة بل ربما جاء السؤال أو الإشكال في سورة، والجواب في سورة أخرى، ومن فوائد ذلك معرفة ارتباط القرآن بعضه ببعض، فليعلم أهل القرآن أنه لا يمكن الوصول إلى فهمه، وفقهه مفرقًا.

مائة وثمانية عشر: قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ الآية [الأنفال: ٤١] فيه أن معرفة أحكام الغنائم من العلم المفروض تعلمه.

مائة وتسعة عشر: قوله ﴿غَنِمۡتُم﴾ فيه أن الأنفال هي الغنائم، وبيان القرآن أولى.

مائة وعشرون: قوله ﴿غَنِمۡتُم﴾ اختصاص الغنائم بالغانمين لها والإضافة هنا إضافة اختصاص، لا إضافة ملك فإن الغنائم لا تملك إلا بعد القسمة.

مائة وواحد وعشرون: ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ هذا اللفظ عام يشمل كل شيء من الرجال، والنساء، والأموال، وجميع الأصناف.

مائة واثنان وعشرون: قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هذا بيان كيف تقسم الغنائم، وقد تقدم تفصيل ذلك.

مائة وثلاث وعشرون: تولي الرب سبحانه ﷻ قسمة الغنائم بنفسه، دليل على أهمية ذلك، ومن فوائده قطع النزاع.

مائة وأربع وعشرون: فيها أيضًا أن قطع النزاع بين المؤمنين مما يحبه الله، ودعا إليه القرآن.

مائة وخمس وعشرون: قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ فيها بيان طريقة القرآن في دعوة الناس إلى الله، وهي ربط الفرع بالأصل، وهي كذلك طريقة النبي ﷺ كما في قوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[1] الحديث.

مائة وست وعشرون: في الآية أن امتثال الأوامر، واجتناب النواهي من مقتضيات الإيمان بالله والإيمان بالقرآن.

مائة وسبع وعشرون: قوله: ﴿عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ شهادة من الرب جل وعلا لنبينا

(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري ص١١٦٥ برقم (٦٠١٩)، ومسلم ص٥١، برقم (٤٨).

محمد ﷺ بتمام عبوديته، وكمالها لربه ﷻ، وقد تكرر ذلك في القرآن، واللفظ هنا يشعر بالاختصاص عند التأمل.

مائة وثمان وعشرون: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ على ظاهره فإن معركة بدر لم تلبث إلا يومًا أو بعض يوم، فقد علمنا مما تقدم أنها بدأت صباح الجمعة، فدارت المعركة إلى الظهر حيث انهزم المشركون، وانتهت مطاردتهم إلى الليل، على أن اليوم يطلق على الوقعة بصرف النظر عن مدتها، فقال العرب: يوم ذي قار، ويوم حليمة، وغيرها من أيام الله، والملاحظ في حروب العرب أنها سريعة الانقضاء، قليلة الخسائر في الغالب، بعكس حروب العجم.

مائة وتسع وعشرون: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ فيه فضل غزوة بدر، حيث سماها الله باسم يقتضي ذلك، ومعنى الفرقان ما وقع من التفريق بين أصحاب النبي ﷺ وقريش تفريقًا ظهر به ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الحق، وما عليه قريش من الباطل.

مائة وثلاثون: قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]. بيان لقدرته المطلقة على كل شيء بلا استثناء.

مائة وواحد وثلاثون: قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢].

العدوة هي طرف الوادي، والركب المراد به عير أبي سفيان، وهذا التصوير البليغ له من الفوائد:

أ- بيان الحال لمن بعد ولم يستطع الوقوف على موقع المعركة، فهذا الوصف العجيب يجعله كأنه يرى ويُشاهد.

ب- قوله تعالى: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾، أي الأقرب إلى المدينة، (والقصوى) أي الأبعد بالنسبة للمدينة، وبالتالي فهي الأقرب إلى مكة، والمعنى أن كل فريق يستطيع العودة إلى بلده، ليس بينه وبينها حائل يمنعه، ومع ذلك نفذت مشيئة الله بالتقاء الفريقين، ليحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

مائة واثنان وثلاثون: قوله ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٤٢]، قال الرازي: «لا شك أن عسكر الرسول ﷺ في أول الأمر كانوا في غاية الخوف والضعف؛ بسبب القلة وعدم الأهبة، ونزلوا بعيدين عن الماء، وكانت الأرض التي نزلوا فيها أرضًا رملية تغوص فيها أرجلهم، وأما الكفار فكانوا في غاية القوة؛ بسبب الكثرة في العدد؛ وبسبب حصول الآلات والأدوات؛ لأنهم كانوا قريبين من الماء؛ ولأن الأرض التي نزلوا فيها كانت صالحة للمشي، ولأن العير كانت خلف ظهورهم، وكانوا يتوقعون مجيء المدد من العير إليهم ساعة فساعة. ثم إنه تعالى قلب القصة، وعكس القضية، وجعل الغلبة للمسلمين، والدمار على الكافرين، فصار ذلك من أعظم المعجزات، وأقوى البينات على صدق محمد ﷺ فيما أخبر عن ربه من وعد النصر والفتح والظفر.

فقوله: قال تعالى: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ [الأنفال: ٤٢] إشارة إلى هذا المعنى، وهو أن الذين هلكوا إنما هلكوا بعد مشاهدة هذه المعجزة، والمؤمنون الذين بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة، والمراد من البينة هذه المعجزة»[1].

مائة وثلاث وثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ [الأنفال: ٤٢].

يحتمل أن المراد بذلك الزمان والمكان، ويحتمل أن المراد الزمان فقط، والثاني أرجح؛ لأن اختيار الفريقين اللقاء في بدر له أسباب سبق ذكرها في موضع سابق.

مائة وأربع وثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الأنفال: ٤٢]. فيه من الفوائد أن الله تعالى قدر الأشياء قبل وقوعها، وهو صريح قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢٢]. وهذه إحدى مراتب القدر التي يجب الإيمان بها.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٥/ ١٦٨).

مائة وخمس وثلاثون: أن الأخذ بالأسباب المشروعة أمر مشروع، كل بحسبه، فإن الرب جل وعلا مع علمه بما سيقع، لم يمنعهم من أخذ الأسباب التي يرونها.

مائة وست وثلاثون: قوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، أراد ﷻ أن يظهر بوقوع هذه المعركة على هذا النحو، أن محمدًا وأصحابه على الحق، وأن عدوهم على الباطل؛ إقامةً للحجة، وقطعًا للأعذار.

مائة وسبع وثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، فيها:

أ- إثبات اسمين لله تعالى من أسمائه الحسنى التي يُدعى بها.

ب- أن هذين الاسمين الكريمين تضمنا صفتين عظيمتين، الأولى: السمع، الثانية: العلم.

مائة وثمان وثلاثون: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣]. فيها من الفوائد:

أ- أن الرؤيا الصالحة من الله.

ب- رؤيا الأنبياء وحي من الله.

ج- أن رؤية النبي ﷺ لهم، كانت في المنام لا [في] اليقظة.

مائة وتسع وثلاثون: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فيها وجوب الثبات عند لقاء العدو، وأن من أعظم ما يعين على ذلك كثرة ذكر الله ﷻ.

قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فيه بيان أن ثواب المجاهد الثابت لا يقتصر على الآخرة، بل يعم الآخرة والدنيا، وهو ما يشمله معنى الفلاح هنا.

مائة وأربعون: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا

وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٧ - ٤٨].

في هاتين الآيتين يذكر ربنا ﷻ حال الجيش المكي، والصفات التي كانت سببًا لهزيمته:

أ - الكبر، وهو ما يجعل المرء يحتقر الآخرين، وإن كانوا خيرًا منه، ويردّ الحق وإن تبين له، وهذا الواقع جاء مفصلًا في أحاديث الغزوة، فراجعها.

ب - مراءاة الناس بما يعملون، وفاعل هذا لا شك أنه ناس ربه، جاحد نعمته.

ج - الصدّ عن سبيل الله، وفي هذا إعلان المحاربة لله تعالى، والظلم لعباده، فمن سيكون الخاسر إذن؟

مائة وواحد وأربعون: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨].

فيه أنهم كانوا يرون أنفسهم أولى بالحق من النبي ﷺ وأصحابه، ولم يشفع لهم ذلك؛ لأن ما رأوه لم يكن مبنيًا على الدليل والبرهان، وإنما كان مبينًا على شبهات وتخيلات، لا يسندها دليل، ولا برهان، كقولهم: نحن أهل حرم الله، وكاستشهادهم باليهود، مع علمهم بكذبهم.

مائة واثنان وأربعون: قوله: ﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾، هذا الحال الذي ذكره الله يُشاهد كثيرًا من المدعين للشجاعة أو

الكرم، أو غيرها من الصفات التي يحاولون الظهور بها، ولكن سرعان ما تتلاشى هذه الحقائق، ساعة الجد والعمل، فأشبهوا الشيطان بطريقتهم هذه، وبئس الشبيه.

مائة وثلاث وأربعون: أن الشيطان قد يتصور بصورة البشر، فيظهر للناس ليضلهم ويفتنهم[1].

مائة وأربع وأربعون: قوله تعالى عن الشيطان: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾. هذا الخوف لا ينفع؛ لأنه خوف مؤقت، وهذا الحكم عام في جميع أعمال الإيمان، فإنها لا تنفع صاحبها إلا إذا استمر عليها حتى الممات.

مائة وخمس وأربعون: شدة تمسك أصحاب النبي ﷺ بدينهم واعتصامهم به، يؤخذ ذلك مما حكاه الله عن المنافقين أنهم قالوا للمؤمنين: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ ...﴾ الآية.

مائة وست وأربعون: أن من التوكل ما يبلغ بالمرء إلى اتهامه أنه مغرر بنفسه مهلك لها، ولكن إذا علم العبد من نفسه الصدق في توكله فلا يبالي بما قيل.

مائة وسبع وأربعون: أن النبي ﷺ وأصحابه مع فضلهم لم يسلموا من لمز المنافقين.

مائة وثمان وأربعون: أن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان، ودواؤها إخلاصها لله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١٤٦].

مائة وتسع وأربعون: أن من مال إلى المنافقين، وتشبه بهم في أقوالهم، وأفعالهم مريض القلب، ويخشى عليه إن استمر على ذلك أن يكون منهم.

مائة وخمسون: في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٧].

---

(١) ظهوره في بدر، وفي قصة الدجال، ونحوها.

أ- أن الحكم الوارد في هذه الآية شامل لجميع الأنبياء؛ لأن قوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ نكرة في سياق النفي، تفيد العموم.

ب- وفيها أن الجهاد من سنن المرسلين.

ج- أن العداوة بين الحق والباطل كانت ولا تزال مع كل مرسل ومصلح.

د- وفيها أن الأسر شريعة الأنبياء، إلا أن أحكامه قد تختلف من نبي إلى نبي.

هـ- وفيها أن الإثخان في العدو، وقتل الرجال أحب إلى الله تعالى من الأسر، وقد تقدم بيان ذلك.

و- وفيها أن ما يريده الله لعباده أفضل مما يريدونه لأنفسهم.

ز- وفيها أن من طبيعة البشر إيثار العاجلة على الآخرة، ولكن ينبغي للمؤمن ألا يغلب عليه ذلك، فيقع فيما نهاه الله عنه.

مائة وواحد وخمسون: قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨].

أ- فيها إثبات علم الله ﷻ السابق لكل شيء.

ب- وفيها أن الله كتب مقادير الأشياء قبل خلقها.

ج- وفيها فضل النبي ﷺ وأصحابه حيث سبق لهم في علم الله أن لا يعذبهم.

د- أن العبد قد يصدر منه ما يوجب العقوبة ثم يكون لديه موانع تمنع وقوعها، وبيان ذلك في هذه القصة، جاء في قوله ﷺ: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»[(١)].

هـ- وفيها أن الله لا يعذب أحدًا إلا بذنب لقوله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٨].

---

(١) تقدم تخريجه ص٥٢.

مائة واثنان وخمسون: قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩].

أ - فيها أن الغنائم للغانمين، وقد تقدم تفصيل ذلك.

ب - فيها أن الغنائم أفضل المكاسب، لقوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾.

مائة وثلاث وخمسون: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

أ - فيها موعظة الأسرى والتلطف معهم بإيصال الحق إليهم.

ب - وفيها أن الله تعالى إذا أخذ من عبده شيئًا أعطاه خيرًا منه وأفضل، إذا علم من قلبه الإخلاص والصدق، لقوله: ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾.

* * *



الخاتمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أتم علي ربي نعمته، وأعانني بقدرته وتوفيقه على إنجاز هذا العمل العلمي، الذي أرجو أن يقل فيه الخطأ والزلل، وأن يكثر فيه الصواب والحق، وأن يحظى من الله تعالى بالقبول، ومن أهل العلم بالاستحسان الباعث على صادق الدعوات، وإقالة العثرات، وغفران الزلات، وأوجز أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث في الآتي.

١ - أن جزءًا كبيرًا من السيرة النبوية العطرة تحتاج إلى جهد كبير في تحقيق أسانيدها، ومعرفة الصحيح والحسن والضعيف منها، وهذا يتطلب جهودًا جبارة في ذلك.

٢ - أنه ينبغي على المسلمين أن يهتموا بالأحاديث والنصوص التي تكلمت عن حياة الرسول ﷺ وسيرته، كما اهتموا بالأحاديث المتعلقة بالأحكام الواردة عنه، وهذا يتطلب إخراج هذه السيرة للناس محققة صافية.

٣ - أن كثيرًا من الغزوات والمعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي تحتاج دراستها إلى رسائل علمية متخصصة ليمكن الاستفادة منها، بأخذ الدروس والعبر، التي تحتاجها الأجيال المؤمنة القادمة.

٤ - أن الجهاد من أفضل الأعمال، وهو ذروة سنام الدين، لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، وقمع الظالمين والمنافقين، الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه من إخراج العباد

من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد.

٥ - أن غزوة بدر هي المعركة الأولى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، فيها نصر الله دينه ونبيه، وفرق بين الحق والباطل، وخذل الكفر وأهله، وقد حصلت فيها الكثير من المعجزات والكرامات العظيمة مما سبق ذكره.

٦ - أن الذين شاركوا في غزوة بدر من الصحابة والملائكة هم من أفضل الناس عند الله تعالى، أعطاهم الله هذا الفضل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

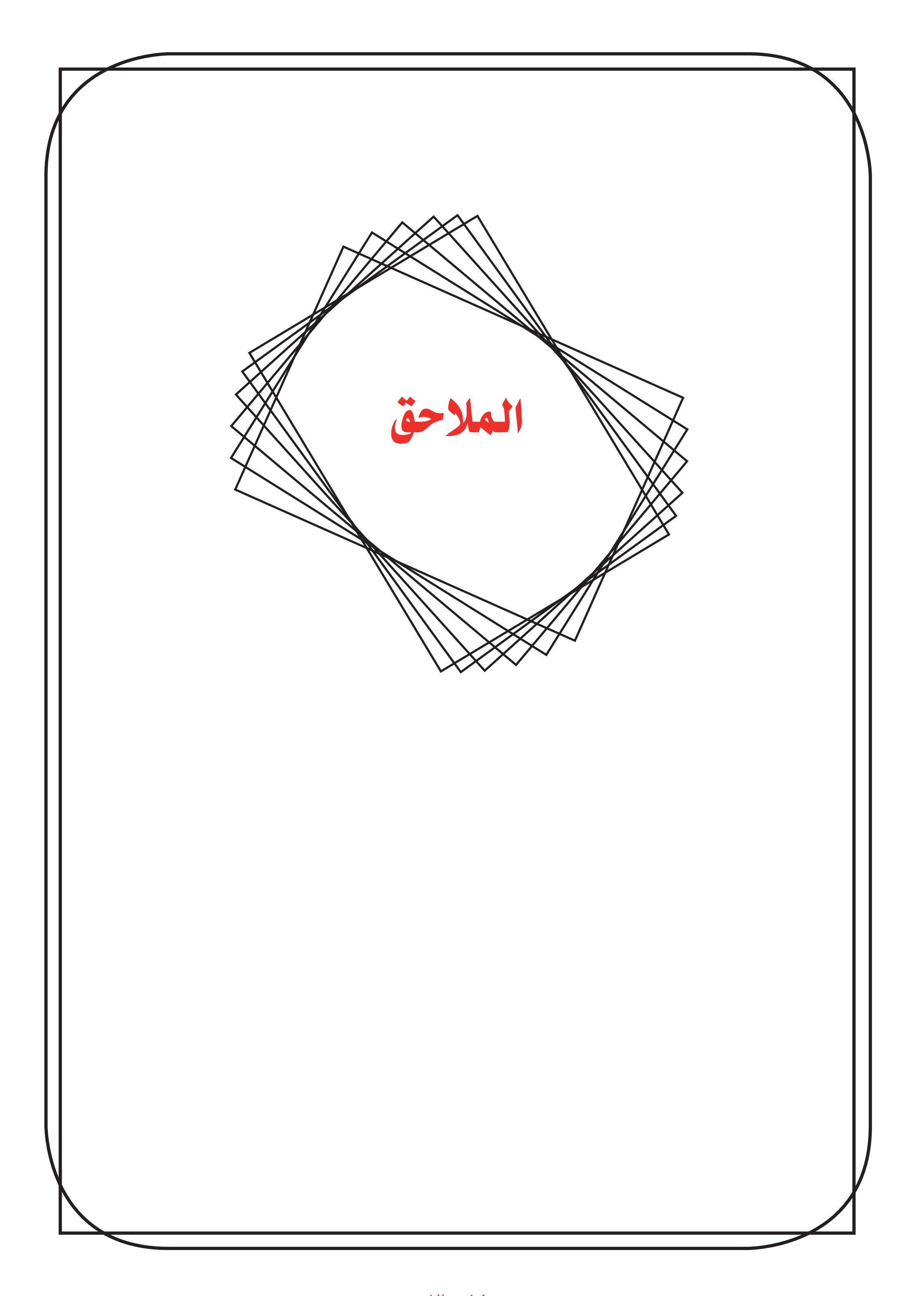
إن أصحاب بدر هم النجوم المضيئة في التاريخ الإسلامي، فقد جعل الله على أيديهم هذا النصر العظيم، والفرقان الذي فرق به بين الحق والباطل، والعزة والرفعة التي حصلت للإسلام والمسلمين، والذلة والمهانة التي لحقت بالكافرين.

٧ - أن غزوة بدر هي البوابة الأولى لغزوات متتابعة أدت في النهاية للفتح الكبير، وهو فتح مكة، واندحار الكفر، ورفعة الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

٨ - أن لأهل بدر - بعد الله ﷻ - الفضل على أمة الإسلام إلى يوم القيامة، فإنه لولا أهل بدر لم يصلنا الإسلام، ولقضي عليه معهم.

٩ - أن في غزوة بدر الكثير من الدروس والعبر العسكرية والفقهية، والعامة، مما سبق ذكره، ومما تستفيد منه الأجيال المسلمة إلى أن تقوم الساعة.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعله جهدًا علميًا مباركًا، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يتجاوز عما كان فيه من زلات، ويقيل ما وجد فيه من عثرات، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الملاحق

ملحق
بأسماء من شهد بدرًا من الصحابة
وقتلى المشركين وأسراهم

وهكذا انتهت معركة بدر التي خاضها المسلمون، وهم على غير استعداد لها.... انتهت بنصر عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة لأعدائهم الذين خسروا في المعركة سبعين قتيلًا بينهم أكثر من عشرين من قادتهم وزعمائهم، كما وقع في أسر المسلمين أيضًا سبعون محاربًا بينهم كثير من الزعماء والقادة.

قتلى الفريقين في المعركة:

لقد قتل من المسلمين في معركة بدر أربعة عشر رجلًا ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.

أما شهداء المهاجرين فهم:

أ - من بني المطلب بن عبد مناف، رجل واحد، وهو:

١ - عبيدة بن الحارث بن المطلب[1]، قطع رجله عتبة بن ربيعة بن عبد

---

(١) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث، كان من فرسان قريش وأبطالها في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة، وكان إسلامه سابقًا على دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وكان ثاني قائد عقد له النبي ﷺ لواء في الإسلام، وذلك حينما بعثه للقيام بدورية استطلاع في السنة الأولى من الهجرة، قوامها ستون راكبًا، وهي الدورية التي التقت بأبي سفيان في موضع يقال له: (ثنية المرة)، وكان أبو سفيان في أكثر من مائتي راكب، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٢٠٩ - ٢١٠).

شمس بن عبد مناف - أثناء المبارزة - فحمله الجيش جريحًا حتى مات بوادي الصفراء، والجيش في طريقه إلى المدينة.

ب - من بني زهرة بن كلاب رجلان، وهما:

١ - عمير بن أبي وقاص[(١)]، أخو سعد بن أبي وقاص.

٢ - ذو الشمالين[(٢)] عمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي - حليف لهم -.

ج - من بني عدي بن كعب بن لؤي، رجلان:

١ - عاقل بن البكير[(٣)] - حليف لهم - وهو من بني سعد بن ليث بن عبد مناة بن كنانة.

٢ - مِهْجَع[(٤)] مولى عمر بن الخطاب.

د - من بني الحارث بن فهر، رجل واحد، وهو:

١ - صفوان بن بيضاء[(٥)].

---

(١) هو عمير بن أبي وقاص بن أبي أهيب الزهري، قتله عمر بن ود العامري الذي قتله يوم الخندق علي بن أبي طالب، وكان النبي ﷺ قد رد عميرًا، ولم يسمح له بالقتال عندما استعرض جيشه لصغر سنه، فبكى عمير تألمًا لمنعه من الاشتراك في المعركة، وعند ذلك سمح له الرسول ﷺ بالقتال، فاستشهد رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٥/ ٣٥-٣٦).

(٢) ذو الشمالين هذا من قبيلة خزاعة، ثم من هذيل، من العدنانيين الذين تقع منازلهم الآن في وادي فاطمة والخبيت بالقرب من القنفذة، والرواك الواقعة إلى الشرق الجنوبي من بحر والصيم - بكسر الصاد - وعبد بن عمرو هذا وهو ذو اليدين الذي نبه الرسول ﷺ عندما سلم من ركعتين في صلاة رباعية وقال له: «أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله». المصدر السابق (٢/ ١٧٦).

(٣) عاقل هذا كان من أول من بايع النبي ﷺ في دار الأرقم بمكة أيام المحنة، فكان من السابقين الأولين في الإسلام، وكان اسمه غافلًا، فسماه النبي ﷺ عاقلًا، يرجع نسب عاقل بن بكير إلى عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة. المصدر السابق (٤/ ٦).

(٤) قال ابن حجر في الإصابة: مهجع العكي: مولى عمر بن الخطاب، قال ابن هشام: أصله من عك، فأصابه سبأ، فمن عليه عمر بن الخطاب فأعتقه، فكان من السابقين في الإسلام، وهو أول شهيد قتل يوم بدر، وقد روي عن ابن عباس أن مهجع هو الذي أنزل الله تعالى فيه قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية. المصدر السابق (٦/ ٤٦).

(٥) هو صفوان بن وهب بن ربيعة بن هلال الفهري، قتله يوم بدر طعيمة بن عدي النوفلي.

عدد شهداء الأنصار، وأسماؤهم:

أما شهداء الأنصار فهم:

أ - من بني عمرو بن عوف - بطن من الخزرج - رجلان، وهما:

١ - سعد بن خيثمة(١).

٢ - مبشر بن عبد المنذر بن زنبر(٢).

ب - ومن بني الحارث بن الخزرج - بطن من الخزرج - رجل واحد، وهو:

١ - يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابن فُسْحُم(٣).

ج - ومن بني سلمة - بطن من الخزرج - رجل واحد، وهو:

١ - عمير بن الحمام(٤).

د - ومن بني حبيب - بطن من الخزرج - رجل واحد، وهو:

١ - رافع بن المعلى(٥).

---

(١) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الخزرجي، كان من السابقين في الإسلام، وأحد النقباء الإثني عشر الذين كفلوا قومهم في بيعة العقبة، استهم سعد، وأبوه خيثمة يوم بدر فخرج سهم سعد - وكان شابًا - فقال له أبوه: آثرني اليوم - أي: اسمح لي بأن اخرج إلى بدر بدلًا منك - فقال له سعد: يا أبت، لو كان غير الجنة لفعلت، فخرج سعد ﵁ فقتل شهيدًا في بدر، وهنا يجب أن يقف الشاب المسلم عند هذا الخبر وقفة اعتبار وتدبر؛ ليرى أيَّ الشباب كان يعتمد عليه الإسلام، ومن يتمعن في تاريخ هذا الشباب المسلم من أمثال سعد بن خيثمة، سيدرك سر هذا الإعصار الذي أطاح بإمبراطوريتين عظيمتين في أقل من عشرين سنة على أيدي أولئك الناس، الذين انطلقوا من الكهوف، وأغوار الوديان حفاة شبه عراة، انظر: الإصابة (٣/ ٧٥)، موسوعة الغزوات الكبرى للأستاذ أحمد باشميل (١/ ١٧٥).

(٢) هو مبشر بن عبد المنذر بن زنبر الخزرجي الأنصاري، أخو أبي لبابة، الصحابي المشهور الذي رده النبي ﷺ من الروحاء، وهم في طريقهم إلى بدر، وجعله أميرًا على المدينة مدة غيابه، المصدر السابق (٦/ ٤٠).

(٣) هو يزيد بن الحارث - أو الحرث - بن قيس بن مالك الأنصاري الخزرجي، وهو المشهور بابن فسحم آخى النبي ﷺ، بينه وبين عمرو المعروف بذي الشمالين. المصدر السابق (٦/ ٣٣٨ - ٣٣٩).

(٤) هو عمير بن الحمام - بضم الحاء وتخفيف الميم - بن الجموح بن زيد بن حرام الخزرجي الأنصاري، وهو الذي قذف بتمرات كان يأكلهن وهو في الصف، وغاص في المشركين فقاتلهم حتى قتل بعد أن قال: بخ بخ أفما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، انظر: الإصابة (٥/ ٣١ - ٣٢).

(٥) هو رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة الخزرجي الأنصاري، قتله عكرمة بن أبي جهل.

هـ - ومن بني النجار - بطن من الأوس - رجل واحد، وهو:

١ - حارثة بن سراقة بن الحارث[(١)].

و - ومن بني غنم - بطن من الأوس - رجلان، وهما:

١ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد.

٢ - أخوه معوذ بن الحارث... وهذان الأخوان هما أبناء عفراء[(٢)].

عدد قتلى المشركين، وأسماؤهم:

أما خسائر المشركين من القتلى في معركة بدر فقد بلغت سبعين رجلًا، وهم كما يلي:

أ - من بني عبد شمس بن عبد مناف أربعة عشر رجلًا، وهم:

١ - عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، جرحه عبيدة بن الحارث، وذفف عليه علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب[(٣)].

٢ - شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبد المطلب.

٣ - الوليد بن عتبة، قتله علي بن أبي طالب.

٤ - حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ.

٥ - الحارث بن الحضرمي - حليف لبني عبد شمس - قتله النعمان بن عصر.

٦ - عامر الحضرمي - حليف لهم أيضًا - قتله عمار بن ياسر[(٤)].

---

(١) هو حارثة بن سراقة بن الحارث الأنصاري الأوسي النجاري، وأمه الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك، استشهد يوم بدر، وقصته مذكورة في الصحيحين عندما أصابه سهم طائش، المصدر السابق (٣١١/١).

(٢) وقد تقدم الكلام في اشتراكهما في قتل أبي جهل ص٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) وقد تقدم الخلاف في أسماء الذين تبارزوا يوم بدر ص٢٢٢.

(٤) هو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي اليماني، أبو اليقظان - حليف بني مخزوم - وأمه سمية كانت مولاة لهم، كان عمار من السابقين في الإسلام، هو وأبوه، وكانوا ممن يُعذب في الله في مكة، وكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: «صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة» هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم شهد اليمامة في جيش خالد بن الوليد فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر على الكوفة، وكان أول من أظهر إسلامهم بمكة سبعة، منهم عمار بن ياسر، كما =

٧ - عمير بن أبي عمير، قتله سالم مولى أبي حذيفة.

٨ - وابن عمير هذا، والاثنان موليان لبني عبد شمس.

٩ - عبيدة بن سعيد بن العاص، قتله الزبير بن العوام.

١٠ - العاص بن سعيد بن العاص، قتله علي بن أبي طالب.

١١ - عقبة بن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، قتله صبرًا في مكان يقال له عرق الظبية، وذلك أثناء عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة.

١٢ - عامر بن عبد الله النمري - حليف لهم - قتله علي بن أبي طالب.

١٣ - وهب بن الحارث من بني أنمار بن بغيض، حليف لهم.

١٤ - عامر بن زيد، حليف لهم من اليمن.

ب - ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان، وهما:

١ - الحارث بن عامر بن نوفل، قتله خبيب بن إساف.

٢ - طعيمة بن عدي بن نوفل، قتله علي بن أبي طالب، ويقال قتله حمزة بن عبد المطلب.

ج - ومن بني أسد بن عبد العزى سبعة نفر:

١ - زمعة بن الأسود بن المطلب، قتله ثابت بن الجذع، ويقال اشترك في قتله علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب.

٢ - أبو البختري بن هشام - واسمه العاص بن هشام بن الحارث - قتله المجذر بن ذياد البلوي، وقال ابن هشام: أبو البختري العاص بن هاشم.

٣ - الحارث بن زمعة، قتله عمار بن ياسر.

= ذكره ابن ماجة، وفيه تواتر الحديث أنه قتلته الفئة الباغية، وقد قتل في صفين وهو في جيش الإمام علي رضي الله عنه، انظر: الإصابة (٤/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

٤ - نوفل بن خويلد بن أسد، وهو أخو أم المؤمنين خديجة - وكان من شياطين قريش - قتله علي بن أبي طالب.

٥ - عقيل بن الأسود بن المطلب، قتله حمزة وعلي.

٦ - عتبة بن زيد - رجل من اليمن حليف لبني أسد -.

٧ - ومولى لهم اسمه عمير.

د - ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر:

١ - النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة، أسر النضر في المعركة - وكان حامل لواء المشركين - وقد أمر النبي ﷺ بقتله صبرًا، فنفذ فيه حكم الإعدام علي بن أبي طالب في موضع يقال له (الأثيل) بوادي الصفراء، وكان النضر هذا من شياطين قريش، ومن أكبر مجرمي الحرب، ومن أشد الناس إيذاءً للمسلمين.

٢ - زيد بن مليص، مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله بلال بن رباح(١) (وهو مولى أبي بكر الصديق يومئذ)، ويقال: قتله المقداد بن عمرو.

٣ - نبيه بن زيد بن مليص - حليف لهم - من بني مازن ثم من بني تميم.

٤ - عبيد بن سليط - حليف لهم - من قيس.

---

(١) هو بلال بن رباح الحبشي، المؤذن المشهور، وهو بلال بن حمامة وهي أمه، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين في مكة، إنقاذًا له من التعذيب الشديد، ثم أعتقه، فلزم النبي ﷺ، وأذّن له. شهد بلال كل المشاهد مع رسول الله ﷺ، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح القائد الشهير، كان يواصل الجهاد مع جيوش الإسلام خارج جزيرة العرب، فشهد فتوحات الشام مجاهدًا حتى مات بها، ومناقب بلال كثيرة، وكان من أكثر المؤمنين الأولين تحملًا لتعذيب المشركين، كان أميه بن خلف - رأس الكفر - يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة - في شدة القيظ - ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقول: لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد، فيكون جواب بلال إزاء ذلك التعذيب: أحد أحد، فمر به أبو بكر الصديق فاشتراه منه بعبد له أسود الجلد، روى له أصحاب الحديث في كتبهم عن رسول الله ﷺ أربعًا وأربعين حديثًا، توفي بالطاعون في عمواس زمن ابن الخطاب عام عشرين هجرية، انظر: الإصابة (١/ ١٧٠ - ١٧١).

هـ - ومن بني تميم بن مرة، أربعة نفر:

١ - مالك بن عبيد الله بن عثمان، وهو أخو طلحة بن عبيد الله، أسر فمات في الأسر، فعمد في القتلى.

٢ - عمرو بن عبد الله بن جدعان.

٣ - عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتله علي بن أبي طالب، ويقال عبد الرحمن بن عوف.

٤ - عثمان بن مالك بن عبيد الله، قتله صهيب بن سنان[(١)].

و - ومن بني مخزوم - قبيلة خالد بن الوليد - أربعة وعشرون رجلًا وهم:

١ - القائد العام لجيش مكة (أبو جهل بن هشام)، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أقعده بضربة بالسيف معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود، حين احتز رأسه.

٢ - العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله عمر بن الخطاب - وهو خاله -.

٣ - يزيد بن عبد الله - حليف لهم - من بني تميم، قتله عمار بن ياسر.

٤ - أبو مسافع الأشعري - حليف لهم - قتله أبو دجانة الساعدي.

---

(١) هو صهيب بن سنان بن مالك الصحابي الجليل المشهور، وهو الذي يقال له صهيب الرومي، اختلف النسابون في نسبه، فقيل إنه نمري من بني قاسط، وأن الروم سبوه وهو صغير؛ لأن أهله كانوا يقيمون بالعراق من جهة الفرس على مياه دجلة، فنشأ صهيب في بلاد الروم فصار ألكن، ثم اشتراه رجل من بني كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه، ويقال إنه رومي الأصل، هرب من أرض الروم، فقدم مكة فحالف ابن جدعان، والذي يجعلنا نميل إلى أنه رومي الأصل، أنه كان أحمر شديد الصهوبة، وهذه غالبًا صفة الروم، كان رضي الله عنه من السابقين في الإسلام، ومن المستضعفين ممن يعذب في الله، هاجر إلى المدينة مع أمير المؤمنين علي، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من أعلام الصحابة، لما مات عمر أوصى أن يصلي عليه صهيب، مات صهيب سنة ثمان وثلاثين هجرية، وهو ابن السبعين، انظر: الإصابة (٣/ ٢٥٤ - ٢٥٥).

٥ - حرملة بن عمرو - حليف لهم - وهو من الأسد قتله خارجة بن زيد، ويقال علي بن أبي طالب.

٦ - مسعود بن أبي أمية بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب.

٧ - أبو قيس بن الوليد بن المغيرة - أخو خالد بن الوليد - قتله حمزة بن عبد المطلب، ويقال علي بن أبي طالب.

٨ - أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب، ويقال عمار بن ياسر.

٩ - رفاعة بن أبي رفاعة عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله سعد بن الربيع.

١٠ - المنذر بن أبي رفاعة بن عائذ، قتله معن بن عدي بن الجد بن العجلان.

١١ - السائب بن أبي السائب بن عابد، قتله الزبير بن العوام، وفي رواية ابن هشام أن السائب هذا أسلم وحسن إسلامه[١].

١٢ - الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة بن عبد المطلب.

١٣ - حاجب بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، قتله علي بن أبي طالب، قال ابن هشام: ويقال عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم.

١٤ - عويمر بن السائب بن عويمر، قتله النعمان بن مالك القوقلي مبارزة.

١٥ - عمرو بن سفيان - حليف لهم - من طي، قتله يزيد بن رقيش.

١٦ - جابر بن سفيان - حليف لهم - وهو من طي أيضًا، قتله أبو بردة بن نيار.

١٧ - عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، قتله علي بن أبي طالب.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٧١١).

١٨ - حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله سعد بن أبي وقاص.

١٩ - هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله صهيب بن أبي سنان.

٢٠ - زهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أسيد، مالك بن ربيعة.

٢١ - السائب بن أبي رفاعة، قتله عبد الرحمن بن عوف.

٢٢ - عائذ بن السائب بن عويمر، جرحه في المعركة حمزة بن عبد المطلب، ثم أسر فافتدى ثم مات متأثرًا بجراحه.

٢٣ - رجل من طي، اسمه عمير - حليف لهم من طي -.

٢٤ - رجل آخر أيضًا اسمه خيار - حليف لهم من القارة -.

ز - ومن بني سهم بن عمرو - قبيلة عمرو بن العاص - سبعة نفر، وهم:

١ - منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، قتله أبواليسر أخو بني سلمة.

٢ - ابنه العاص بن منبه بن الحجاج، قتله علي بن أبي طالب.

٣ - أخوه نبيه بن الحجاج، قتله حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص اشتركا في قتله.

٤ - أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، قتله علي بن أبي طالب، ويقال النعمان بن مالك القوقلي، ويقال أبو دجانة.

٥ - عاصم بن أبي عوف ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، قتله أبو اليسر، أخو بني سلمة.

٦ - الحارث بن منبه بن الحجاج، قتله صهيب بن سنان.

٧ - عامر بن عوف بن ضبيرة، أخو عاصم بن ضبيرة، قتله عبد الله ابن سلمة العجلاني، ويقال أبو دجانة.

ح - ومن بني عامربن لؤي رجلان، وهما:

١ - معاوية بن عامر - حليف لهم من بني عبد القيس - قتله علي بن أبي

طالب، ويقال عكاشة بن محصن[1] على ما قاله ابن هشام.

٢ - معبد بن وهب - حليف لهم من بني كلب بن عوف - قتله خالد وإياس ابنا البكير، ويقال أبو دجانة على ما قاله ابن هشام.

ط - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص أربعة نفر، وهم:

١ - أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، قتله رجل من الأنصار من بني مازن، ويقال اشترك في قتله معاذ بن عفراء وخبيب بن إيساف وخارجة بن زيد.

٢ - ابنه علي بن أمية بن خلف، قتله عمار بن ياسر.

٣ - أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح، قتله علي بن أبي طالب، ويقال قتله الحصين بن الحارث، وعثمان بن مظعون.

٤ - سبرة بن مالك - حليف لهم - لا يعرف قاتله.

أسرى المشركين، وأسماؤهم:

أما أسرى المشركين الذين وقعوا في أيدي جيش المدينة يوم بدر، فهم أيضًا سبعون رجلًا، وهم كما يلي:

أ - من بني هاشم أربعة نفر، وهم:

١ - العباس بن عبد المطلب[2].

---

(١) هو عكاشة - بضم أوله وتشديد الكاف، وتخفيفها - بن محصن بن حرثان بن قيس، من بني أسد بن خزيمة، حليف بني عبد شمس من السابقين الأولين، وهو الذي يضرب به المثل دائمًا بالقول: «سبقك بها عكاشة» وهذه الكلمة قالها النبي ﷺ، عندما قال: «إن سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب»، فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» فقام آخر، فقال له النبي ﷺ: «سبقك بها عكاشة» فصار يضرب بها المثل للسبق في الأمر، استشهد عكاشة في حرب الردة، قتله طليحة بن خويلد الأسدي، انظر: الإصابة (٤/ ٢٥٦).

(٢) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله ﷺ، ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، افتدى نفسه، وابن أخيه عقيل بن أبي طالب، ورجع إلى مكة، ويقال إنه أسلم وكتم إسلامه، فكان عينًا على المشركين، يبعث بأخبارهم للنبي ﷺ، هاجر قبل الفتح بقليل، وشهد فتح مكة مع =

٢ - عقيل بن أبي طالب[(١)] أخو علي بن أبي طالب.

٣ - نوفل بن الحارث بن عبد المطلب[(٢)].

٤ - رجل اسمه عتبة - حليف لهم -.

ب - ومن بني المطلب بن عبد مناف خمسة نفر، وهم:

١ - السائب بن عبيد بن عبد يزيد[(٣)].

٢ - نعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب.

٣ - عقيل بن عمرو - حليف لهم -.

٤ - أخوه تميم - حليف لهم -.

٥ - ابن لتميم، لا يعرف اسمه - حليف لهم -.

ج - ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر، وهم:

١ - عمرو بن أبي سفيان بن حرب.

= المسلمين، وشهد معركة حنين، وكان ممن ثبت ساعة انهزام المسلمين أول المعركة، فكان لصوته الجهوري فضل كبير عندما حض المنهزمين على الثبات، كان النبي ﷺ يقول: «من آذى العباس فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه»، كان العباس طويلًا جميلًا، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين هجرية، انظر: الإصابة (٤/ ٣٠ - ٣١).

(١) عقيل بن أبي طالب، أخو أمير المؤمنين (علي) تأخر إسلامه إلى عام الفتح، شهد حنينًا، وكان ممن ثبت فيها، كما شهد معركة مؤتة في الأردن، كان من أعلم الناس بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها، وكان شديد الذكاء مشهورًا بالجواب المسكت، فارق أخاه عليًا، ولحق بمعاوية أيام الخلاف بينهما، وشهد صفين مع معاوية، ويقول بعض المؤرخين: إن معاوية قال لعقيل في يوم من أيام صفين: أنت اليوم معنا؟ فأجابه - على طريقته في سرعة الإجابة - وقد كنت معكم يوم بدر، لم يرو عن النبي ﷺ سوى حديث واحد أخرجه النسائي، وابن ماجة، مات رضي الله عنه في أول خلافة يزيد، المصدر السابق (٤/ ٢٥٥).

(٢) هو نوفل بن الحارث بن عبد الطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، دفع عنه الفدية عمه العباس، فأطلق سراحه من الأسر، كان يتاجر في الرماح، أسلم نوفل، وكان أسن من أسلم من بني هاشم، مات نوفل لسنتين من خلافة ابن الخطاب، ومشى عمر في جنازته، المصدر السابق (٦/ ٢٥٨).

(٣) هو السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، جد الإمام الشافعي، كان السائب حامل راية بني هاشم مع المشركين يوم بدر، فدى نفسه من الأسر، ثم أسلم، وحسن إسلامه، الإصابة (٣/ ٦٠ - ٦١).

٢ - الحارث بن أبي وجزة.

٣ - أبو العاص بن الربيع[١].

٤ - أبو العاص بن نوفل بن عبد شمس.

٥ - أبو ريشة بن عمرو - حليف لهم -.

٦ - عمرو بن الأزرق - حليف لهم -.

٧ - عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي - حليف لهم -.

٨ - خالد بن أسيد بن أبي العيص[٢].

٩ - أبو العريض، يسار - مولى العاص بن أمية -.

د - ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر، وهم:

١ - عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل.

٢ - عثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر - حليف لهم من بني مازن بن منصور -.

٣ - أبو ثور - حليف لهم -.

---

(١) هو أبو العاص بن ربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، واسمه لقيط، قيل ياسر، تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ وهو على الشرك، وكان رجلًا نبيلًا مشهورًا بالأمانة حتى إنه كان يلقب بالأمين، وكان القرشيون لذلك يأتمنونه على أموالهم، فكان لذلك يتاجر. مضاربًا - في أموال كثير من القرشيين الموسرين، واتفق أن عاد مرة من الشام في تجارة كثيرة لأهل مكة، فأراد بعض الصحابة التعرض له، والاستيلاء على ما معه من أموال باعتبارها أموال العدو، فأعلنت زوجته أنها أجارته فأمن بذلك، ثم خرج إليه بعض الصحابة من غير سلاح، وقالوا له: هل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال لمشركي مكة، فقال: بئسما أمرتموني به، أن أنسخ ديني بغدرة، ثم مضى بتجارة أهل مكة حتى وصل إليها وأعطى كل ذي حق حقه، ثم نادى في أهل مكة قائلًا: يا أهل مكة هل أوفيت ذمتي، قالوا: اللهم نعم، فأعلن إسلامه آن ذاك، وهاجر إلى المدينة، فرد عليه رسول الله ﷺ زوجته زينب، وقد توفى أبو العاص سنة اثنتي عشرة من الهجرة، المصدر السابق (٧/ ١١٨ - ١١٩).

(٢) هو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وهو أخو عتاب بن أسيد الذي جعله النبي ﷺ أميرًا على مكة بعد الفتح، أسلم يوم الفتح، وكان أخوه عتاب قد أرسله أميرًا على حملة التأديب التي أرسلها لمقاتلة المرتدين، انظر: الإصابة (٢/ ٨٦).

٤ - نبهان - مولى لهم -.

هـ - ومن بني عبد الدار بن قصي، ثلاثة نفر، وهم:

١ - أبو عزيز بن عمير بن هاشم - أخو مصعب بن عمير -.

٢ - الأسود بن عامر - حليف لهم -.

٣ - عقيل - رجل من اليمن - حليف لهم.

و - ومن بني أسد بن عبد العزّى أربعة نفر، وهو:

١ - السائب بن أبي جيش بن المطلب بن أسد.

٢ - الحويرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد.

٣ - سالم بن شماخ - حليف لهم -.

٤ - عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث.

ز - ومن بني مخزوم بن يقظة عشرة نفر، وهو:

١ - خالد بن هشام بن المغيرة.

٢ - أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة.

٣ - عثمان بن عبد الله بن المغيرة.

٤ - أبو المنذر بن أبي رفاعة.

٥ - أبو عطاء عبد الله بن أبي السائب.

٦ - المطلب بن حنطب بن الحارث.

٧ - خالد بن الأعلم - حليف لهم - وهو الذي كان أول من فر منهزمًا من المعركة، مع أنه صاحب البيت المشهور الذي يضرب به المثل للثبات:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا   ولكن على أقدامنا يتقطر الدم

٨ - الوليد بن الوليد بن المغيرة - أخو خالد بن الوليد -.

٩ - صيفي بن أبي رفاعة بن عابد.

١٠ - قيس بن السائب.

ح - ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص خمسة نفر، وهم:

١ - أبو وداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم.

٢ - وفرة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سعد بن سهم.

٣ - حنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعيد بن سهم.

٤ - الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.

٥ - رجل اسمه أسلم مولى نبيه الحجاج.

ط - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص أحد عشر رجلًا وهم:

١ - عبد الله بن أبي خلف بن وهب.

٢ - أبو عزة - عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهيب -.

٣ - الفاكهة - مولى أمية بن خلف -.

٤ - وهب بن عمير.

٥ - ربيعة بن دراج بن العنبس بن أُهبان بن وهب.

٦ - عمرو بن أبي بن خلف.

٧ - أبو رهم بن عبد الله - حليف لهم -.

٨ - ورجل - حليف لهم - ذهب عن ابن إسحاق اسمه فلم يذكره.

٩ - نسطاس - مولى لأمية بن خلف -.

١٠ - مولى آخر - لأمية بن خلف - لا يعرف اسمه.

١١ - أبو رافع - غلام أمية بن خلف -.

ي - ومن بني عامر بن لؤي خمسة نفر، وهم:

١ - سهيل بن عمرو[١] أسره مالك بن الدُّخْشُم.

---

(١) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي، صحابي جليل خطيب قريش الأول، أسلم بعد الفتح، وكان من زعماء قريش البارزين في الجاهلية، والإسلام، تولى - بالنيابة عن قريش - إبرام صلح الحديبية مع النبي ﷺ، وهو الذي قال للرسول لما أمسك عضادة باب الكعبة يوم الفتح، =

٢ - عبد بن زمعة بن قيس.

٣ - عبد الرحمن بن منشوء بن وقدان.

٤ - حبيب بن جابر.

٥ - السائب بن مالك.

ك - ومن بني الحارث بن فهر أربعة نفر، وهم:

١ - الطفيل بن أبي قُنيع.

٢ - عتبة بن عمرو بن جحدم.

٣ - شافع - رجل من اليمن حليف لهم -.

٤ - شفيع - رجل أيضًا من اليمن - حليف لهم.

أسماء من شهد بدرًا من الصحابة رضي الله عنهم:

لقد شهد معركة بدر من المسلمين ثلاثمائة وسبعة عشر رجلًا[1]، منهم ستة وثمانون رجلًا من المهاجرين، ومائتان وواحد وثلاثون من الأنصار، منهم مائة وسبعون من الخزرج، وواحد وستون من الأوس.

وهذه أسماء جميع البدريين منسوبين إلى قبائلهم:

أ - من بني هاشم بن عبد مناف ثمانية نفر:

١ - سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ.

= وخاطب قريش قائلًا: «ماذا تقولون؟» قال سهيل: نقول خيرًا، ونظن خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت، فقال ﷺ: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم». وكان سهيل في جيوش الشام يجاهد، ولم يزل كذلك حتى مات في طاعون عمواس غازيًا، انظر: الإصابة (٣/ ١٤٦ - ١٤٧).

(١) وقد رجح ابن إسحاق وابن كثير أنهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وقال ابن سيد الناس: هم ثلاثمائة وثلاثة وستون، ورجح بعضهم غير ذلك، وهذا يرجع إلى الاختلاف في أسماء الذين حضروا الغزوة، وقد سبق الكلام على ذلك ص٢٠٣ - ٢٠٥، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢١٣)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٤١٧ - ٤٣١)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٦٧ - ٢٩٠).

٢ - حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

٣ - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

٤ - زيد بن الحارثة بن شرحبيل الكلبي - مولى رسول الله ﷺ -.

٥ - أنسة الحبشي - مولى رسول الله ﷺ -.

٦ - أبو كبشة الفارسي - مولى رسول الله ﷺ -.

٧ - كناز بن حصين بن يربوع - حليف لهم - وهو من قيس عيلان وهو المكنى بأبي مرثد.

٨ - ابنه مرثد بن أبي مرثد - حليف لهم أيضًا -.

ج - ومن بني المطلب بن عبد مناف أربعة نفر:

١ - عبيدة بن الحارث بن المطلب - قتل يوم بدر -.

٢ - الطفيل بن الحارث بن المطلب.

٣ - الحصين بن الحارث بن المطلب.

٤ - مسطح، واسمه عوف بن أُثاثة بن عباد بن المطلب.

د - ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ستة عشر رجلًا:

١ - عثمان بن عفان تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، لتمريضها في المدينة فضرب له رسول الله ﷺ بسهم وعدّه من البدريين في الأجر.

٢ - أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

٣ - سالم مولى أبي حذيفة[1] بن عتبة بن ربيعة.

---

(١) هو سالم بن معقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كان من أجلاء الصحابة، وأعلامهم، من السابقين الأولين، وقد كان لامرأة من الأنصار واسمها (فاطمة بنت يعار) أعتقته فاطمة فوالى الصحابي الشهير أبي حذيفة، وكان أبو حذيفة قد تبناه، كما تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه فأنكحه ابنة أخيه بنت الوليد بن عتبة، فلما نزلت آية: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ رد كل أحد تبنى ابنًا إلى أبيه، ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه، كان سالم هذا عظيم المنزلة بين الصحابة، فكان يؤم المهاجرين في الصلاة في مسجد قباء، وفيهم أبو بكر وعمر، وكان من المهاجرين، هاجر مع عمر بن الخطاب، وكان ابن الخطاب معجب به كثير الثناء عليه حتى إن عمرًا لما طعن، وفكر =

٤ - عبد الله بن جحش - حليف لهم -.

٥ - عكاشة بن محصن - حليف لهم -.

٦ - شجاع بن وهب بن ربيعة - حليف لهم -.

٧ - عقبة بن وهب بن ربيعة - حليف لهم -.

٨ - يزيد بن رقيش - حليف لهم -.

٩ - أبو سنان محصن بن حرثان بن قيس - حليف لهم -.

١٠ - سنان بن أبي سنان - حليف لهم -.

١١ - محرز بن نضلة بن عبد الله - حليف لهم -.

١٢ - ربيعة بن أكثم بن سخبرة - حليف لهم -.

١٣ - ثقيف بن عمرو - حليف لهم -.

١٤ - مالك بن عمرو - حليف لهم -.

١٥ - مدلج بن عمرو - حليف لهم -.

١٦ - أبو مخشى - حليف لهم -.

هـ - ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان، وهما:

١ - عتبة بن غزوان - حليف لهم -.

٢ - خباب مولى عتبة بن غزوان - حليف لهم -.

و - ومن بني أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر، وهم:

= في أمر الخلافة تذكر سالمًا، وكان قد مات، ثم قال عمر: لو كان سالمًا حيًا ما جعلتها شورى - أي لأوصى له بالخلافة، هذا يدل على علو منزلة سالم رضي الله عنه -، وكان من حفاظ القرآن المشهورين في عصر النبي، وكان النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربع: من ابن أم عبد، ومن أبي بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل»، شهد سالم بدرًا، وقتل في معركة اليمامة شهيدًا هو، ومولاه أبو حذيفة، قد وجد رأس أحدهما عند رجل الآخر، وذلك سنة اثني عشر من الهجرة. انظر: الإصابة (٣/ ٥٦ - ٥٧).

١ - الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

٢ - حاطب بن أبي بلتعة اليماني - حليف لهم -.

٣ - سعد الكلبي (مولى حاطب بن أبي بلتعة) - حليف لهم -.

ز - ومن بني عبد الدار بن قصي رجلان، وهما:

١ - مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد الدار.

٢ - سويبط بن سعد بن حريملة.

ح - ومن بني زهرة بن كلاب ثمانية نفر، وهم:

١ - عبد الرحمن بن عوف.

٢ - سعد بن أبي وقاص.

٣ - عمير بن أبي وقاص.

٤ - المقداد بن عمرو بن ثعلبة - حليف لهم -.

٥ - عبد الله بن مسعود بن الحارث الهذلي - حليف لهم -.

٦ - مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد - حليف لهم -.

٧ - ذو الشمالين بن عمرو بن نضلة الخزاعي - حليف لهم -.

٨ - خباب بن الأرت التميمي - حليف لهم -. ط - ومن بني تميم بن مرة خمسة نفر:

١ - أبو بكر الصديق، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.

٢ - بلال بن رباح - مولى لأبي بكر الصديق -.

٣ - عامر بن فهيرة - مولى لأبي بكر الصديق -.

٤ - صهيب بن سنان - مولى عبد الله بن جدعان التيمي -.

٥ - طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.

كان غائبًا بالشام وقت المعركة، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، وعدّه كالبدريين في الأجر.

ي - ومن بني مخزوم خمسة نفر، وهم:

١ - أبو سلمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله بن عبد الأسد.

٢ - شماس بن عثمان بن الشريد.

٣ - الأرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد مناف بن أسد.

٤ - عمار بن ياسر.

٥ - معتب بن عوف بن عامر الخزاعي - حليف لهم -.

ك - ومن بني عدي بن كعب - قبيلة عمر بن الخطاب - أربعة عشر رجلًا وهم:

١ - عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى.

٢ - مهجع العكي - مولى عمر بن الخطاب -.

٣ - عمرو بن سراقة بن المعتمر.

٤ - عبد الله بن سراقة.

٥ - واقد بن عبد الله بن مناف اليربوعي - حليف لهم -.

٦ - خولي بن أبي خولي - حليف لهم -.

٧ - مالك بن أبي خولي - حليف لهم -.

٨ - عامر بن البكير بن عبد ياليل - حليف لهم -.

٩ - عاقل بن البكير.

١٠ - خالد بن البكير.

١١ - إياس بن البكير.

١٢ - زيد بن الخطاب[(١)] - أخو عمر بن الخطاب -.

(١) هو زيد بن الخطاب بن نفيل، أخو عمر بن الخطاب، كان أسن من أخيه عمر، وقد أسلم قبله، شهد بدرًا، والمشاهد كلها، وقتل شهيدًا في حرب اليمامة، وكانت راية المسلمين معه، وحزن عليه أخوه عمر حزنًا شديدًا، ولما قتل رضي الله عنه قال عمر: سبقني إلى الحسنيين، أسلم قبلي، واستشهد قبلي، له في الصحيح حديث واحد. الإصابة (٣/ ٢٧).

١٣ - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، كان غائبًا في الشام، فلما قدم ضرب له رسول الله ﷺ بسهم، وعده مثل البدريين في الأجر، فصار بدريًا.

١٤ - عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عنز بن وائل.

ل - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب خمسة رجال:

١ - عثمان بن مظعون.

٢ - السائب بن عثمان بن مظعون.

٣ - قدامة بن مظعون.

٤ - عبد الله بن مظعون.

٥ - معمر بن الحارث بن معمر.

ن - ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص، رجل واحد:

١ - خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم.

م - ومن بني عامر بن لؤي سبعة رجال، وهم:

١ - أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى.

٢ - عبد الله بن مخزمة بن عبد العزى.

٣ - عبد الله بن سهيل بن عمرو.

٤ - عمير بن عوف - مولى سهيل بن عمرو -.

٥ - سعد بن خولة - حليف لهم -.

٦ - وهب بن سعد بن أبي سرح.

٧ - حاطب بن عمرو.

س - ومن بني الحارث بن فهر ستة رجال، وهم:

١ - عامر بن عبد الله بن الجراح المشهور - بأبي عبيدة بن الجراح -.

٢ - عمرو بن الحارث بن زهير.

٣ - سهيل بن وهب بن ربيعة.

٤ - صفوان بن وهب بن ربيعة.

٥ - عمرو بن أبي السرح بن ربيعة.

٦ - عياض بن زهير.

فهولاء هم البدريون من المهاجرين ﷺ وأرضاهم، ومنهم ثلاثة لم يباشروا القتال، فصاروا في عداد البدريين لهم أجرهم عند الله مثلهم، وأخذوا حصتهم في الغنائم، وهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

أسماء البدريين من الأنصار:

أ - من بني عبد الأشهل - بطن من الأوس - خمسة عشر رجلًا، وهم:

١ - سعد بن معاذ.

٢ - الحارث بن أوس بن معاذ.

٣ - الحارث بن أنس بن رافع.

٤ - سعد بن زيد بن مالك.

٥ - سلمة بن سلامة بن وقش.

٦ - عباد بن بشر بن وقش.

٧ - سلمة بن ثابت بن وقش.

٨ - رافع بن يزيد بن كرز.

٩ - الحارث بن خزمة بن عدي.

١٠ - محمد بن مسلمة.

١١ - سلمة بن أسلم بن حريش - حليف لهم من بني الحارث -.

١٢ - أبو الهيثم بن التيهان.

١٣ - عبيد بن التيهان.

١٤ - عمرو بن معاذ بن النعمان.

١٥ - عبد الله بن سهل.

ب - ومن بني ظفر - بطن من الأوس - رجلان، وهما:

١ - قتادة بن النعمان بن زيد.

٢ - عبيد بن أوس بن مالك.

ج - ومن بني عبد بن رزاح - بطن من الأوس - ثلاثة رجال، وهم:

١ - نصر بن الحارث بن عبد.

٢ - معتب بن عبد.

٣ - عبد الله بن طارق البلوى - حليف لهم -.

د - ومن بني حارثة بن الحارث - بطن من الأوس - ثلاثة نفر، وهم:

١ - مسعود بن سعد بن عامر.

٢ - أبو عبس بن جبر.

٣ - هانئ بن نيار البلوي - حليف لهم -.

هـ - ومن بني عمرو بن عوف - بطن من الأوس - ستة نفر، وهم:

١ - عاصم بن ثابت بن قيس.

٢ - قيس أبو الأقلح بن عصمة.

٣ - معِّتب بن قشير.

٤ - أبو مليل بن الأزعر.

٥ - عمرو بن معبد الأزعر.

٦ - سهل بن حنيف.

ر - ومن بني أمية بن زيد - بطن من الأوس - تسعة نفر وهم:

١ - مبشر بن عبد النذر بن زنبر.

٢ - رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر.

٣ - سعد بن عبيد بن النعمان.

٤ - عويم بن ساعدة.

٥ - رافع بن عنجدة.

٦ - عبيد بن أبي عبيد.

٧ - ثعلبة بن حاطب.

٨ - الحارث بن حاطب، رجع من الطريق بأمر رسول الله ﷺ، فضرب له بسهم، وعدّه من البدريين في الأجر.

٩ - أبو لبابة.

ز - ومن بني عبيد بن زيد - بطن من الأوس - سبعة نفر، وهم:

١ - أُنيس بن قتادة بن ربيعة.

٢ - معن بن عدي بن الجد البلوي - حليف لهم -.

٣ - عبد الله بن سلمى العجلاني - حليف لهم -.

٤ - زيد بن أسلم بن ثعلبة العجلاني - حليف لهم -.

٥ - ربعي بن رافع بن زيد العجلاني - حليف لهم -.

٦ - عاصم بن عدي بن الجد العجلاني - حليف لهم - خرج مع المسلمين إلى بدر، فرده رسول الله ﷺ، وضرب له بسهم مع أصحاب بدر، فعد في البدريين.

٧ - ثابت بن أقرم بن ثعلبة العجلاني - حليف لهم -.

ح - ومن بني ثعلبة بن عمر بن عوف - بطن من الأوس - سبعة نفر، وهم:

١ - عبد الله بن جبير بن النعمان.

٢ - عاصم بن قيس بن ثابت.

٣ - أبو ضياح بن ثابت بن النعمان.

٤ - أبو حنة - ويقال أبو حبة بن ثابت بن النعمان -.

٥ - سالم بن عمير بن ثابت.

٦ - الحارث بن النعمان بن أمية.

٧ - خوات بن جبير بن النعمان.

ط - ومن بني جحجبى بن كلفة بن عوف - بطن من الأوس - رجلان، وهما:

١ - منذر بن محمد بن عقبة.

٢ - أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة، من بني أنيف - حليف لهم -.

ي - ومن بني غنم بن السلم - بطن من الأوس - خمسة نفر، وهم:

١ - سعد بن خيثمة.

٢ - منذر بن قدامة بن عرفجة.

٣ - مالك بن قدامة بن عرفجة.

٤ - الحارث بن عرفجة.

٥ - تميم مولى لهم.

ك - ومن بني معاوية بن مالك بن عوف - بطن من الأوس - ثلاثة نفر، وهم:

١ - جبر بن عتيك بن الحارث.

٢ - مالك بن نميلة - حليف لهم من مزينة -.

٣ - النعمان بن عصر - حليف لهم - من قبيلة بلى - بفتح أوله، وكسر ثانيه -.

فهؤلاء هم البدريون من الأنصار من قبيلة الأوس خاصة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وممن ضرب له بسهمه وأجره، وهم واحد وستون رجلًا.

أسماء البدريين من الخزرج:

أ - من بني امرئ القيس بن مالك أربعة نفر، وهم:

١ - خارجة بن زيد.

٢ - سعد بن الربيع.

٣ - عبد الله بن رواحة.

٤ - خلاد بن سويد بن ثعلبة.

ب - ومن بني زيد بن مالك رجلان، وهما:

١ - بشير بن سعيد بن ثعلبة.

٢ - سماك بن سعد بن ثعلبة.

ج - ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج ثلاثة نفر، وهم:

١ - سُبيع بن قيس بن عيشة.

٢ - عباد بن قيس بن عيشة.

٣ - عبد الله بن عبس.

د - ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة رجل واحد، وهو:

١ - يزيد بن الحارث بن قيس.

هـ - ومن بني جشم بن الحارث بن الخزرج أربعة نفر، وهم:

١ - خبيب بن إساف بن عتبة.

٢ - عبد الله بن زيد بن ثعلبة.

٣ - حريث بن زيد بن ثعلبة.

٤ - سفيان بن بشر.

و - ومن بني جدارة بن عوف بن الحارث أربعة نفر، وهم:

١ - تميم بن يعار بن قيس.

٢ - عبد الله بن عمير.

٣ - زيد بن المزين بن قيس.

٤ - عبد الله بن عرفطة بن عدي.

ز - ومن بني الأبجر - وهم بنو خدرة - رجل واحد، وهو:

١ - عبد الله بن ربيع بن قيس.

ح - ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني عبيد رجلان، وهما:

١ - عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول[(١)].

٢ - أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث.

ح - ومن بني جزء بن عدي بن مالك ستة نفر، وهم:

١ - زيد بن وديعة بن عمرو - حليف لهم من غطفان -.

٢ - عامر بن سلمة بن عامر - حليف لهم من أهل اليمن -.

٣ - أبو حميضة، معبد بن عباد، ويقال ابن عبادة بن قشير.

٤ - عامر بن البكير - حليف لهم -.

٥ - عقبة بن وهب بن كلدة - حليف لهم من غطفان -.

٦ - رفاعة بن عمرو بن زيد - حليف لهم -.

ط - ومن بني سالم بن عوف أربعة رجال، وهم:

١ - نوفل بن عبد الله بن نضلة.

٢ - عتبان بن مالك بن عمرو.

٣ - عصمة بن الحصين بن وبرة العجلان.

٤ - مُليل بن وبرة العجلان.

---

(١) هو عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول الخزرجي الأنصاري، كان أبوه رأس المنافقين، أما هو فقد كان من خيرة شباب الإسلام، كان صحابيًا جليلًا، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، استأذن رسول الله ﷺ في قتل أبيه لما ظهر نفاقه، فلم يأذن له، بل قال له: «أحسن صحبته»، قتل عبد الله هذا شهيدًا في حرب الردة باليمامة سنة اثنتي عشرة، وكان فيمن كتب للنبي ﷺ، انظر: الإصابة (٤/ ٩٥-٩٦).

ي - ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة رجلان، وهما:

١ - عبادة بن الصامت.

٢ - أوس بن الصامت.

ك - ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة رجل واحد، وهو:

١ - النعمان بن مالك بن ثعلبة.

ل - ومن بني لوذان بن سالم عشرة نفر:

١ - ثابت بن هزال.

٢ - مالك بن الدخشم بن مرضخة.

٣ - ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم.

٤ - ورقة بن إياس.

٥ - عمرو بن إياس - حليف لهم من اليمن -.

٦ - المجذر بن ذياد البلوي - حليف لهم -.

٧ - عبادة بن الخشخاش بن عمرو.

٨ - نجاب ويقال له - بحاث - بن ثعلبة بن حزمة.

٩ - عبد الله بن ثعلبة بن خزمة.

١٠ - عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية - حليف لهم -.

م - ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان، وهما:

١ - أبو دجانة - سماك بن أوس بن خرشة -.

٢ - المنذر بن عمرو بن خنيس، ويقال المنذر بن عمرو بن خنيش.

ن - ومن بني البدى بن عامر بن عوف رجلان، وهما:

١ - أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدى.

٢ - مالك بن مسعود البدى.

س - ومن بني طريف بن الخزرج ستة نفر:

١ - عبد ربه بن حق بن أوس.

٢ - كعب بن حمار - ويقال بن جماز بن ثعلبة الغبشاني الجهني - حليف لهم -.

٣ - ضمرة بن عمرو - ويقال ابن بشر الجهني - حليف لهم -.

٤ - زياد بن عمرو - ويقال أيضًا ابن بشر الجهني - حليف لهم -.

٥ - بسبس بن عمرو الجهني - حليف لهم -.

٦ - عبد الله بن عامر البلوى - حليف لهم -.

ع - ومن بني جشم من الخزرج اثنا عشر رجلًا، وهم:

١ - خراش بن الصمة بن عمرو.

٢ - الحُباب بن المنذر.

٣ - عُمير بن الحمام.

٤ - تميم - مولى خراش بن الصمة -.

٥ - عبد الله بن عمرو بن حرام.

٦ - معاذ بن عمرو بن الجموح.

٧ - خلاد بن عمرو بن الجموح.

٨ - عتبة بن عامر بن نابي.

٩ - حبيب بن الأسود - مولى لهم -.

١٠ - ثابت بن ثعلبة بن زيد.

١١ - معوذ بن عمرو بن الجموح.

١٢ - عمير بن حارث بن ثعلبة.

ف - ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب تسعة نفر، وهم:

١ - بشر بن البراء بن معرور بن صخر.

٢ - الطفيل بن مالك بن خنساء.

٣ - سنان بن صيفي بن خنساء.

٤ - عبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء.

٥ - عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء.

٦ - خارجة بن حمّير الأشجعي - حليف لهم -.

٧ - عبد الله بن حمير - حليف لهم -.

٨ - الطفيل بن نعمان بن خنساء.

٩ - جبار بن صخر بن أمية.

ص - ومن بني خناس بن سنان بن عبيد سبعة نفر، وهم:

١ - يزيد بن منذر بن سرح بن خناس.

٢ - معقل بن المنذر بن خناس.

٣ - عبد الله بن النعمان بن بلدمة.

٤ - الضحاك بن حارثة بن زيد.

٥ - سواد بن زريق بن ثعلبة.

٦ - معبد بن قيس بن صخر بن حرام.

٧ - عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام.

أ - ومن بني النعمان بن عبيد أربعة نفر، وهم:

١ - عبد الله بن عبد مناف بن النعمان.

٢ - جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان.

٣ - خليدة بن قيس بن النعمان.

٤ - النعمان بن سنان - مولى لهم -.

ب - ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة أربعة نفر، وهم:

١ - يزيد بن عامر بن حديدة.

٢ - سليم بن عمرو بن حديدة.

٣ - قطبة بن عمرو بن حديدة.

٤ - عنترة - مولى سليم بن عمرو -.

ج - ومن بني عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم ستة نفر، وهم:

١ - عبس بن عامر بن عدي.

٢ - ثعلبة بن غنمة بن عدي.

٣ - سهل بن قيس بن أبي كعب.

٤ - عمرو بن طلق بن زيد بن أمية.

٥ - معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس.

٦ - أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد.

د - ومن بني زريق بن عامر بن زريق سبعة نفر، وهم:

١ - قيس بن محصن بن خالد.

٢ - أبو خالد الحارث بن قيس بن خالد.

٣ - جبير بن إياس بن خالد.

٤ - أبو عبادة سعد بن عثمان بن خلدة.

٥ - ذكوان بن عبد قيس بن خلدة.

٦ - عقبة بن عثمان بن خلدة.

٧ - مسعود بن خالدة بن عامر.

هـ - ومن بني خالد بن عامر بن زريق رجل واحد، وهو:

١ - عباد بن قيس بن عامر بن خالد.

و - و من بني خلدة بن عامر بن زريق خمسة نفر:

١ - أسعد بن يزيد بن الفاكه.

٢ - الفاكه بن بشر بن الفاكه.

٣ - معاذ بن ماعص بن قيس.

٤ - عائذ بن ماعص بن قيس.

٥ - مسعود بن سعد بن قيس.

ز - ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ثلاثة نفر، وهم:

١ - رفاعة بن رافع بن العجلان.

٢ - خلاد بن رافع بن مالك.

٣ - عبيد بن زيد بن عامر.

ح - ومن بني بياضة بن عامر بن زريق ستة نفر، وهم:

١ - زياد بن لبيد بن عامر.

٢ - فروة بن عمرو بن وذفة.

٣ - خالد بن قيس بن مالك.

٤ - رجيلة بن ثعلبة بن خالد.

٥ - عطية بن نويرة بن عامر.

٦ - خليفة بن عدي بن عمرو - ويقال عُليفة -.

ط - ومن بني حبيب بن عبد حارثة رجلان، وهما:

١ - رافع بن المعلى بن لوذان.

٢ - هلال بن المعلى بن لوذان.

ي - ومن بني النجار - وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج - أربعة وخمسون رجلًا، وهم:

١ - خالد بن زيد بن كليب.

٢ - ثابت بن خالد بن النعمان.

٣ - عُمارة بن حزم بن زيد.

٤ - سُراقة بن كعب بن عبد العزى.

٥ - حارثة بن النعمان بن زيد.

٦ - سليم بن قيس بن فهد.

٧ - سهيل بن رافع بن أبي عمرو.

٨ - عدي بن أبي الزغباء - حليف لهم من جهينة -.

٩ - مسعود بن أوس بن زيد.

١٠ - أبو خزيمة بن أوس بن زيد.

١١ - رافع بن الحارث بن سواد.

١٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة.

١٣ - معوذ بن الحارث بن رفاعة.

١٤ - معاذ بن الحارث بن رفاعة - وهؤلاء الثلاثة هم بنو عفراء -.

١٥ - النعمان بن عمرو بن رفاعة - ويقال نُعيمان -.

١٦ - عامر بن مخلد بن الحارث.

١٧ - عبد الله بن قيس بن خالد.

١٨ - عصيمة - حليف لهم من أشجع -.

١٩ - وديعة بن عمرو - حليف لهم من جهينة -.

٢٠ - ثابت بن عمرو بن زيد.

٢١ - ثعلبة بن عمرو بن محصن.

٢٢ - سهل بن عتيك بن النعمان.

٢٣ - الحارث بن الصمة بن عمرو[١]، ويقول ابن إسحاق: أنه أصابه كسر، وهو بالروحاء، فضرب له النبي ﷺ بسهمه، فصار بدريًّا.

(١) كان الحارث بن الصمة من الأبطال الذين صمدوا مع رسول ﷺ يوم أحد.

٢٤ - أُبي بن كعب بن قيس.

٢٥ - أنس بن معاذ بن أنس.

٢٦ - أوس بن ثابت بن المنذر.

٢٧ - أوس بن ثابت بن المنذر - أخو حسان بن ثابت -.

٢٨ - أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود[1].

٢٩ - حارثة بن سراقة بن الحارث.

٣٠ - عمرو بن ثعلبة بن وهب.

٣١ - سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك.

٣٢ - أبو خارجة عمرو بن قيس بن مالك.

٣٣ - ثابت بن خنساء بن عمرو.

٣٤ - عامر بن أمية بن زيد.

٣٥ - محرز بن عامر بن مالك.

٣٦ - سواد بن غَزِبة بن أهيب البلوي - حليف لهم -.

٣٧ - الحارث بن ظالم بن عبس أبو الأعور - ويقال: أبو الأعور بن الحارث بن ظالم -.

٣٨ - سُليم بن ملحان بن خالد بن زيد.

٣٩ - حرام بن ملحان بن خالد.

٤٠ - قيس بن أبي صعصعة.

٤١ - عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف.

٤٢ - عُصيمة - حليف لهم من بني أسد بن خزيمة -.

٤٣ - عمير بن عامر بن مالك.

---

(١) أبو طلحة هذا من الأبطال المشهورين.

٤٤ - سُراقة بن عمرو بن عطية.

٤٥ - قيس بن مُخلد بن ثعلبة.

٤٦ - النعمان بن عبد عمرو بن مسعود.

٤٧ - الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود.

٤٨ - سُليم بن الحارث بن ثعلبة.

٤٩ - جابر بن خالد بن عبد الأشهل.

٥٠ - سعد بن سهيل بن عبد الأشهل.

٥١ - كعب بن زيد بن قيس.

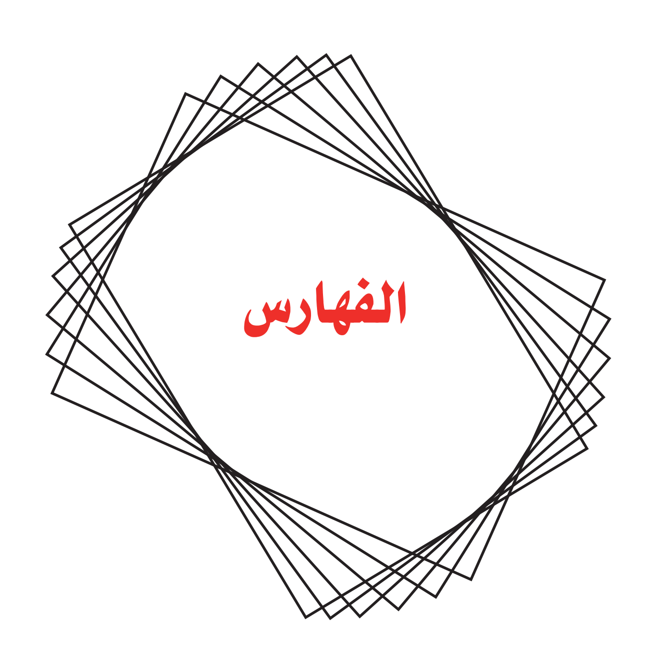
٥٢ - بجير بن أبي بجير - حليف لهم من غطفان[١] -.

٥٣ - قيس بن سكن النجاري.

٥٤ - أبو سليط وهو أسير بن عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن عامر.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٧ - ٣٠١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢١٣ - ٢٥٦)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٤١٧ - ٤٣٤)، وموسوعة الغزوات الكبرى - بدر الكبرى - للأستاذ محمد بن أحمد باشميل ص١٧٣ - ٢٠٨.


الفهارس



أولًا: فهرس الآيات القرآنية

التوبة

* * *

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
لما أمسى القوم من يوم بدر	٢٨٩
لما تحين رسول الله ﷺ انصراف العير	١٤٥
لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة	١١٨
لما كان يوم بدر أتي بأسارى وأتي بالعباس	٢٨٣
لما كان يوم بدر أسر سبعون	٢٩٠
لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية بن خلف	٦٨
لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ	١٣٦
لما كان يوم بدر جئت بسيف	٨٣
لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال	٢١٧
لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟	٢٧٨
لما نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ ﴾ جعلت أقول	٩٧
لو كان مطعم بن عدي حيًا ثم سألني في هؤلاء	٢٨١، ٢٨٥
ما اسم هذين الجبلين	١٥٤
ما أنا عليه اليوم وأصحابي	٦
ما ترون في هؤلاء الأسارى	٦٣، ٩٤، ٢٧٧
ماذا تقولون	٣٧٢ - ٣٧٣ (الحاشية ١)
ما رؤي إبليس يومًا هو فيه أصغر	٧٢، ٢٣٢
ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد	١٦٤
مثل المجاهد في سبيل الله	٢٧
مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل	٦٤، ٧١، ٢٣٢
من آذى العباس فقد آذاني	٣٦٨ - ٣٦٩ (الحاشية ٢)
من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب	٢٢٨
من أطاعني فقد أطاع الله	٣٢
من تشبه بقوم فهو منهم	٦
من رجل الليلة يحفظنا	٢٥٥
من فعل كذا وكذا فله من النفل	٨٣

الحديث	الصفحة

❊ ❊ ❊

ثالثًا: فهرس الآثار

❊ ❊ ❊

رابعًا: فهرس الأعلام المترجم لهم

❊ ❊ ❊

خامسًا: فهرس الأماكن والبلدان

* * *

سادسًا: فهرس الكلمات الغريبة

* * *

سابعًا: فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، للإمام الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، بإشراف مجموعة من المختصين، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بالتعاون مع مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٣ - الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، جمع ودراسة: د. صالح بن حامد الرفاعي، طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالتعاون مع مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٤ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة ٧٣٩هـ، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٢هـ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٨.

٥ - أحكام الجنائز وبدعها، للألباني محمد ناصر الدين، طبعة مكتبة المعارف - الرياض، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١.

٦ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني محمد بن ناصر الدين، المكتب الإسلامي، ط١٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٧ - أسد الغابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ، تحقيق الشيخ: خليل مأمون شيحا، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨ - الإصابة في تمييز الصحابة، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي، المعروف بابن حجر، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني المالكي الأفريقي، وتتمة لعطية محمد سالم، طبعة دار إحياء

التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
١٠- أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل، طبعة دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
١١- إيجاز البيان في سور القرآن، للصابوني محمد علي، طبعة مكتبة الغزالي، ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
١٣- البداية والنهاية، لابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، بتحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
١٤- بدر الكبرى، يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، لشوقي أبو خليل، طبعة دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.
١٥- البرهان في علوم القرآن، للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ ١٩٧٢م.
١٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، طبعة دار الكتاب العربي، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
١٧- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٨- التاريخ الكبير للبخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تصوير طبعة دائرة المعارف بالهند، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
١٩- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١٩.
٢٠- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، المتوفى سنة ٥٧١هـ، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، تحقيق: عمر غرامة العمروي، عدد الأجزاء: ٧٠.
٢١- تحرير تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، د. بشار عواد

معروف، الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٤.

٢٢- تحفة الأحوذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ. ومعه شفاء العليل في شرح كتاب العلل، والشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، لأبي عيسى نفسه، طبعة دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٣- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المزي أبو الحجاج يوسف بن الزكي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الدار القيمة، الهند، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ٤.

٢٤- التربية القيادية، لمنير الغضبان، طبعة دار الوفاء، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٢٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، حققه وعلق عليه محي الدين ديب مستو، سمير أحمد العطار، يوسف بديوي، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٢٦- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

٢٧- التعريفات للجوزجاني، الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٨- تفسير الجلالين، للإمامين الجليلين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مذيلًا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، قدم له وعلق عليه العلامة: محمد كريم بن سعيد راجح، من علماء دمشق، طبعة دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢٩- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٠- تفسير الطبري، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، تصوير طبعة دار المعارف، مصر.

٣١- تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، للإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م، طبعه وخرج أحاديثه محمد باسل عيون

السود، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٢- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضا، المتوفى سنة ١٩٣٥م، خرج أحاديثه وشرح غريبه: إبراهيم شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٣٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، عدد الأجزاء: ٤.
٣٤- التفسير الكبير، للفخر الرازي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.
٣٥- التفسير الميسر لجماعة من العلماء، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ١.
٣٦- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، دراسة الشيخ محمد عوامة، طباعة دار الرشيد، سوريا، حلب، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.
٣٧- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، طباعة مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٣٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، للإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، عدد الأجزاء: ١٢.
٣٩- تهذيب السنن لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة مكتبة السنة المحمدية ١٣٦٧هـ.
٤٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي أبي الحجاج يوسف المزي، المتوفى سنة ٧٤٢هـ، حققه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٣٥.
٤١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للإمام الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تقديم: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز ابن عقيل، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٤٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام المبارك بن محمد بن الأثير الجزري،

طباعة دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٤٣ - جامع التحصيل في أحكام المراسيل، العلائي أبو سعيد صلاح الدين بن خليل بن كيلكدي، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، طبعة عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.
٤٤ - جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، طبعة بيت الأفكار الدولية، عدد الأجزاء: ١.
٤٥ - الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري عبد الله بن محمد بن إسماعيل، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، بيت الأفكار الدولية، ط١٤١٩هـ ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١.
٤٦ - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني.
٤٧ - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧هـ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ١٣٧١هـ.
٤٨ - الخصائص الكبرى، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، طبعة دار القلم، بيروت، لبنان.
٤٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٠ - دلائل النبوة، للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، بتحقيق د. عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٥١ - دلائل النبوة، للحافظ الكبير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٧هـ.
٥٢ - دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٥هـ، إشراف د. زيد بن عبد المحسن آل حسين، ط٢، ١٤١٥هـ ١٩٤٤م، عدد الأجزاء: ١.
٥٣ - ديوان الضعفاء والمتروكين، الذهبي شمس الدين بن عثمان بن قايماز الدمشقي، حققه ووضع فهارسه: لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، قدم له الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢.

٥٤- الرحيق المختوم، للمباركفوري، صفي الرحمن، طبعة دار الوفاء، المنصورة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٥٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، طبعة دار الفكر، بيروت.
٥٦- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ، ومعه السيرة النبوية للإمام ابن هشام، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل.
٥٧- رياض الصالحين، للنووي بشرح الشيخ ابن عثيمين، للإمام الحافظ أبي زكريا محي الدين يحيى النووي، طبعة دار البصيرة، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠١م.
٥٨- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط١٣، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٥٩- زبدة التفسير بهامش مصحف المدينة المنورة، د. محمد سليمان الأشقر، طبعة دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، وتوزيع دار الوراق، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٦٠- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، المتوفى سنة ٩٤٢هـ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦١- السرايا والبعوث النبوية، حول المدينة ومكة، إعداد د. بريك محمد بريك العمري، إشراف د. أكرم العمري، طبعة دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٦٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٦٤- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، طبعة بيت الأفكار الدولية، عدد الأجزاء: ١.
٦٥- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى سنة ١٣٧٥هـ، طبعة بيت الأفكار الدولية، عدد الأجزاء: ١.
٦٦- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، المتوفى سنة ٣٨٥هـ، دار عالم الكتب،

بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ٤.
٦٧- السنن الكبرى، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٥٤هـ، عدد الأجزاء: ١٠.
٦٨- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، طبعة بيت الأفكار الدولية، عدد الأجزاء: ١.
٦٩- سنن سعيد بن منصور، المتوفى سنة ٢٢٧هـ، دراسة وتحقيق د. سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٥.
٧٠- سير أعلام النبلاء، للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ١٣٧٤م، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٩، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ٢٥.
٧١- السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، المعروفة بسيرة ابن هشام، تحقيق وتعليق الشيخ عادل الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٧٢- السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري، طبعة مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٧٣- السيرة النبوية عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، المتوفى سنة ٧٣٤هـ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: د. محمد العيد الخطراوي، محي الدين مستو، طبعة مكتبة دار التراث، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٧٤- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٧٥- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، المتوفى سنة ٣٥٤هـ ٩٦٥م.
٧٦- شرح السيرة النبوية، لأبي ذر بن محمد بن مسعود الخشني، طباعة المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١.
٧٧- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه سعد بن فواز الصميل، طبعة دار ابن الجوزي، مكتبة شمس، ط٢، ١٤١٥هـ.

٧٨- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، وبهامشه زاد المعاد لابن القيم، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٧٩- الشرح الممتع على زاد المستقنع، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة آسام، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٨.
٨٠- صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، المتوفى سنة ٣١١هـ، حققه وعلق عليه د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٨١- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الألباني محمد ناصر الدين، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢.
٨٢- صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم العلي، تقديم د. عمر الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، طبعة دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٤، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٨٣- الصحيح المسند من أسباب النزول، لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ط٤، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٨٤- صحيح سنن أبي داود، صحح أحاديثه الألباني محمد ناصر الدين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، اختصر أسانيده وعلق عليه: زهير الشاويش، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٣.
٨٥- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
٨٦- صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، بإشراف وتعليق زهير الشاويش، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٨٧- صحيح سنن النسائي لمحمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، بإشراف وتعليق زهير الشاويش، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
٨٨- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، بتحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٥.
٨٩- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.

٩٠- الضعفاء للعقيلي، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، المتوفى سنة ٣٢٢هـ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٩١- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) الألباني محمد ناصر الدين، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، طباعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٩٢- ضعيف سنن أبي داود، الألباني محمد ناصر الدين، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١.

٩٣- ضعيف سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، بإشراف وتعليق زهير الشاويش، ١٩٩١م، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١.

٩٤- ضعيف سنن الترمذي، الألباني محمد ناصر الدين، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١.

٩٥- ضعيف سنن النسائي، ضعف أحاديثه الألباني محمد ناصر الدين، أشرف على فهرسته والتعليق عليه: زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١.

٩٦- الطبقات الكبرى، لابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصيري، المتوفى سنة ٢٣٠هـ، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٩.

٩٧- العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٩٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٩- غزوة بدر: دروس في التربية، إعداد عبد المجيد صبيح، طبعة دار البشير، المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

١٠٠- غزوة بدر الكبرى، لمحمد أحمد باشميل، طبعة دار الفكر، ط٦، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

١٠١ - فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.
١٠٢ - الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للبنا أحمد بن عبد الرحمن البنا، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢.
١٠٣ - فضل الجهاد والمجاهدين لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٠٤ - فقه السيرة، البوطي، محمد سعيد رمضان، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
١٠٥ - فقه السيرة، لمحمد الغزالي، طبعة دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
١٠٦ - فهارس المعجم الكبير للطبراني، إعداد: عدنان عرعور، طبعة دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
١٠٧ - في ظلال القرآن، لسيد قطب، طبعة دار الشروق، ط١٣، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
١٠٨ - في منزل الوحي، محمد حسين هيكل، طبعة دار المعارف بالقاهرة، ط٧.
١٠٩ - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، المتوفى سنة ٨١٧هـ، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ط٧ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.
١١٠ - القتال في الإسلام: أحكامه وتشريعاته، دراسة مقارنة، لمحمد بن ناصر الجعوان، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
١١١ - الكامل في التاريخ لابن الأثير، للشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير، طبعة دار صادر، بيروت.
١١٢ - الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، المتوفى سنة ٣٦٥هـ، ط٣، بإشراف يحيى مختار غزاوي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١١٣ - كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٧٣٥هـ، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١١٤ - الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، ابن كيال أبو البركات

محمد بن أحمد، تحقيق ودراسة: عبد القيوم عبد رب النبي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١١٥ - لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١٥.

١١٦ - لسان الميزان، لابن حجر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، عدد الأجزاء: ٧.

١١٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١٠.

١١٨ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم النجدي، طبعة دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

١١٩ - مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، ١٩٨٨م.

١٢٠ - مختصر تفسير البغوي، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، اختصره وعلق عليه: د. عبد الله بن أحمد الزيد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٢١ - مرويات غزوة بدر، للباحث أحمد بن محمد العليمي باوزير، رسالة ماجستير قدمت لشعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأجيزت الرسالة بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٣٩٩هـ.

١٢٢ - المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

١٢٣ - مسند أبي داود الطيالسي، دار الكتاب اللبناني، دار التوثيق، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية القائمة في الهند، سنة ١٣٠٢هـ، عدد الأجزاء: ١.

١٢٤ - مسند أبي يعلى الموصلي، الموصلي أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، المتوفى سنة ٣٠٧هـ، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٤.

١٢٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، بيروت.

١٢٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، شرحه وحققه: أحمد محمد شاكر، ط٣، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، دار المعارف للطباعة والنشر بمصر.

١٢٧ - مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ، طبعة الدار السلفية، الهند، بومباي، ط١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

١٢٨ - مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ، بتحقيق حمد الجمعة، محمد اللحيدان، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٢٩ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

١٣٠ - معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٣١ - المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة دار إحياء التراث الإسلامي في الجمهورية العراقية، ط٢.

١٣٢ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، تأليف لفيف من المستشرقين، ونشره د. أ، ي، ونسنك، أستاذ العربية بجامعة ليدن، دار الدعوة، استانبول ١٩٨٨م.

١٣٣ - المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم بن مصطفى أحمد بن حسن الزيات، حامد بن عبد القادر، محمد بن علي النجار، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع بتركيا، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م.

١٣٤ - المغازي، لابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، درسه وحققه: د. عبد العزيز العمري، طبعة دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٣٥ - المغازي للواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المتوفى سنة ٢٠٧هـ، تحقيق: د. مارسدن جونس، دبعة دار عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٣٦ - المغني، لابن قدامة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٢٠هـ بتحقيق:

د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، طبعة هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٥.

١٣٧ - مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـ (تصوير الطبعة ٢) مصر، ١٣٨٩هـ.

١٣٨ - المقنع، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، والشرح الكبير لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد المقدسي، ومعها الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، تحقيق د. عبد الله التركي، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ٣٥.

١٣٩ - من معين السيرة، لصالح أحمد الشامي، طبعة المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

١٤٠ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤١ - منهج الإسلام في السلم والحرب، للعقيد الركن محمد مهنا العلي، طباعة دار أمية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤٢ - المنهج التربوي للسيرة النبوية «التربية الجهادية»، لمنير محمد الغضبان، طبعة دار الوفاء، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٤٣ - موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، إعداد خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

١٤٤ - الموسوعة الحديثية ومسند الإمام أحمد بن حنبل، المشرف على إصدار الموسوعة: د. عبد الله التركي، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، عادل مرشد، إبراهيم الزيبق، محمد رضوان العرقسوسي، كامل الخراط.

١٤٥ - موسوعة الغزوات الكبرى، بدر الكبرى، أحد، لمحمد أحمد باشميل، طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة، ط٨، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٤٦ - موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، للشيخ محمد بن رزق بن طرهوني، طبعة مكتبة دار العلم بجدة، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٤٧ - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد: مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، طبعة دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

١٤٨ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٤٩ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

١٥٠ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للإمام محمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة.

١٥١ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، لنور الدين علي بن أحمد السمهودي، المتوفى سنة ٩١١هـ، حققه وعلق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٥٢ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١هـ، د. إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

* * *

ثامنًا: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *